

امرأة من عالم الجن

محمود الزواوي

رواية

امرأة من عالم الجن

ابواب العوالم السبع

محمود مصطفى الزواوي

رواية: امرأة من عالم الجن

الجزء الأول: أبواب العوالم السبع

تأليف: محمود مصطفى عبد المجيد الزواوي

مقدمة

إلى من يظن أن كل شيء انتهى . أعرف هذا الإحساس، حين تراكم التجارب فوق صدرك كأنها جدران، وتقول في داخلك ((انتهى كل شيء)) لكن صدقني، لم ينته شيء. الحياة لا تتوقف لأنك تعثرت، ولا تنهار لأن قلبك انكسر أو لأن الناس خذلوك، الحياة تمضي... ونحن نحاول أن نلحق بها كلّ طريقته. أنا لا أكتب هذه الكلمات لأقدم لك درساً، بل لأذكر نفسي قبلك أن كل تجربة، حتى تلك التي نظرناها النهاية، تحمل في داخلها شيئاً يعيد ترتيبنا، الفشل ليس وصمة. هو فقط علامة تقول ما زال هناك طريق آخر لم نجربه بعد. نحن لسنا مانحسره، ولا ما يُقال لنا في لحظات الضعف. نحن كيف نقف بعد السقوط، وكيف نرمم أنفسنا حين نشعر أننا لم نعد نصلح لشيء. الألم؟ نعم، مؤلم. لكنه يعلمنا أن نميز بين الحقيقي والزائف، بين ما يؤذينا حقاً، وما كان نظنه كذلك. أما النساء؟ فهو ليس خيانة للماضي، بل فرصة للنجاة، لا أحد يخرج من هذه الحياة دون ندوب. لكن البعض يعرف كيف يصنع من ندوبه خرائط تقوده إلى أماكن أكثر صدقاً، لذلك لا تستعجل الحكم على نفسك.

ولا تصدق أن ما تمر به هو النهاية ربما يكون مجرد بداية، لا تُشبه ما خطّطت له... لكنها البداية التي تحتاجها.

اهدي هذه الكلمات إليك:

"يامن تظن أن الفشل يسيطر عليك، أنا وانت لسنا

فاشلين"

البداية

مذ يده نحو كوب القهوة وأخذه ببطء إلى شفتيه، ارتشف منه بعض الرشفات قبل أن يعيده إلى موضعه. تشبثت قدماه بالأرض بينما كان يحرك الكرسي المهزّاز، يتغایل ذهاباً وإياباً، وينظر من الشرفة متاماً القمر في تمام بدره. وضع يده على صدره، وأخرج من جيبه ورقة قديمة تأكلت من أثر الزمن، ثم التفت إلى ابنه الصغير، وابتسم له ابتسامة مليئة بالأمل. أطلق لسانه بالكلمات التي تحمل في طياتها أعباءه لا تخفي... ولا تصدق ما تسمعه من الآخرين. الناس يبالغون في كل شيء، حتى في الكذب.

والآن وبعد مرور ثمانية عشر عاماً، وفي أعقاب وفاة والدي، قررت أن أشارككم قصتي. أنا وائل العدلي، في الخامسة والعشرين من عمري، خريج كلية الحقوق، وأعيش في قريةٍ ريفيةٍ تغمرها الخرافات والأساطير. لقد سئمت من الجهل، وضيق الأفق، وضجيج الماضي الذي يطارد الحاضر كأنه وصيّ عليه. أليس من الطبيعي أن نستخدم عقولنا ولو لبعض ثوانٍ، لنسأل: هل ما نفعله حقاً منطقي؟ لقد ترددنا طويلاً في مواجهة الأفكار البالية، ومع ذلك، مازلت أنا نبادر إلى دعمها، حتى صارت جزءاً من ثقافتنا وهذا برغم من قبحها وضررها. نحن محاطون

بأساطير تشير التساؤلات أكثر مما تقدم إجابات. نعيش بين خرافات وممارسات ومعتقدات تُنقل كالإرث، دون فحص أو مساءلة. وحين نجرؤ على السؤال، يُقال لنا بنفس اليقين الذي توارده عبدة الأصنام "هكذا وجدنا آباءنا وأجدادنا" كان العمى فضيلة، وكأن الشك رجسٌ من عمل الشيطان.

أنا الآن في بلدتي، أحاول جاهدًا أن أسير على نهج والدي، لا لأقتد خطواته، بل لأفهم لماذا وقف، وماذا رأى. أسعى لمحاربة خرافية راسخة، لا تزال متجلزة في عقول القرويين البسطاء. أسطورة أحیطت بهالة مرعبة، حتى حولتهم إلى كائنات شبيهة بالنمل خلال الشتاء، لا يجرؤون على مغادرة منازلهم، خوفاً من الرعب الذي تسببه هذه الأسطورة التي تُعرف باسم "النداهة"، لقد أدخلت الذعر إلى القلوب، لأن فيها شيئاً خارقاً، بل لأننا اختربنا أن نصدق. ورغم أننا نعيش في القرن الحادي والعشرين، إلا أنه ما تزال عقولنا متشابكة بعقائد قديمة، وتمييز غير مبرر، وكأن الزمن يدور في مكانه.

كما كنت أقول دوماً: من يظن في نفسه شيئاً، يتحقق له ذلك. ومن يصدق الأكاذيب طويلاً، سيؤمن بأن كل كذبة حقيقة، وأن كل حقيقة قد تكون كذبة، فيا صديقي يا من ستقرأ هذه الكلمات، لا تأخذ كل ما يُقال لك على محمل الجد. لأنهم كاذبون دائمًا، بل لأنهم خائرون ، و

دعوني أروي لكم القصة، من حيث بدأت... فلعلّي أجد فيكم سبيلاً للخلاص.

الفصل الأول: البحث عن النجاة

في عام 1850، كانت "العاير" بلدة صغيرة معزولة، ترقد كجسدٍ نائمٍ على كتف النيل.

بيوتها طينية من قوالب قمئين محترقة، صُنعت يدوياً من خليط التبن والطين، ثم شُيدت على عجل، وأسقفت بالقش وسعف النخل، ف تكونت منها منازل متواضعة لا تردّ حراً ولا تمنع بردًا، لكنها كانت تكفي لاحتواء الحكايات والقلوب.

الأزقة ضيقة، ترابية، تتعرج كأنها شرائين في جسد القرية. يمرُّ الحمار مُحملًا بالخضرة، وصوت نعل الدواب يُكمل سيمفونية الصباح الباكر.

وفي قلب "العاير"، كان المرفأ الصغير ينبعض كقلبٍ خافت في الجسد. ممر مائي ضحل، بالكاد يتسع لقارب بريدي، لكنه كان كافياً لحمل ما تجود به الأرض إلى بلاد الشام، خاصةً محاصلها المقدّس .. الكتان.

في هذا المكان، عاشت البلدة في رخاءٍ هادئٍ. أرض خصبة وسماء تمطر بقدر، وأحلام القرويين ترتفع كزهور الكتان في موسمها، زرقاء رقيقة، لكنها شامخة.

كان الجميع يعرف الجميع، وأبواب البيوت مفتوحة كقلوب أصحابها.
وعند الغروب، تُشعل قناديل الزيت في العتمة، وتحكي الحكايات على
وقد السوافي البطيئة.

لكن... ذلك السلام لم يدم طويلاً بدأ الغموض يتسلل كالدخان، خفيقاً
أولاً، ثم كثيفاً وكأن الأرض نفسها لم تعد مأوفة فقد انتشرت الأقاويل
عن كيانٍ مرعب بدأ يطارد سكان العاقير. اسمه ثُمَسْ به الشفاه
المرتجفة... النداهة.

ومع مرور الأيام، انقلب تاك البلدة من واحة سلام إلى مسرح للرعب.
تلاشى ضجيج الزوار، وأطبق الصمت على الأزقة. حتى السوافي التي
طالما دارت كأنها لا تعرف التوقف... بدأت تصدر أنيئاً غريباً، كأنها
تبكي على شيء لا يُرى.

السكان، الذين كانوا يملؤون الحقول ويتداولون التمر والحكايات،
أصبحوا لا يغادرون منازلهم بعد الغروب.

البيوت التي كانت مأوى، تحولت إلى سجونٍ طينية، جدرانها تهتز كلما
سمع صوت همسة في العتمة.

في النهار، ترتجف الأيدي وهي تزرع الكتان. نظرات حذرة يتبعها
خطوات متوجسة، وهمسات خافتة تتناقل عن كيان يسلب الطمأنينة قبل
الأرواح.

لم تعد "النداهة" أسطورة تحكي، بل كابوساً حياً. فكل غروب شمس كان بداية طقس من الرعب، جلسات الدعاء، إغلاق النوافذ، وتسمير الأبواب.

لكن السؤال ظل معلقاً :

هل هي وهم صنعته الأقاويل؟ أم لعنة قديمة أيقظت من سباتها؟

سميت "النداهة" بهذا الاسم لأنها تستدرج ضحاياها بنداء خادع، يحمل صوت أحبابهم ، ما أن يسمعوه، حتى يذهبوا خلفه ثم يُعثر عليهم قتلى في ظروفٍ غامضة، خلال يوم واحد فقط.

تمتلك النداهة قدرة مرعبة على تقليد الأصوات البشرية بدقة مذهلة، فتزرع الهواجس في نفوس ضحاياها. تأتي الهمسات ليلاً، تشبه نبرة زوجة أو أم أو طفل صغير يظن الضحية أنه يسمع صوتاً يعرفه... فيخرج إلى العتمة ولا يعود. لأن ما ينتظرون ليس دفع اللقاء... بل موته وحشي.

غالباً ما يُعثر على الجثث إما فارغة الأحشاء أو مفصولة الرأس. لكن رعب "النداهة" لا يتوقف عند حدود الجسد. قيل إنها تخترق العقول قبل أن تمزق الأجساد، تزرع أوهاماً زائفة، تقنع ضحاياها بأنهم يتجهون نحو الخلاص، بينما هم في الحقيقة يركضون نحو حتفهم وهم بيتسمون.

كان "حامد" الناجي الوحيد من قبضتها أو هكذا ظنَّ الناس. روى جربته بصوتٍ مرتجف.

قال إنها خرجت له من الظلام، كانت بشرتها سوداء كأنها امتدادٌ للليل نفسه، تختبئ فيه كما يختبئ الظل داخل ظله.

عيناها تلمعان بلون أحمر دامٍ، أشبه بمحيط من الدماء تتلاطم أمواجه داخل المحرر.

ووصف ذراعيها بأنهما طويتين، وقال أظافرها حادة حتى بدت أقرب إلى سكاكين ضخمة تقدر من خلالهم قطع الأشجار بسهولة.

أما قدماها... فقد كانت ساقياً شاة هرمة ناهزت السابعة من عمرها، غليظتين، مشققتين... وشعرها؟ متبعد، داكن كسواد الفحم، ينسدل خلفها كذيلٍ طویل يتبعها حيث سارت خطواتها هادئة لكنها تحمل معنى الخطير.

بعد أن حكى لهم عنها ظنوا أنه بطل، فأثنى لشخصٍ ان يهرب من وحش تلك الأوصاف، لتكون المفاجأة بعد أيام لقد وجدوا "حامد" مصلوباً على جذع نخلة، مقطوع الأطراف، مشوه البطن، وقد فُقدت عيناه، لأن الكيان أراد أن يُسكت آخر من تجرأ على رواية ما رأى.

منذ ذلك اليوم، لم يعد أحد ينطق اسمها. الأطفال أطلقوا عليها اسمًا آخر "الموت" لأنهم ظنوا أن تسميتها بغير اسمها، ربما يخفف من رعبها. لكنها لم تختفِ، استمر القرويون في فقدان أحبابهم، واحداً تلو الآخر. ومع مرور الأيام... بلغ عدد القتلى خمسين وعشرين قتيلاً.

ومن بين أبشع الجرائم التي ولدت تحت ظلها مقتل طفلة لم تتجاوز ثمان سنوات . كانت بثينة زهرة صغيرة تفتحت في بيتٍ بسيطٍ يقع في الجهة الجنوبية من البلدة ، حيث يقيم رجل يدعى مصطفى، برفقة زوجته درية وابنتيه رغدة وبثينة. كان بيتهما متواضعاً، أقل حالاً عن باقي أهل القرية و لكنه كان عامراً بالمحبة، تغمره سكينة من نوع نادر. من يمر بقربه يسمع ضحكات الصغيرتين، ويشم رائحة الخبز، ويشعر أنّ البيت رغم فقره، نابض بالحياة.

لكن تلك الحياة انقلب رأساً على عقب، في ليلةٍ واحدة مرضت رغدة. وحين حلّ المساء، اشتدَّ المرض عليها، وشحب وجهها الحمى كانت تمتصَّ لونها قطرةً قطرةً. أخذت درية ابنتها على عجل، وذهبت بها إلى بيت والدتها، علّها تجد علاجاً عشبياً أو وصفةً قديمة تخفف وطأة ما ألم بالصغيرة.

أما مصطفى، فبقي في البيت ينتظر، ومع مرور الوقت، بدأت الهواجر تنهش عقله. كانت عقارب الساعة قد بلغت منتصف الليل، والهدوء في البيت أصبح خانقاً.

الرياح تعowi، وتجر أطراف القش عن السقف، وبثينة تجلس وحيدة، تضم ذميتها البالية، وتراقب ظلال المصباح وهي تترافق على الجدران الطينية.

فجأة لم يعد قلب مصطفى يتحمل نهض من مكانه، وارتدى عباعته، ثم اقترب من طفلته وانحنى عليها ووضع كفه على رأسها برفق وقال:

— لا تفتحي الباب لأي طارق مهما كان... وسأعود قريباً، ومعي رغدة للتعبى معها.

رفعت بثينة عينيها إليه وقد تملكتها القلق، ثم قالت بصوتٍ مرتجمٍ: — ولكن يا أبي ماذا لو جاءت الموت؟ ألن تلتهمني؟ أخشى البقاء وحدي...

ابتسم مصطفى ابتسامةً باهتة، ومسح دموعها بابهامه، ثم نظر إليها بعينين تتتوسان الحب والحنان:

— بثينة، انظري إلى جيداً، هل أخبرتك يوماً بشيء ولم أُفِ به؟

فأجابته، وهي تحاول كبح دموعها:

— لا، لم تفعل يا أبي.

قال مبتسمًا:

— فلماذا البكاء إذن؟ لقد وعدتك ولن تخلفني النداهة وعدي... كوني قوية، فأنتِ ابنتِي الشجاعة.

ثم طبع قبلةً على جبينها وغادر، تاركًا خلفه صمتًا أثقل من الليل نفسه.

وهنا... بدأ كل شيء ينهار.

مررت نصف ساعة، كانت بثينة خلالهاجالسة على كرسيتها الخشبي، تعانق دميتها وتحدق في السقف، تتعقب بخيالها صوت والدها، وتحصي الأنفاس التي تملأ قلبها خوفاً.

فجأة، دوى طرقٌ خفيفٌ على الباب، ارتعشت والتصق جسدها بالكرسي نظرت نحو الباب، ثم تمنت بصوتٍ مرتجف:

من الطارق؟ من هناك؟

لكن لا مجيب، عاد الصمت ليخيم من جديد، أكثر ثقلًا من قبل. جلست مكانها تحاول كبت رعشة أطرافها، تُقضِّمَ أظافرها وتشدَّ على دميتها الصغيرة كأنها آخر حصن الأمان.

وبعد دقائق، سمع الطرق مجدداً، لكن هذه المرة كان واضحاً، حاداً،
كانه ينبض في قلبها مباشرة.

قفزت من مكانها، ارتعش صوتها وهي تصيح:

من الطارق؟ أرجوك أجبني، أنت أبي؟ لماذا لا تتحدث؟ أنا
خائفة

ومن خلف الباب، جاء صوت بدا مألهفاً، لكن مشوهاً،
أنا هنا، لا تخافي يا صغيرتي.

ترددت بثينة، ثم سألت بصوت مرتاب:
لماذا لم تُجنبني منذ قليل؟ لماذا التزمت الصمت؟

رد الصوت بعد لحظة، بضحكة غريبة لا تشبه ضحكة أبيها:
كنت أختبر شجاعتك، هيا، افتحي الباب.

اقتربت بثينة من الباب ببطء. يدها الصغيرة امتدت نحو المقبض، لكنها
توقفت فجأة.

كلمات والدها طافت في رأسها:

لا تفتحي الباب لأي طارق، مهما كان.

تراجعت خطوة إلى الوراء، لكن الصوت من الخارج لم يتوقف، بل أصبح أكثر إلحاحاً:

ـ ألم تقولي إنك فتاة شجاعة؟ افتحي الباب، لن أوذيك.

تردّدت بثينة، قلبها يتراقص في صدرها كطائر مذعور، لكن شيئاً غامضاً دفعها للمضي قدماً.

ربما كان الفضول، أو الشوق لصوت أبيها، أو ذاك الخوف الذي يتحول إلى هوس.

مدّت يدها نحو المقبض مجدداً، وهمست بصوت طفولي بريء:

ـ تعلم يا أبي لو جاءت النداهة، لكنّ سألقتها درساً لا ينسى. ثم... فتحت الباب. وفي اللحظة التي انفرج فيها الخشب العتيق، تجمدت بثينة في مكانها.

أمامها وقفت النداهة، كأنها كابوس اقتلع من أحلك كهوف الخيال، بشعرها المتعدد الداكن الذي يلامس الأرض، وعينيها الحمراوين اللتين تتوجهان كنيران جهنم.

ابتسمت ابتسامة واسعة كشفت فيها عن أسنان حادة كالسكاكين، ثم قالت بسخرية تقطّر من صوتها:

ـ ها أنا هنا يا شجاعة... سمعت أنك تودين تلقيني درساً.

نظرت بثينة إليها مذهولة، فاغرفة الفم، عاجزة حتى عن التراجع.
قدماها تجذّرتا في الأرض، وجسدها الصغير بدأ يرتجف بعنف، حتى
بلغت ثيابها من شدة الخوف دون أن تدري.

هل هذا حلم؟ هل هو الجاثوم؟ أين أبي؟ كيف أهرب؟... كانت هذه
الأسئلة تتلاطم في رأسها، فيما اقتربت النداهة بخطى ثابتة، تمشي
وكان الأرض تنحني تحت قدميها.

ثم قالت بصوت بارد :

خافي أكثر... سأجعلك عبرةً لكل من تجرأ على التلفظ باسمي.

قالت بثينة و صوتها بالكاد يخرج:

لن تقدري علي فعل شيء، فقد وعدني أبي أنني لن أصاب بأذى،
وهو لا يخلف وعده.

ردت بنبرة أكثر قسوة:

والدك؟ أحـقـا تظـنـينـ أنـ وـعـدـهـ لـهـ قـيـمةـ؟ـ وـعـدـهـ كـانـ هـوـاءـ فـيـ هـوـاءـ،ـ وـأـنـاـ
هـنـاـ لـأـثـبـتـ لـكـ ذـلـكـ.

ضحكـتـ ضـحـكةـ مـجـنـونـةـ،ـ ثـمـ اـقـرـبـتـ أـكـثـرـ،ـ وـعـيـنـاهـاـ تـلـمعـانـ بـشـهـوـةـ
الـقـتـلـ،ـ وـقـالـتـ وـهـيـ تـقـلـدـ صـوـتـ وـالـدـهـاـ بـسـخـرـيـةـ:

لَنْ تَمْكِنِ النَّدَاهَةُ مِنِ الاقْتِرَابِ مِنْكَ؟... أَنْتِ ابْنَتِي الشَّجَاعَةِ؟... ثَابِرِي؟

ثم، فجأةً ومن دون سابق إنذار، غرسَتْ أظافرها الطويلة في بطن بشينة شهقت الطفلة بصوتٍ مكتوم، بينما جسدها الصغير بدأ يتلوى من الألم. فتحت فمها لتصرخ، لكن صوتها لم يخرج، تابعت غرز أظافرها القاتلة في أحشائها، وهي تقول بسخرية يقطر منها السُّم:

أَلمْ يَقُلُّ وَالَّدُكِ إِنَّكَ شَجَاعَةٌ؟ هَيَا، أَرْنِي شَجَاعَتَكَ الْآنَ.

كانت تشعر كأن الحياة تُسحب منها شبرًا شبرًا، كلما ضغطت أكثر. أنينها الصامت كان يعلو داخلها، روحها تتكسر، ونظراتها البريئة بدأت تنطفئ شيئاً فشيئاً، حتى تجمدت ملامح وجهها على هيئة وجع لا يُحتمل، وجع لا يُنسى.

ثم، في لحظة مفجعة، دفعت أظافرها الحادة لتخترق جسد الفتاة من الجهة الأخرى، كأنها سكين مزقت قطعة حرير.

ترئحت بشينة، جسدها الضعيف لم يتحمل ما جرى. لكن النداهة لم تشبع بعد.

كانت عيناهَا المتوجتان تزدادان لمعانًا تتلذزان بالرعب المتجسد أمامها. تقدّمت ثم أمسكت برأس الطفلة الصغيرة بكلتا يديها، وفي حركة وحشية، وبضربة واحدة قاسية فصلته عن جسدها.

سقط الجسد النحيل أرضاً كدميّة مكسورة، بينما الرأس تدرج ببطء حتى ارتطم بأرجل النداهة، والدماء تغمر المكان كأنها لعنة أطلقت في فضاء المنزل.

التقطت الرأس ثم حملته كما تحمل ساحرةً مرآتها، ثم بدأت تدور وسط المنزل...

ترقص... ترقص بجنون طفولي مرعب، تلطخ الجدران بدماء بثينة، وتدوي بضحكاتها الهستيرية التي تداخلت مع صوت خطواتها، فكانت معاً لحناً جهنميًّا لا يشبه أي شيء إلا صوت الخراب.

النداهة لم تقتل بثينة فحسب بل قتلت الأمان في تلك الدار. رقصتها المجنونة كانت إعلاناً صريحاً:

أن وعد الأب كان سراباً، وأن النداهة لو حضرت لن ترحل دون أن تروي ظمأها بالدم...

بعد فترةٍ ليست بالطويلة، عاد الأب بصحبة زوجته وطفليه "رغدة". كان التعب بادياً على الوجه ، والقلق يخيّم على خطواتهم. وفي

الطريق، لمَح الأب منزلهم من بعيد، فلاحظ أن الباب الأمامي مفتوح على مصراعيه. تسارعت نبضاته، وضاق صدره بشعور غامض لم يعرف له تفسيرًا.

دون أن ينبع بكلمة، انطلق ركضًا، متتجاوزًا زوجته وابنته، يصعد درجات المنزل بخطوات متعرّضة وكلما اقترب ازداد شعوره بالاختناق حتى تفاجأ بالكارثة التي تنتظره خلف ذلك الباب.

دلف إلى الداخل فتجمد في مكانه، توقف الزمن وانكسر الهواء من حوله. رأى ابنته ملقة على الأرض جسدها الصغير مفصول الرأس، مغمور في بركة من الدماء التي سالت بلون الألم، حتى لطخت الأرض كأنها سجادة فُرشت.

تعثرت قدماه، وانهار على ركبتيه، صرخ صرخة مبحوحة شقت صمت السماء:

بثنية... يا بنيتي... يا الله.

صرخته الموجوعة تسربت إلى الخارج، ووصلت إلى مسامع زوجته، التي أدركت من نبرة صوته أن شيئاً فظيئاً قد حدث.

توقفت في منتصف الطريق، وجمدت نظراتها، ثم انحنت تحت وطأة الخوف، وضمت "رغدة" إلى صدرها بقوة ت يريد أن تحميها من هذا الواقع القاسي.

أبعدتها عن الباب، ووجهها يفيض دموعاً وصمتاً موجوعاً. لم تشا أن تشهد الطفلة على المأساة التي ابتلعت أختها الكبرى، ولا أن ترى هذا المشهد الذي يطفئ في القلب آخر شرارة من الحياة.

مرّت السنوات...

أربع سنوات عجاف، لم تهدا خلالها عاصفة الحزن في صدر الأب. لم يعرف للراحة طعماً، فكل لحظة تمر كانت تعيد المشهد أمام عينيه، وكأن بشينة تموت من جديد، كل مساء. أفكار الانتقام صارت طيفاً ملزماً له، يطارده في يقظته ومنامه.

كان يسأل نفسه مراراً وتكراراً كيف أقتصّ لمن خطفتها النداهة؟ كيف أواجه الكيان الذي سلبني نور عيني؟ من يطفئ النار التي تستعر في قببي منذ أن ضاعت بشينة؟ تخطّط بين الغضب والعجز، والذكريات تنهشه كأنياب الذئب. كان كل شيء من حوله يشيخ... إلا ألمه، فقد ظلَّ شاباً، يركض في دمه، لا يهدأ.

"بكاء السوافي"

بعد تلك الحادثة ظلت الحوادث تتواتى، ولم تهدأ النداهة خلال تلك السنوات . في الليالي تفعل ما تفعله كأنها صارت أمراً مألوفاً، لا تثير دهشة، ولا تستدعي سؤالاً. لكن في ذلك النهار. كسر كل ما هو مألوف. في عزّ الظهر، حين خيم الصمت على البلدة الصغيرة وغرق أهلها في قيلولةٍ هاربةٍ من قيظ الشمس، كان هناك رجل واحد لا يستطيع النوم "صافي"

كان يتحرك في فناء منزله ذهاباً وإياباً، بينما ألم الجوع يعصر معدته، والهم يثقل رأسه. لم تكن مشكلته في الغداء وحده، بل في شح الماء الذي بدأ يهدد محصوله.

فوق قطعة أرض لا تتجاوز نصف فدان، زرع صافي ما تيسر له فلفل، الخيار، باذنجان كل ما قد يضمن له بعض الدخل في السوق. ولذلك كان الري بالنسبة له مسألة حياة.

خرج من بيته بعجلة، يسحب البقرة العجوز بحبـل مربوط إلى رقبتها.....

كان يرتدي سديري ممزق الأطراف، يظهر من تحته كلسون طويل مطاطه مرتخٍ حتى أوشك على السقوط، وعلى رأسه طاقية قطنية باهتة، تنزلق منها خصلة مبللة من العرق.

ضرب البقرة بعصاـه وهو يصرخ:

تحركي أيتها الكسولة، بطنى تؤلمنى، وأريد إنهاء السقاية قبل أن
تجف الترعة تماماً!

تابع جرها، ساخطاً، يلهث من الحر والغضب، وعيناه نحو الساقية التي
لم تعد تسعفه كما في الماضي.

ثم فجأة انشق السكون بصوت أنثوى قادم من ناحية الترعة: صافي...
أنقذني يا أخي، الماء يسحبني!

توقف في مكانه، ورفع عصاه كمن يستعد لقتال.

من هناك؟ من ينادياني؟

جاءه الرد سريعاً، بنبرة خافتة لكنها واضحة:

أنا فادية، شقيقتك أنقذني قبل أن أفقد أنفاسي.

شhec صافي ثم خلع سديريه بعصبية، عض عليه بأسنانه، ورمى
عصاه على الأرض. لم ينتبه لكلسونه المتراهل حين بدأ ينزل وهو
يركض ولسانه يصرخ:

أختي أنا قادم لا تخافي.

ركض دون أن يشعر بقدميه، الطين يلتصل بعقيبه، والهواء يكاد لا يدخل إلى رئتيه. استمر يعدو حتى بلغ حافة الترعة، وهناك توقف. كانت مياه الترعة ساكنة كأنها مراة ميتة.

تطلع فيها فلم ير سوى وجهه المرتباً، نظر يميناً... ثم يساراً... لا شيء.

صاحب بصوت مرتعش:

فاديَة؟ أين أنتِ؟ أجيبيَني !!! قلبي يكاد ينخلع من الخوف عليكِ؟؟
مررت لحظة صمت ثقيل... ثم اخترق السكون صوت ضحكة ناعمة، خفيفة، لكن شيئاً فيها جعل قلبه ينكمش، تلاها صوت أنثوي، متحوّل، مشحون بما يشبه السخرية:

قلبي ينفطر مما سأفعله بكِ، يا صافي.

صافي تجمّد في مكانه، وعيناه اتسعتا كأنهما تريان شيئاً لا يُصدق: همس لنفسه، بالكاد يجد صوته:

ماذا فعلت؟ هل جئت لإنقاذ الذاهنة، لكنها لا تظهر في النهار..

تبخطت الأفكار في رأس صافي، كأنها طيور مذعورة اصطدمت بجدران عقله، وراح يتلفّت بعينين زائفتين، يحاول أن يميّز ما إذا كان يحلم أم لا. قلبه ينبض بقوّة وركبتاه ترتجفان حتى بالكاد تحملانه.

"أأهرب؟" سأل نفسه، لكن قدميه كانتا كجذور مغروسة في الطين. أنفاسه تخرج قصيرة، باردة، لأنها آخر ما تبقى له من الحياة. وبينما يحاول بصعوبة أن يلتفت، ظهر أمامه.. كابوس لم يتوقعه تجمد الدم في عروقه، حين رآها واقفة هناك.

كانت النداهة. تمزج بين السخرية والجحيم في هيئة واحدة. اقتربت بخطى بطيئة... وباردة. حتى صار أنفاسها تمس وجهه. أراد أن يُشيح بوجهه بعيداً، لكن يدها امتدت فجأة، وأمسكت وجنته بقوة باردة يملؤها الغضب، وأجبرته على النظر في عينيها.

ابتسمت. لكن ابتسامتها لم تحمل شيئاً من الطمأنينة. كانت عريضة على نحو مشوّه، حتى بدت وجنتها مقلوبتين، ولسانها كأنما يتلوى بين شفتيها كأفعى صغيرة.

همست بصوت خافت، ت قطر منه الكراهيّة:

_ صافي... أما كنت تشترق إلى أختك؟ لم أتوقع منك هذا الجفاء يا أخي.
_ تريد أن تهرب !!

ثم تابعت بنبرة باردة:

_ لا يهم، لأنني كنت حزينة ولكن بقتلك الآن سيفرح قلبي ...

رد صافي وهو يلهم، وعيناه لا تزالان تبحثان عن مخرج: - ولم يُسعدك موتي؟ هل يُسعدك أن تؤلمي الآخرين؟ أنت وحش.

قطعت حديثه بضحكه خافتة، تحمل مراة الدنيا كلها، ثم قالت باحتقار: - أنا؟ أنا لست الوحش هنا، بل أنت! أنت الذين تظنون أن الأرض كتبتم بأسمائكم، أن كل شيء خلق لأجلكم. تستخدمون كل ما حولكم، حتى أقرب الناس إليكم، لتحقيق رغباتكم.

صمتت لحظة، ثم قالت بنبرة خافتة : - أنا فقط امرأة ذاقت طعم الظلم. وما أفعله ليس إلا عدالة والعدالة، كما أراها، تبدأ من محو أمثالكم.

وفجأة، ارتفعت بجسدها كأنها لا تنتمي لقوانين هذا العالم. بدت ضخمة، أطول من الأشجار، أوسع من ظلها، حتى كادت تحجب السماء عن عينيه.

اقتربت منه بثقل، وقبل أن يصرخ، أمسكت قدميه بشدة، رفعت جسده، وألقته في وحل الترعة. لم يكن الوحل عاديًا، بل بدا كأنه حفرة من العدم، يبتلعه بهدوء.

ضغطت رأسه في الطين، وهو يصرخ ويختبئ، لكن لا أحد يسمع وبعد لحظات هدا كل شيء. توقفت حركته، وغاص جسده في السكون. رفعت جسده كأنها ترفع كيسًا فارغًا، وألقت به بجانبها. جلست بقربه، ووضعت ظهرها على الأرض، تحدق في السماء بهدوء غريب.

همست لنفسها:

— لقد قتلتك لكنني لاأشعر بالراحة بعد.

ثم مالت عليه، ومسحت وجهه من الطين بلطف لا يشبه قسوتها، كأنها تسح وجها طفل نام دون أن يسمع حكاية ما قبل النوم. مررت أصابعها على صدره، تتحسس ببطء، ثم فجأة، وبدون مقدمات، قبضت على رأسه وانتزعته.

حدّقت فيه للحظة، بعينين لا تشى بالندم، ثم ألقته في الترعة، وغابت كما ظهرت... كأنها لم تكن.

لم يعد أهالي القرية قادرين على الصمت بعد الحادثة المأساوية التي زلزلت أركانهم. فقد أصبحت "الذّاهنة" ذلك الكائن الغامض الذي طالما ارتعدت له القلوب في اليالي تظهر الآن في وضح النهار، متهدية نواميس الطبيعة وسلطان الخوف الذي طالما قيدها.

لم يُعد للغلق أبواب المنازل أو التخفي خلف الجدران أي معنى. فالخطر بات يحيط بالجميع دون استثناء. ظلال الخوف ألقى ثقلها على القرية، فغدت القلوب مرتجفة والعيون لا تكلّ من الترقب... وكأن الجميع ينتظر النهاية.

الأرض التي كانت تُزَهِّر أضحت قاحلة، ومياه الترعة لم تعد تروي
عطش الصغار. الموت لم يعد يفترس بأنيات النذالة فحسب، بل بالجوع
الذي بدأ يلتهمهم في بطء زاحف.

"مجلس الشيوخ"

وفي إحدى الأمسيات المشبعة بالرّهبة، اجتمع شيوخ البلدة في بيت الشيخ عديل، رجل عُرف بالحكمة ورجاحة العقل. كان البيت، المصنوع من الطين، تفوح منه رائحة الماضي، ممزوجة برائحة الخوف الحاضر. في غرفة واسعة بأرضية خشبية باهتة، جلس الشيوخ، رؤوسهم مثقلة بالهم، وأفكارهم تتقدّفها الحيرة.

كانوا يرتدون جلابيب ريفية، ولفت عمامتهم البيضاء رؤوسهم، بينما ساد همس خافت بينهم، أشبه بلحن متوجّس لا يجرؤ أن يُسمع.

فجأة، انقطع الهمس بدخول الشيخ عديل. رجل مختلف، هيبةً وسكوناً.
وجهه أبيض صافٍ، عيناه مكحلتان بخطوط غامضة، وشعره الأبيض
كأله تاج من الحكمة يكلل ذقه الطويلة. حين دخل، ساد صمت
ثقل.....

جلس على كرسي خشبي في صدر الغرفة، واستدار نحوهم، ثم قال بصوتٍ جهوريٍ فيه ثقةٌ:

أهلاً بكم يا شيوخ بلدة العاقير. اجتمعنا اليوم لنواجهه الحقيقة كما هي، لا كما نريدها. النداهة لم تَعْذ حكاية ثروى، بل صارت آفةً تنهش وجودنا. أرضنا تذبل، أرواحنا تتأكل، وأطفالنا يُسلبون مستقبلهم أمام أعيننا. نحن اليوم لا نبحث عن شكاوى ولا نحِب، بل عن فعل. فهل أنتم مستعدون للفتال من أجل حياتكم؟

تنهد الشیخ سعد، وقال بصوت أثقلته الأحزان:

لَكُنْ كَيْفَ نَقَاتِلُهَا؟ أَلَمْ نَحَاوِلْ مِنْ قَبْلِ؟ خَرَجْنَا مَرَاتٍ عَدِيدَة، نُطَارِدُهَا مَعْ رِجَالِ الْقَرِيَّة، فَلَمْ نَعُدْ إِلَّا بِالْمَاتَمْ. فِي أَوَّلِ مَرَّة، عَثَرْنَا عَلَى جَثَثِ ثَلَاثَةِ شَبَابٍ فِي مَقْبِلِ الْعُمَر... وَفِي الثَّانِيَةِ، سَقَطَ خَمْسَة... أَمَّا الثَّالِثَةِ، فَكَانَتِ الطَّامِةُ سَبْعَةَ قَتْلَى، بَيْنَهُمْ وَلَدِي نَادِر. يَا عَدِيلَ، كَلَّمَا حَاوَلْنَا الانتقامَ، حَصَدَنَا الْحَزَنُ. مَا نَرْجُوهُ الْآنَ لَيْسَ النَّصْرُ بِالنَّجَاهِ.

هَذَا الشِّيْخُ عَدِيلُ رَأْسِهِ بِحُكْمَةِ، وَقَالَ بِهَدْوَعٍ أَشَدَّ:

وَهَذَا مَا نَرْجُوهُ جَمِيعًا يَا سَعْدًا. لَا قَتْالَ دُونَ خَطْةٍ، وَلَا حَرْكَةٌ بِلَا بَصِيرَةٍ. هَذِهِ الْمَرَّةُ لَنْ نَتْحَركَ إِلَّا بِيَقِينٍ. سَنَعْرُفُ كَيْفَ تُخْرِجَهَا مِنْ جَهَنَّمَ، وَنَقْضِي عَلَيْهَا.

هَنَا تَقدَّمُ الشِّيْخُ مُحَمَّدٌ، وَقَالَ بِنَبْرَةٍ جَادَّةٍ:

عندِي اقتراح...

سأله عديل: وما هو ؟؟؟

نرسل وفداً إلى حاكم مصر. نطلعه على ما يحدث. نحن جزءٌ من دولته، وقد خدمناه في عز أيامنا، وصدرنا له الكتان والتجارة، وربطنا بلاد الشام بالحجاز. فمن باب أولى، أن يقف معنا الآن، كما وقفنا معه.

أو ما الشيخ عديل موافقاً:

كلامك سديد، يا شيخ محمد لكن... من نرسل في هذه المهمة الشاقة؟..

ساد الصمت لحظة، ثم قال محمد:

نحتاج رجلاً عاقلاً، شجاعاً، فصيح اللسان، لا يهاب الموت، ولا يخشى الطريق الطويل ولا النوم تحت السماء. هذا الرجل سيكون رسولنا، وصوت قريتنا المذبوحة.

رفع الشيخ عديل رأسه، وسأل بصوت مهيب:

يا شيخ العقير الأفضل، من تُراه يغدو الصحاري، مصفع القول في بياته، فرساً مغواراً في كيانه؟ من نأتمنه على حياتنا جميعاً؟

تقدّم الشيخ عبد الواحد وقال بثقة:

يا شيخنا الجليل بيننا من تتوفر فيه كل تلك الصفات. إنه زيدان العبسي، الرجل الذي لم يعرف الخوف يوماً، ولا خانته عزيمته.

تفكر عديل، ثم قال:

لقد أحسنت، يا عبد الواحد. زيدان ، فيه اجتمعت شجاعة السيف وحكمة العقل. ولا يجمع ذلك إلا في الرجال العظام.

ثم التفت إلى الحضور، وقال: فليرفع من يؤيد اختياره يده.

فارتقت الأيدي واحدة تلو الأخرى، في مشهدٍ يحمل اتفاقاً قلماً شهدته المجالس.

ثم سأله عبد الواحد:

لكتنا نحتاج ثلاثة رجال آخرين، يُرافقونه، ويُسندونه فمن ترون أن يكونوا؟

دار النقاش طويلاً، ثم استقر الرأي على أربعة:

زيدان العبسي: الفارس المغوار قائد الوفد.

حمسة بن غارم: العارف بدروب الصحراء، ومرشد القوافل.

لبيد بن عامر: التاجر الفصيح، والحكيم في المحافل.

ليث البطّاح: الصامت الحراس، والمقاتل إذا جدَّ الجد.

نهض الشيخ عديل بوقار، وختم الاجتماع قائلًا:

أرسلوا إلى من وقع عليهم الأختيار لتعرض عليهم
المهمة،.....

كان زيدان في ذلك الوقت يكُدُّ في أرضه، يمسح جبينه المتصبب عرقاً،
ويغرز فأسه في التراب بقوّةٍ وهمة، يحرث الأرض كما فعل آباءه من
قبل، فالمحاريث الحديثة لم تعرف طريقها إلى تلك البقعة بعد، وكان
الاعتماد كله على الأيدي والسواعد.

كان وجهه مائلاً إلى الحمرة، كأنما صبغ بنار الشمس، يكسوه شيءٌ من
الوسامة الريفية الخشنة، وعيناه كحطتين كفرشتين من ظلام الليل تحت
سماء مرصعة بالنجوم. جسده، من فرط ما اعتاده من جهدٍ وعرقٍ
وتعب، بدا وكأنما خرج لتوه من صالة رياضية. يرتدي كلسوناً بنّياً،
وسروالاً ضيقاً أسود، وفانلةً عليها مصفرة من العرق.

فجأة، سمع صوت أخته "نبيلة" تصرخ من جهة البيت. التفت إليها
بسرعة وقد جحظت عيناه.

صرخ فيها، بصوتٍ ممزوج بالضيق والاستغراب: - ما بك يا بهيمة؟!

لكن صراخها ارتفع أكثر، تشدق به سكون الحقول:

- رضيعي!.. طفلي!.. أبني!

اقترب منها مسرعاً، وقال وهو يزمر:

– ما هذا الهراء؟ قولي كلمة واحدة أعرف بها عمّ تتحدثين! استعجلني!

ما به الطفل؟ وإلا شفقت رأسك بهذه الفأس!

تلعثمت، ثم نطقت وقد اختنق صوتها بالبكاء:

– لا أجده... أعطيته لحماتي، ثم ذهبت إليها لاسترجعه، فقالت إنها أعادته إلى... وأنا لا أتذكر شيئاً! بحثت عنه في كل مكان، والله لم أره!

وقف زيدان في مكانه مذهولاً، وكان الأرض ابتلعته لحظة.

ثم رمى بالفأس من يده، وصرخ وقد تملّكه الغضب والخوف معاً: – هل أضفت الطفل يا حمقاء؟! أقسم بالله إنني قلت لهم إنهم ظلموك حين زوجوك، مثلك لا تصلح حتى لتنظيف روث المواشي!

ثم انطلق يغدو، يبحث ويقلب في كل ركن وزاوية. ولحق به الفلاحون، يفتشون معه، بين أعواد القصب، وتحت الأشجار، وخلف أكواام التبن.

في حين كانت "نبيلة" لا تزال تصرخ، وتبكي، وتضرب صدرها، وقد غاب الوعي عن عينيها، وصوتها يعلو ويهدوئي مع كل ذرة تراب تقلب بحثاً عن الربيع.

فجأة، ففز الجميع في الترعة ظنًا منهم أنّ الطفل قد سقط فيها. خاضوا المياه بجنون، ينقبون في الطين ويشقّون الضباب بأعين مذعورة. ولكن لا أحد وجده.

خرج زيدان من الماء، يقلب الاحتمالات في رأسه، يحاول أن يعقل ما حدث. سار بخطى متسرعة نحو أخته، التي كانت تتنحّب بصوت يمزق السكون، وقال لها بخشونة:

— اصمتني واطبعي بهدوء ما الذي حدث؟ وأنت يا عمتّي كذلك...

قالت أخته من بين شهقاتها:

— أعطيتُ ابني لحماتي حتى أنهى عمل المنزل. وحين فرغت، ذهبت لأحضره... قالت لي إنني أخذته منها بالفعل.

ردّت العمة بثبات مُنهك:

— نعم، لقد أخذته مني ، ثم عادت بعد قليل تسأل عنه، ولما أخبرتها أنها أخذته، صرخت في وجهي تُنكِّر وتتهمني.

ثم أضافت، وهي تضرب صدرها غضباً:

— إن أصاب حفيدي مكروره بسبب فعلتها، لن أسامحها أبداً، ولن أرضي إلا بطلاقها من ولدي.

وضع زيدان يده على ذقنه، وقد غمره صمت ثقيل. دخل إلى المنزل بخطى مبللة، وفتح باب الغرفة بعينين يقظتين. راح يبحث، يتنقل بين أركان الغرفة، حتى مذ يده ورفع الناموسية عن السرير... فوجد الطفل نائماً في هدوء، كأن شيئاً لم يكن.

حمله بين ذراعيه، وخرج به من المنزل، وأمامات الحزن المرهق تملأ وجهه.

وما إن رأته أخته، حتى صاحت بفرح هستيري:

ـ ابني حبيبي أين وجدته يا أخي؟!

خطفته من بين يديه، وضمتها إلى صدرها، تقبله وتبكي كأنها عادت للحياة.

قال زيدان بنبرة حادة خالية من العطف:

ـ وجدته في موضعه... على السرير. ألم يخطر ببالك أن تبحثي في الغرفة قبل أن تجعلني عاليها سافلها؟

نظرت إليه، ودموعها تهطل على خديها، وهمست:

ـ أنا... أنا من وضعه هناك... بيدي ونسيت، أقسم أنني نسيت.

نظر زيدان إليها بسخرية مريرة وقال:

الـ أَقْلَى إِنَّهُمْ ظَلَمُوكُمْ حِينَ زَوْجُوكُمْ؟ ثُمَّ أَضَافَ بِنَبْرَةٍ أَكْثَرَ جَفَافًا: مَا لَكُ
تَبْكِينَ الْآنَ؟ لَا تَحْزِنِي، فَأَهْلُ الْبَلْدَةِ اعْتَادُوا عَلَى أَفْعَالِكَ.

ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ وَقَالَ:

اَحْضُرِي لِي شَيْئًا أَجْفَفُ بِهِ نَفْسِي.

نَأْوَلَتِهِ الْطَّفْلُ فَمَدَّ يَدَهُ يَدَاعِبَهُ بِرْفَقٍ، ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنْهُ وَهَمَسَ فِي أَذْنِهِ:

أَعُانُكَ اللَّهُ، وَصَبَرْكَ عَلَى مَا أَبْثَلَيْتَ بِهِ، يَا بْنِي...

سَمِعَتْهُ أُخْتُهُ، وَسَأَلَتْهُ بِدَهْشَةٍ:

مَاذَا تَقُولُ لَهُ؟

اَخْذَ مِنْهَا قِمَاشَةً بِيَضَاءٍ ثُمَّ نَأْوَلَهَا الْطَّفْلُ مَجْدَدًا وَأَجَابَ، وَهُوَ يَسْتَدِيرُ
مِبْتَعِدًا:

لَا شَيْءٌ... أَوْصَيَهُ بِرَبِّ الْوَالِدَيْنِ.

لَمْحَ زِيدَانَ مِنْ بَعْدِ شَخْصًا يَقْتَرَبُ نَحْوَهُ، وَهُوَ يَلْوَحُ بِيَدِهِ، حَتَّى اقْتَرَبَ
وَقَالَ:

كَيْفَ حَالَكَ يَا زِيدَانَ؟

أَجَابَ وَهُوَ يَمْسِحُ الْعَرْقَ عَنْ جَبَنَيْهِ:

ـ بخير يا سعد... ما الأمر؟

قال سعد، وهو يلتقط أنفاسه:

ـ الشيخ عديل يطلب حضورك إلى مجلس الشيوخ حالاً.

سأله بقلق:

ـ هل حدث شيء؟

ردّ وهو يخفض صوته:

ـ غير مسموح لي أن أقول. تعالَ معي وستعرف كل شيء.

قال زيدان وهو ينظر إلى ملابسه المبللة بالعرق والطين:

ـ دعني أبدل ثيابي أولاً، ألا ترى ما أنا فيه؟

فقال سعد بجدية:

ـ إذن أسرع... الأمر لا يحتمل التأخير.

"ركوب المصير"

غاب زيدان دقائق قليلة، ثم خرج مسرعاً ولحق بسعد. وما إن وصلا إلى بيت الشيخ عديل، حتى فوجئ الجميع الرجال المختارين جالسين هناك، وأمامهم مجلس الشيوخ بكامل هيبته ووقاره.

رَبُّ الشِّيخ عَدِيلٌ بِالْحَاضِرِينَ بِحَرَارَةٍ، ثُمَّ نَهَضَ وَقَالَ بِصَوْتٍ جَهُورِيٍّ:

يَا رَجَالَ الْعَاقِيرِ، اجْتَمَعَ شِيوخُ الْبَلْدَةِ لِلَّيْلَةِ الْبَارِحةِ، وَتَشَاءُرُوا مَطْوِلًا،
ثُمَّ اسْتَقَرَ الرَّأْيُ عَلَى اخْتِيَارِكُمْ أَنْتُمُ الْأَرْبَعَةَ لِحَمْلِ رِسَالَةٍ إِلَى حَاكِمِ مَصْرَ.

سَادَ صَمْتٌ مَشْحُونٌ، وَرَاحَ الشِّيخُ عَدِيلٌ يَتَنَقَّلُ بِنَظَرِهِ بَيْنَ الْوِجْوهِ،
يَقِيسُ وَقْعَ كَلْمَاتِهِ عَلَى مَلَامِحِهِمْ، ثُمَّ تَابَعَ:

هَذِهِ لَيْسَ مُجَرَّدَ مَهْمَةً... إِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَرِبَّما الْفَرْصَةُ الْأُخْرَى لِإِنْقَاذِ
قَرِيَّتَنَا مِنْ لَعْنَةِ النَّذَاهَةِ: فَإِنَّمَا أَمَلْنَا فِي النَّجَاهَةِ، وَكُلُّنَا ثَقَةٌ فِي رِجُولَتِكُمْ.
وَمَنْ يَرْغُبُ فِي تَحْمِلِ هَذِهِ الْمَسْؤُلِيَّةِ فَلْيُعْلَمْنَاهَا إِلَآنَ، وَمَنْ لَا يَرْغُبُ،
فَلَيَكُنْ شَجَاعًا وَيُصْرَحُ بِرَأْيِهِ، فَلَنْ نَلُومَهُ.

نَظَرُ الرِّجَالِ الْأَرْبَعَةِ إِلَى بَعْضِهِمْ، وَكَانُ بَيْنَهُمْ اتْفَاقٌ صَامِتٌ. ثُمَّ كَانَ
زِيدَانُ الْعَبْسِيُّ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ، وَقَالَ بِصَوْتٍ ثَابِتٍ:

يَا شِيخَ أَتَشْرَفُ بِذَلِكَ فَالْتَّضْحِيَّةِ فِي سَبِيلِ نِجَاهَةِ قَرِيَّتَنَا لَا يُقَارِنُ. وَإِنَّ
مَتُّ فِي الطَّرِيقِ، فَذَلِكَ أَشْرَفَ مِنْ أَنْ أَحْيَا وَأَرَى أَرْضَنَا ثُبُّلَعَ تَحْتَ ظَلَالِ
الرَّعْبِ.

تَلَاهُ حَمْزَةُ بْنُ غَارِمٍ، وَقَالَ بِابْتِسَامَةَ هَادِئَةَ وَنَظَرَةَ عَازِمَةٍ:

الطَّرِيقُ مَحْفُوفٌ بِالْمَخَاطِرِ، لَكُنِّي وُلَدْتُ لِذَلِكَ وَسَادَهُ، وَلَنْ أَعُودَ إِلَّا
وَمَعِي خَلَاصُ هَذِهِ الْبَلْدَةِ.

أما لبيد بن عامر، فوقف بنبرة واثقة، وقال:

لست مقاتلاً كرفافي، لكنني أجيد الحديث، والحكمة سلاحي. سأتكلم،
وسأقنع، وسأفعل ما بوسعي لنصل إلى مبتغانا.

ثم قال ليث البطاح بهدوء يشبه الليل قبل العاصفة:

قاتلت إلى جوار إخوتي في أحلك الليالي، ولن أتركهم الآن. أنا معهم،
حيّاً أو محمولاً على الأكف.

ابتسم الشيخ عديل، ورفع يديه إلى السماء، ثم قال بخشوع:

الحمد لله الذي رزقنا أمثالكم. قراركم شرف لنا، وموافقتكم دليل
اخلاقكم. لقد أثبتتم أن رجال العاقير لا يخافون الموت، إذا تعلق الأمر
بالأرض والعرض والكرامة.

ثم أضاف بحزم:

نبداً من الآن التحضير للمهمة. أمامكم أيام قليلة لتجهزوا أنفسكم، فقد
يكون الطريق طويلاً ومحيفاً، لكنه لا يخيف من يحمل في قلبه العزيمة.

وفي لحظة مهيبة، رفع الشيوخ أيديهم بالدعاء، وانطلقت أصواتهم في
المجلس:

اللهم احفظهم في طريقهم، وسدّ خطاهم، واجعل النصر حليفهم.

وبهذا، بدأت الرحلة، لا على الأقدام فقط، بل في أعماق المجهول... إلى قلب مصير غامض، لا يعرف أحد كيف سينتهي.

وبعد ثلاثة أيام اجتمع أهل البلدة في الساحة يتبعون المصير الغامض الذي ينتظر أبناءهم المختارين. كانت الشمس مشرقة، والسماء صافية، لكن القلوب مثقلة بالقلق. أربعة رجال وقفوا في صمت، يرافقهم أربعة خيولسوداء ضخمة، تتنفس بثقل، وكأنها تدرك المهمة التي تنتظرها.

وقف الشيخ عديل، بهيبيته المعهودة، على منصة مرتفعة تخترقها أشعة الشمس، ورفع يده يخاطب الحاضرين:

ـ يا أبنائي، هذه الخيول ليست مجرد وسيلة تنقلكم عبر الصحراء الشاسعة، بل هي رفقاء دربكم. احرصوا عليها كما تحرصون على حياتكم، فهي رمز قوتكم، وحليفهم في هذه الرحلة. سروا بحذر... وعودوا بسلام.

وما إن سكتت كلماته حتى اندفع رجل من الجهة الجنوبية، يركض بصعوبة، وملامح الإصرار تملأ وجهه المغبر. كان مصطفى نفسه.

رجل أربعيني، في ذقه بعض شعر أبيض، وعياته بلون أخضر مائل للزرقة، تشتعلن بالحياة والغضب معاً. جسده متوسط البنية، لا هو بالنحيل ولا الممتليء، يرتدي جلباباً مهترئاً مرقاً عند الكتفين والركبة،

وقد لطخه الغبار. وقف يلهمث، والعرق يتصلب من جبينه، بينما تتعلق به أنظار الجمع.

سأله الشيخ عديل بنبرة تعلوها الدهشة:

ما الذي أتى بك يا مصطفى؟ هذا ليس مكانك.

رفع مصطفى رأسه، وصوته يحمل من الألم بقدر ما يحمل من التصميم:

جئت لأرحل مع المختارين إلى مصر.

ازدرد الشيخ عديل غضبه وهو يرد بحزم:

مصطفى، مجلس الشيخ لم يخترك لهذه المهمة. قرارات المجلس لا تناقش، ولا يعرض عليها.

لكن مصطفى لم يهتز، بل ارتفع صوته مملوءاً بالمرارة والغضب:

عن أي حق تتحدث ياشيخ؟ هل عانيتَ ما عانيتَ عندما قتلت ابنتي؟ أنتم تتحدثون عن الحق وتتركون الأحق. وعدني لابنتي بثينة أن أثار لروحها المهدورة يمنعني كل الحق. سأذهب إلى مصر، ولن يمنعني أحد، حتى أنت.

سكن الجمع للحظة، والأنظار معلقة بالشيخ عديل، الذي ابتسم بهدوء قاتل، وقال:

مصطفى... هل تدرك ما يعنيه التمرد على قرارات مجلس الشيوخ؟
العقاب معروف.

رد مصطفى دون تردد:

أعلمه جيداً. رأيته مراراً. ولن أتراجع حتى لو كانت حياتي الثمن.

رفع الشيخ عديل حاجبه قليلاً، ثم التفت إلى أحد الرجال خلفه:

يا زعرا... أحضر مارق.

لم تمض دقائق حتى عاد زعرا، يقود فرساً أبيضاً ذا عيون زرقاء متوجة، فروعه الكثيف يتطوير مع كل خطوة، وحجمه الضخم يجعله يبدو أسطورياً وسط الخيول السوداء. ما إن اقترب حتى توقفت الأنفاس.

اقرب الشيخ عديل من مصطفى، وقال:

خذ مارق. هذه فرصتك الأخيرة لتبين أنك تستحق هذا الدور. أخيب ثني... وستعود إلى العقير أسيراً، إن عدت.

مد مصطفى يده نحو لجام الفرس، ولمعت عيناه بالامتنان والغضب معاً. ثم التفت إليه الشيخ مرة أخرى، ولوح بيده نحو صندوق خشبي صغير وضع إلى جوار المنصة، قائلاً:

وخذ من هذا الصندوق به زيك الجديد، مثل رفاقت.

اتجه مصطفى ببطء نحو الصندوق، فتحه أمام أعين المئات، وخلع جلابيه المهترئ دون خجل، ليبقى بملابسـه التحتية الفضفاضة، كشخص ولد من جديد، ثم اختار من الصندوق ثوبـاً عتيق الطراز، كان من بقايا مقايضة قديمة مع أهل الشام عندما كانت البلدة تصدر الكـتان. قميص من نسيج كـحلي، بأزرار نحاسـية، وسروال قصير يصل لما تحت الركبة، وصدرية قماشـية داكنـة مطرزة بخيوط دقيقة، مع وشاح أبيض يلف به خصره.

ارتدى الثياب بخفـة ووقار، وسط نظرات صامتـة تحمل الاحترام والرـهبة، ثم صعد على ظهر مارق كـائناً ولـد ليركبـه. استقام بجسده، واستدار نحو الشيخ قـائلاً:

ثقـتك في محلـها... وستعلم ذلك قـريباً.

على وقع الدعـوات والأمل، انطلق المختارون الخمسـة، ومعهم مصطفـى، في رحلة لا يعلم أحد مـداها، لكنـهم جميعـاً حملـوا أعبـاء قـرية بأكملـها، وأمامـاً معلـقة على أكتافـ الخيـول والقلـوب.

((الفصل الثاني: نعمة أم نـقمة))

خرج الرجال من "العاقير" يتقَدّمُهم مصطفى على الفرس "مارق". وبينما كانوا يركضون عبر الأرضي القاحلة، تعلى نعيق الغربان في السماء الرمادية، تبادلوا النظارات، وقد ارتسمت على وجوههم ملامح الانكسار، كأنها نذير شؤم سيلاحقهم.

قال مصطفى:

ـ قلبي معكم... لم هذا العبوس نحن لم نتحرك سوى خطوات، فكيف ستكون وجوهكم إذا اقتربنا من مصر؟

رد لبيد بسخرية:

ـ مصر؟ وهل سنصل إليها أصلًا؟

أجابه مصطفى بحزن:

ـ وإن لم نصل، أليس من الرجلة أن نحاول؟ لن نعود خالي الوفاض، وإن عدنا، فعودتنا تعني فقط أن الموت أجل موعده.

ثم رفع صوته نحو مارق: ـ هي يا مارق، أسرع أريد أن أصل قبل أن تومض عيني.

وقف "مارق" على قائمتيه الخلفيتين، ولوح بحوارفه الأمامية في الهواء، ثم انطلق بسرعة خاطفة انفجر الرجال بالضحكة، فقال حمزة:

أسرعوا خلفه، وإنما وصل إلى مصر وتركنا في منتصف الطريق.

وبعد ساعات من السير، حل الظلام.

اشار ليث: لسترح هنا الليلة.

أو ما مصطفى: أوافقك الرأي.

ترجّل الرجال، وانطلق زيدان حاملاً فأسه بين الأشجار باحثاً عن حطب يابس. وبعد وقت، عثر على شجرة متآكلة فقطع منها بعض الأغصان، وربطها في حزمة على كتفه. لكنه حين استدار للعودة، لم يجد أحداً.

سكون ثقيل خيم على المكان، لا صوت سوى حيف الشجر... حتى سمع صوتاً خافتاً ينادي، صوتاً قريباً مفعماً بالحنين والرعب:

يا زيدان... تعال إلى جدتك... ألم تشتق لعاقها؟

تجدد زيدان في مكانه، وقد شحب وجهه، عيناه تسمرتا في الظل الذي بدأ يتراقص حوله بسرعة غريبة.

جدتي ثرين؟! أين أنت؟ وكيف وصلت إلى هنا. قالها مذهولاً. وبعدها ألقى الأخشاب على الأرض، وقبض على فأسه بحذر. تطلع حوله يتبع مصدر الصوت، الذي عاد مجدداً، لكنه أقرب هذه المرة، وهمس في أذنه:

ألا تود معانقة جدتك التي تحبك أكثر من نفسها؟

كان قلب زيدان يخفق بشدة، لكنه تتمم ببرود متواتر:

كانت ستنطلي على الخدعة .. لو لم أكن قد دفت جدتي بيدي قبل يومين!

عندما، دوى صاحب ساخر من قلب الظلال، تبعه الصوت نفسه وهو يهمس مهدداً:

دفنتها قبل يومين... وسأدفعك اليوم.

صاحب زيدان وهو يرمي فأسه نحو مصدر الصوت بكل ما أوتي من قوة، ثم رکض بجنون، حتى ارتطم بجسد مصطفى.

سأله مصطفى بقلق:

ما بك يا زيدان؟

أجابه وهو يلهث، وقد انعقد الذعر في وجهه: إنها هنا...

تغيرت ملامح مصطفى: أتهزا بي؟ كيف ذلك؟

لا أعلم... لكن يجب أن نهرب!

نظر مصطفى حوله، ثم صاح بصوت حاد:

هيا يا رجال! اجمعوا متابعكم، بسرعة...

..تسارع الرجال في جمع أغراضهم، وكل منهم امتطى جواده في سرعة، ثم انطلقوا في عجلة عبر الظلام.

قال حمزة وهو يلتفت إلى زيدان:

لقد كانت الخيول ترکض منذ الصباح، كيف استطاعت النداهة أن تلحق بنا؟

رد زيدان بصوت متسرع، وكأنما يحاول أن يهرب من أفكاره:
لا أعرف... لكنها نادت باسمي. نادتني بصوت جدتي. سرتقتني إن توفرت.

حاول مصطفى تهدئة الموقف، قائلاً:

لا تخاف، نحن معك.

لكن زيدان رد بنبرة متوترة، بينما عرقه يلمع على جبينه:
وماذا ستفعلون؟ لن أترك فرسي حتى أصل مصر.

اقرب مصطفى منه، محاولاً إخفاء قلقه:

لا تكن مثل الأطفال. قلت لك لا داعي للخوف.

رفع زيدان رأسه ونظر إلى الأرض، ثم قال بمرارة:

ما أسعدهك... فآتت لم تثأد فلا تعرف كيف هو صوتها. النداهة لا تنايك لتخيفك فقط، بل لتمسك بروحك... تقول لي لا تخف اليست هذه هي الكلمات التي قلتها لبثنينة... (لا تخافي، لا تخافي).

وفي لحظة خاطفة، لم يكتفِ مصطفى بالكلمات. قفز من فوق فرسه "مارق" واندفع نحو زيدان، وأسقطه أرضاً، وبدأ يُوجّه إليه الكلمات، وعيناه تقدحان بالغضب المكتوم.

نزل حمزة ولبيد سريعاً، وجذباً مصطفى بعيداً بكل قوة. صرخ مصطفى، بنبرة يحفرها الألم أكثر من الغضب:

دعوني أقتله، دعوني!

رد حمزة بجسم:

وماذا بعد قتيله؟ وماذا بعد أن نفقد أرواحنا جمیعاً؟ هل ستعود العاقير؟
نحن خرجنا من أجفهم، فهل نبدأ بتحطيم أنفسنا منذ الليلة الأولى؟

ثم أشار نحو زيدان وقال:

احرص على ألا يزداد خوفك، وكن حذراً، حتى لا ينعكس هذا الخوف على الجميع. مصطفى كان يحاول مساعدتك، لكنك أساءت إليه بذكر ابنته الراحلة، وهذا لا يليق.

ثم أكمل بصوت أقل حدة، وهو ينظر إلى زيدان مباشرة:

نحن نعلم من هو زيدان... نعلم أنك قوي، وأشدنا بأساً، لكن ما رأيناه الليلة ليس زيدان الذي نعرفه. فهذا ما تفعله النداهة... لا تأخذ الجسد، بل العقل فاستيقظ، وارجع اليها كما عهدناك..

نظر زيدان إلى حمزة بعيون مليئة بالندم، ثم مسح الدم عن فمه بظهر يده، وقال بصوت مكسور، وكأنما يعود إلى ذاته:

سامحني يا أخي... لقد أخذ صوتها عقلِي فلم أدرِ ما قلت. أعدك سناًخذ بثأر بثينة، وكل من قُتلوا معها. ثم احتضن زيدان مصطفى بقوّةٍ أما مصطفى، فقد ترك ذراعيه تتذليلان بجاتبه، متيسسين كائناً فقدت فيهما الحياة، وانزلقت دمعةٌ يتيمةٌ من عينيه، دمعةٌ رجلٌ جَلَّته المصائب، لا يبكي إلا حين يفيض الكيل. كان قوياً في صمته، صلباً في حزنه، لكن النداهة، ذلك الشر الكامن، لم تترك قلبه إلا مشروحاً، وعقله إلا متأرجحاً بين الصحو والهذيان.

وبعد لحظاتٍ، رفع يده ليرد العناق بصمتٍ ثقيل، وقد علا وجهه شحوبُ الحزن، وانكمش قلبه كأن يداً خفيةً تعصره من الداخل.

. لم ينم أحدٌ تلك الليلة فأجسادهم كانت جاثمةً، وعيونهم ساهرة، وعقولهم مشدودة إلى ظلالِ ما رأوه وسمعواه.

أربعة أيامٍ طويلةٍ مرت عليهم كالدهر، دون نومٍ ولا راحةً. كانوا يقطعون الصحاري الممتدة تحت شمسٍ حارقة، يتعثرون في الرمال، ويشدون الحال على ظهور الدواب حتى لا تنهار، تتبدل وجوههم بالغبار، وتتشقر أقدامهم من شدة السير. جلساً مراراً على الرمال الملتهبة، يلقون بأنفسهم جوار صخورٍ باردة، يتقاسمون ما تبقى من ماءٍ عكر وطعمٍ يابس. لم يكن في الحديث متسع، ولم تكن المزاحمة على الراحة خياراً، فالكل متعب، والكل مشغول بما رأى وما ينتظره.

ومع كل هذا، كانوا في حيرةٍ وغرابة، إذ لم يظهر لهم شيءٌ. لا نداءٌ غامضٌ في الليل، ولا ظلٌّ غريبٌ في الرمال، لم تخرج لهم النداهة مرةً أخرى، ولم تقاطع طريقهم الوحوش التي حذّرهم منها شيوخ قريتهم.

تلفتوا أكثر من مرة، تساؤلوا همساً:

ـ لماذا لم تلحق بنا؟

ـ أم أنَّ في مصر شيئاً يمنعها؟

لكنهم لم يتوقفوا، بل ضموا خوفهم في صدورهم، وظلّوا يذكرون الله بين أنفاسهم، ويدعون بصوتٍ مرتجفٍ:

ـ اللهم سلم... اللهم سلم.

حين وطئت أقدامهم أرض مصر ، أدهشهم اتساع الشوارع وكثرة البشر. القاهرة كانت تعج بالحركة، لكنها ليست صاحبة كما تخيلها القادمون من العاقيـر. الطرق مرصوفة بالأحجار، والدكاكين على جانبي الشوارع، تفوح منها رائحـة التوابـل والقهـوة والدـخـان. العربـات تجرـها الخـيـول، والبـاعة يصرخـون بـسمـيات بـضـائـعـهـمـ. والمـبـانيـ كانـتـ عـالـيـةـ علىـ غـيرـ ماـ اعتـادـوهـ، بـعـضـهـاـ مـطـليـ بـالـجـيـرـ الأـبـيـضـ، وـالـبـعـضـ الـآـخـرـ بـأـحـجـارـ رـمـاديـةـ . وـالـرـجـالـ يـرـتـدـونـ الطـرـابـيـشـ وـالـعـبـاءـاتـ الـوـاسـعـةـ، وـالـنـسـاءـ يـغـطـيـنـ وـجـوهـهـنـ بـالـنـقـابـ.

توقفوا أمام قهـوةـ شـعـبـيةـ - لمـ تـكـنـ مـقـهـىـ بـالـمـعـنـىـ الـحـدـيـثـ، بلـ مـكـانـ أـشـبـهـ بـالـرـكـنـ، يـضـعـ فـيـهـ صـاحـبـهـ بـضـعـ كـرـاسـ خـشـبـيـةـ وـمـوـقـدـاـ صـغـيرـاـ لـلـنـارـجـيلـةـ، وـيـقـدـمـ الشـايـ فـيـ أـكـوـابـ زـجاـجيـةـ صـغـيرـةـ. جـلـسـواـ لـيـسـتـرـيـحـواـ قـلـيلاـ، وـهـنـاكـ اـقـتـرـبـ مـصـطـفـىـ مـنـ رـجـلـ مـسـنـ، لـحـيـتـهـ بـيـضـاءـ كـثـيـفـةـ، يـجـلـسـ يـدـخـنـ الشـيشـةـ وـعـيـنـاهـ نـصـفـ مـغـضـتـيـنـ. سـأـلـهـ مـصـطـفـىـ:

يا عم، أين يمكننا العثور على قصر إبراهيم باشا؟

نظرـ الشـيـخـ إـلـيـهـ بـدـهـشـةـ، وـقـالـ وـهـوـ يـنـفـثـ دـخـانـ النـارـجـيلـةـ: أيـ إـبـرـاهـيمـ؟ أـوـضـحـ حـمـزةـ وـقـدـ عـلـاـ صـوـتـهـ بـالـدـهـشـةـ:

إبراهيم باشا... حاكم مصر. ضحك الرجل ضحكة مغموسة بالأسى
وقال: إبراهيم باشا ثُوفي يا ولدي من سنين... كان ذلك في 1848. الآن
الحاكم هو عباس حلمي، ابن أخيه.

سأله مصطفى بسرعة ولهفة: وأين نجده الآن؟

أجاب الرجل وهو يبتسم ابتسامة مريحة: قُتل البارحة، في قصره
بنيها...

سقط الخبر عليهم كالصاعقة. صمتوا لأن الهواء اختفى من المكان.
لبيد قال ساخراً وهو يحاول أن يضحك من الألم: كلما اقتربنا من
الحل... نجد أن الإجابة قد حذفت.

رد زيدان بنفاذ صبر: أصمت ودعنا نذهب إلى البشوارات، لعلهم
يستمعون.

لكنهم اصطدموا بالواقع. حاولوا الوصول إلى كبار المسؤولين، طرقوا
أبواب البكوات والولاة، لكن كل محاولاتهم باعثت بالفشل. بعضهم
طردتهم من عتبات القصور، وبعضهم اتهمهم بالجنون: "النداهة؟ أهي
لعبة جديدة لاستدرار الأموال؟

مرّ شهر كامل وهم يواجهون التهم والرفض والبرد والجوع، حتى تلك
الآمال الصغيرة التي حملوها من العاقير بدأت تذبل.

في إحدى الليالي، كانوا يصلون في مسجد صغير بحى الجمالية، ارادوا النوم بعد انتهاء صلاة العشاء لكن إمام المسجد طردهم قائلاً: المكان ليس للنوم! إن كنتم فقراء فاذهبا إلى الخان.

استأجرموا غرفة ضيقة من خشب في حوش شعبي، ليومين فقط، بنصف المال الذي بقي معهم. كان الهواء لا يدخل الغرفة إلا عبر نافذة صغيرة مكسورة، والفرش من قش يابس، لكنهم شعروا بالأمان المؤقت.

قال زيدان وهو ينظر إلى السقف: البقاء هنا لم يعد له فائدة. يجب أن نعود.

رد ليث: والعودة الآن أيضًا بلا فائدة.

قال مصطفى بحزم: زيدان معه حق الحل في العودة، لا في البقاء. فالعاير تحتاج كل فرد من شبابها..

"ضياع"

مع أول شعاع للضياء، صرخ الديك من مكانٍ بعيد كأنه يُطلق أمراً بالرحيل. استيقظت الخمسة دفعةً واحدة، نهضوا بسرعةٍ خفيفة، وجمعوا أمتاعهم بصمت، وكأنهم يسرقون الزمن. لم يتبدلوا الكثير من الكلام، كانت الوجوه متعبية، والقلوب متراجحة بين المرارة والإحباط ، خرجوا من الغرفة المستأجرة، وأغلقوا الباب بهدوء، وتركوا خلفهم مصر

تخيم عليهم مثل ظلٍ ثقيل، وهم يدركون تماماً أن العودة لن تغير شيئاً، لكنهم قرروا أن يعودوا رغم كل شيء.

ركبوا خيولهم المتعبة، ومضوا خارج حدود المدينة. كانت الشوارع خالية إلا من عجوز يكنس أمام حانوته، ورائحة الخبز تتسلل من فرن صغير. على الرصيف، جلس صبيٌّ يبيع التين المجفف في صينية نحاس، يرقبهم بنعاسٍ متراكم.

واصلوا المسير بصمت، والريح تعصف بملابسهم، تدفعها للخلف وكأنها تمانع هذا الرحيل.

مرت الساعات ببطءٍ خاتق، لا يسمع فيها إلا صوت حوافر الخيول وهي تضرب الرمل اليابس. فجأة، كسر الصمت صوتٌ لبيد، وقد همس بطبع:

أين نحن؟

نظر حمزة حوله وهو يضغط على جبهته، وقال بضياءٍ:
لا أعلم... كنا نسير في نفس الطريق، لكن الآن... لا شيء هنا يُشبه أي مكان.

ضحك زيدان فجأة، ضحكة ساخرة ومجونة، وقال وهو يمد يديه في الهواء كالممثلين:

لا تقولي إننا أضguna الطريق، آه، انتظروا، دعوني، سأبكي... إهي،
إهي، إهو.

نظر إليه ليث بنظرة حادة، وقال بجمود:

هل تظن الوقت مناسباً للمزاح؟

لكن زيدان لم يتوقف، بل تمادى في الضحك، وأضاف بصوتٍ مختلطٍ
بالمرارة:

ولم لا أصحك؟ إذا لم أصحك الآن، فمتى؟ أمي ماتت، وفقدت عائلتي
ولم يتبقى إلا اختي ولن استطيع الرجوع إليها ، لا شيء أمامي إلا
الموت. إهي، إهي، إهو...

اقرب منه ليث، وقال ببرودٍ مضغوطٍ:

كفى عبئاً. سنتجه شرقاً، لعلنا نجد طريقاً أو مأوى.

رفع زيدان يديه كمن يستسلم، وقال وهو يبتسم ابتسامةٍ باهتةٍ:

كما تشاء، يا سيدي... إهي، إهو...

تنهد مصطفى بقوة، ثم قال للجميع:

فلنواصل السير ولنتحلى بالصبر، فقط الصبر.....

استمر السير عبر الصحراء لخمسة أيام. الشمس تصبّ عليهم نارها بلا رحمة، والرمال تلسع أجسادهم العارية من الأمل. نفد الطعام والماء، ولم يبقَ معهم إلا أحلام خافتة. الخيول تساقطت واحداً تلو الآخر، ولم ينج إلا مارق، الذي كان يجر نفسه كأنه يموت مع كل خطوة.

كانوا كأشباح تمشي تحت سماء لا تذكّرهم، في زمنٍ نسي أن يمنحهم حتى نقطة ماء.

قال حمزة بصوت خافت، لكنه مشبع بالعزّم:

لن نموت دون قتال. وسنستمر حتى النهاية.

رد مصطفى، وهو يفتح فمه بصعوبة:

يا رب، أخرجنا من هذا... أخرجنا.

لبيد، وقد بدأ صوته يتكسر، قال:

تركت ابواي في العقير، أنا وحيدهم وإن مت الآن من سير عاهم..

نظر ليث إلى وجهه، وقال بثباتٍ رغم الجوع والعطش:

الله لن يتركنا.

ألقى زيدان نفسه على الرمال بينما يتنفس بشغل ويشدّ من شفتيه القاحتين، ثم قال بصوت خافت وهو يلهمث:

أحتاج إلى الماء... جفت شفتي... إهي... إهي... أهو.....

لم يتمالك ليث نفسه، رغم التعب الذي نخر جسده، فانفجر ضاحكاً
بضحكه جافة، وزحف إلى زيدان وهو يضحك، ثم ضربه بخفة على
مؤخرة رأسه وقال مازحاً:

لو لم أرك تتنفس، لظننتك فردة حذاء مرمية في الصحراء.

لكن زيدان لم يرده، فقط ثبت نظره على الأفق، ثم همس فجأة بنبرة
متوترة: لحظة... هناك... أرى شيئاً...

رفع ليث عينيه وأجاب بعد لحظة من التركيز:

إنه كوخ... هناك كوخ !!!

رد حمزة بتعب ونفاد صبر:

توقفوا عن الهذيان، أنتم تهلوسون من الجوع والعطش.

لكن زيدان أصرّ وهو ينهض فجأة، يلوح بذراعيه ويشير نحو بقعة
داكنة بعيدة:

أقسم لكم أنني أراه...

تبادل مصطفى ولبيد النظارات، ثم قال مصطفى وهو يحدّق في الاتجاه
ذاته:

ـ هو على حق... يبدو أنه كوخ فعلًا.

انطلقت صيحة فرح من ليث، وقفز ليعانق زيدان، كأنهم وجدوا الخلاص أخيرًا.

ركض الأربعية بكل ما تبقى لهم من طاقة، تتقاذفهم الرمال والأعمال، بينما تبعهم مصطفى بخطى أثقل، يسحب جواده مارق الذي بدا منهًا، وهمس له بهدوء:

ـ اصمد قليلاً يا مارق.

وصلوا إلى الكوخ، كان بسيطًا، مصنوعًا من أعواد خشبية مربوطة ببعضها، وسقفه مغطى بالقش.

تقدّم ليث، يطرق الباب بلهفة، وصوته المرتجف يشقّ الصمت:

ـ هل من أحد؟ نحن على وشك الموت!

لحظات مرت كأنها دهر، قبل أن يفتح الباب ببطء، وتطلّ منه فتاة في أوائل العشرينات.

كانت جمالاً نادراً وسط القحط، وجهها يشعّ نقاءً، عيناهَا واسعتان كقررين، وشعرها الطويل ينسدل من تحت وشاح أبيض يعكس نور الشمس بلطف، ويسيرتها ناصعة كاللبن، تنطق الحياة من ملامحها، وفي عينيها لمعة غامضة يصعب تفسيرها.

تأملتهم لحظة بصمت، ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت بصوت دافئ:

ـ مر وقت طويل منذ أن زارني أحد.

ـ ثم أضافت بنبرة مطمئنة:

ـ ما الذي تحتاجونه؟

أجاب ليث بصوت متقطع، يكاد ينهاز:

ـ نحتاج الماء... نفدت مؤونتنا، وخیولنا ماتت من العطش ولم يتبقی الا
هذا ... ونحن الآن مثلها نموت.

ـ هرّت رأسها بتفهم وقالت بهدوء:

ـ تفضلوا بالدخول.

دخلوا الكوخ، كان بسيطاً لكنه دافئ، أرضه مفروشة بسجاد مزخرف
بدوائر دقيقة، تبعثر منه لمسة حنان وسط الصحراء القاسية.

أحضرت لهم الفتاة دلواً من الماء، ووضعته في إناء خشبي واسع،
فدافعوا نحوه يشربون بنهم، كأنهم لم يعرفوا طعم الماء من سنين.

ـ قالت وهي تراقبهم تبتسم:

ـ لا تقلقا فالماء هنا لا ينفد.

نظر إليها مصطفى بتعب وهو يمسح فمه:

اعذرنا فمنذ يومين لم نذق الماء...

نادت الفتاة بصوت واضح:

طيدا!

خرجت امرأة في الثلاثينيات من عمرها، وجهها هادئ، وملامحها وقورة.

قالت بخضوع:

نعم، سيدتي.

قالت الفتاة:

اكرمي ضيوفنا، واعتنِ بالجواب الذي بالخارج أيضًا.

أجبت طيدا:

أمرك، سيدتي.

همس لبيد وهو يراقبها:

من تكون طيدا؟

أجبت الفتاة ببساطة:

إنها خادمتى.

نظر إليها زيدان وقال وقد بدا عليه بعض التردد:

ما اسمك؟

ابتسمت، وقالت بهدوء:

اسمي هاتور.

هاتور... أرجو ألا أزعجك، لكن ما الذي أتى بك وخادمتك إلى هذا المكان الثاني؟

أنا أُعشق الصيد وأحب الانعزال من حين لآخر. فبنيت هذا الكوخ بنفسي، لي أقضي فيه يومين كل شهر بعيداً عن صوضاء البشر.

حضرت طيدا طعاماً بسيطاً لكنه شهيٌّ، محمولاً على حاملٍ دائري ضخم من الخشب المطعم بالنحاس، وضعته في وسط الدائرة التي التفوا فيها. كان الخبز لا يزال دافئاً، وإلى جانبه لحم مشويٌ تفوح منه نكهة التوابل المحمصة.

هاتور جلست بهدوء إلى جوارهم، ثم قالت بابتسامة رقيقة وهي تشير إلى الطعام:

تفضّلوا، كلوا حتى تشعروا، فلا حديث مع جائع.

لم ينتظروا دعوة ثانية؟ كأن الجوع الذي قاسوه في الأيام الماضية انقضَّ عليهم دفعة واحدة. تناولوا الطعام بشرابة، والعيون تبرق، والقلوب تلهج بالشُّكْر. كان اللحم ناعماً، يذوب بين الأسنان، بطعمه الذي لم يسبق لأحدٍ مِنْهُ أَذْاقَ مثْلَه.

مسح حمزة فمه بطرف كُمه، ونظر إلى هاتور متعجبًا:

ـ ما نوع هذا اللحم؟ لم أدق أطيب منه في حياتي.

أجابته بابتسامة هادئة:

ـ لحم غزال، ولقد تم اصطيادهاليوم مع شروق الشمس.

ظلَّت هاتور تراقبهم بعينيها المتسائلتين، وحين هدأت أيديهم عن الأكل، وألقى كلُّ منهم تنهيدة الشبع، سألتهم بهدوء:

ـ من أنتم؟ وكيف وصلتم إلى هنا؟

نظر مصطفى إلى وجهها، وقال بنبرة أنهكها التعب:

ـ اسمي مصطفى وهؤلاء أصحابي لبيد، وحمزة، وليث، وزيدان. خرجنا من قريتنا لنقابل حاكم مصر لكن في طريق العودة، ضلَّنا الطريق... وانتهى بنا الحال هنا.

ظلَّت هاتور صامتة للحظة، ثم سالت بنبرة مستنكرة بعض الشيء:

- لماذا أردتم مقابلته ..

أخفض مصطفى رأسه، وأجاب بصوتٍ كأنه يأتي من بئر بعيدة:

قريتنا العاقير تعاني من بلاءً غامض. مخلوقٌ لا يُرى، ولا يُهزم، يخرج ليلاً ويقتل البشر، نسميه النذاهة جربنا كلَّ شيء لقتله ولم نستطع ان نوقفه ، الى أن قرر شيخ القرية إرسالنا إلى الحاكم، لترجو نجتته... لكننا عدنا صفر اليدين.

ضمّ مصطفى يديه بعصبية، وقال:

- لم يبق لدينا خيار وإن لم نجد حلًا، ستبادر قريتنا.

- أعرف طريقة لمساعدتكم.

انتبه إليها ليث، وقال بلهفة:

- كيف؟ أخبرينا!

نهضت واقفة، وعيناها تلمعان في ضوء النار:

- سأخبركم في الطريق...

قال مصطفى بسرعة، وكأن الأمر أكبر مما يتخيله:

ترافقينا؟ أنت فتاة ، صحيح أنت شجاعة، لكنكِ مازلتِ فتاة

رفعت رأسها بثقة، وقالت دون تردد:

— ربما أكون فتاة، لكنني أعرف الصحراء، وأعرف من أين نبدأ. بلدكم لا تحتمل تأخيرًا أكثر، فإما أن تتحرّكوا الآن، أو تحكموا عليها بالموت...

تبادل الأصدقاء النظارات فيما بينهم، ثم قال مصطفى:

— لا نملك رفاهية الرفض فالحاجة تبيح المحظور ونحن في حاجة.

وبعد أن نالت أجسادهم قسطاً من الراحة، وامتلأت بطونهم ، دعّتهم هاتور للخروج من الكوخ

— لن ننتظر أكثر، الوقت ليس في صالحنا... سأركب فرسي ديلا، وأنتم تناوبوا على الفرس الذي معكم ولا تخافوا، فثنا أعرف طريقاً مختصراً يمكننا قطعه سيراً على الأقدام.

كانت الشمس قد بدأت تميل عن كبد السماء، وسحب العصر تكسو الأفق بلونٍ باهٍ من ذهبٍ مشوبٍ بالرماد. استنشقت هاتور الهواء، تطلعت نحو السماء قليلاً، ثم كبحت لجام ديلا، وقالت:

— من هنا.

سارت الفرس ، وتبعها الرجال على أقدامهم.

مارق، كان يسير إلى جانبهم، وحين ينهاك أحدهم، يتبادل معه الراكب الآخر دون تذمر. أما زيدان فكان يتقدّم أحياناً، ثم يتأخّر ليطمئن على من خلفه. كان الوقت يمر ببطء، لا يُقاس بالساعات بل بالأنفاس المحترقة داخل صدورهم.

ومع دخول وقت المغرب، بدأ الصمت يُثقل على أكتافهم. وكلما عبروا تلار ملبياً أو مرروا بجذع نخلة يابسة، كان أحدهم يلتفت حوله، يبحث عن شيء لا يعلم ما هو ، أو يخشى أن يراه.

وحين بدأت الشمس تنزلق تماماً خلف الأفق، وسقط الظلام تدريجياً كستار من الحبر، توقفت هاتور فجأة، ترجلت من على ظهر ديلا، وقالت:

- سنبيت هنا.

حينها أشعل زيدان النار، وانتشر دفؤها في الهواء البارد، بينما نصب خيمة لها تور على بعد خطوات قليلة من اللهب بحيث تكون بعيدة عن الرجال لئن منح خصوصيتها، وقربيه منهم في ذات الوقت حتى لا تبقى بمفردها. لو كنت معهم ونظرت إلى السماء ستتجدها صافية، تزيّنها النجوم كأنها اثّرت عمداً فوق رؤوسهم، أما القمر فكان مكملاً، ينشر نوره الفضي على الأرض.

جلس الرفاق الستة حول النار، يتهامسون ويتبادلون القصص والضحكات الصغيرة، يطاردون بعض الكلمات سكون الليل. النيران كانت تتصاعد فأعطت المكانطمأنينة مؤقتة.

لكن فجأة، قطع لبيد حديثهم:

اصبح الطعام ساخناً.

قدم لكل منهم رغيف خبز وقطعة لحم مما أحضرته هاتور، وبدؤوا في تناول وجبتهم على مهل. غير أن اللحظة، التي بدت مثالية قبل لحظات، سرعان ما انقلبت إلى توتر غير مفهوم.

بدأ صوت الذئاب.

كان الصوت أولاً خافتاً، كان الريح تحمل أثينه من بعيد... لكنه ما لبث أن ارتفع وتکاثر، وتحول من مجرد عواء إلى معزوفة رعب. لم يكن ذئباً واحداً، بل بدا كأن قطيعاً كاملاً يتحرك في الظلام، يقترب ببطء لكن بإصرار.

توقفت الأيدي عن الطعام. انتشرت بينهم نظرات القلق وتبعت ملامحهم إلى الذعر. وضعت الأرغفة جانبًا، وببدأ البعض يتحسس خاجره، وأخرون أمسكوا بسيوفهم بإحكام. لقد أصبح الجو كثيفاً،

خائقاً، حتى أن ألسنة النار بدأت تهتز في مهب الريح كأنها بدورها خائفة.

ثم بدأ القطيع يقترب.

لم تكن خطواتهم تسمع، لكن إحساساً زاحفاً بالأقدام القادمة تسلل إلى صدورهم. كان القمر يفضح كل شيء، وجوه المذعورة ورجفة أجسادهم وحدقات العيون المتسبة.

القطيع اقترب، وكان واضحاً أنهم لا يبحثون عن الرحمة. كانت حركتهم منسقة، يتبعون قائدتهم بخطوات متزامنة، كأنهم قد قرروا الافتراض. غلّفت أصواتهم بحدق غريب، وحشرجاتهم تقطّر منها الغل.

وفجأة... وقف هاتور.

لم تقل شيئاً. فقط أغضبت عينيها، كمن يغوص في أعماق نفسه. ثم تنفست ببطء... بعمق، حتى بدا كأنها تستدعي شيئاً من مكان بعيد، من عالم آخر. ولما فتحت عينيها، لم تكن كما كانت.

عيناها تحولتا.

صارتا بيضاء بالكامل، بياضاً يشع بوجه غريب، كأنما انعكس فيهما ضوء السماوات كلها! حذقت في الذئاب... لا بنظرة خوف، بل بنظرة سيادة.

بدت كما لو أن في كل عين منها ألف عين، ترصد القطيع كله دفعة واحدة. كان فيها قوة لا تُفسّر، ولا تُحتمل.

ثم قالت بصوت هادئ... لكنه أقوى من العواء:

من كان متعلقاً بهذه الحياة، ويريد نفساً آخر... فليبتعد.

كان وقع كلماتها أشبه بالضربة القاضية. القطيع الذي بدا منذ لحظات على وشك الهجوم، بدأ يتقهقر، ويترافق واحداً تلو الآخر، وكأنهم رأوا فيها شيئاً أعظم منهم شيئاً يُرهبهم.

فجأة ولت الذئاب ببطء، ثم بسرعة حتى اختفوا وسط الظلام،

نظر مصطفى إلى رفاقه بدهشة، ثم إلى هاتور، التي كانت ما تزال واقفة في مكانتها، لأن ما حدث لا يعنيها.

وسائل نفسه بصمت:

من تكون هذه؟ لو لم تكن بهذا الجمال، لقلت إنها... النداهة.

بدت هاتور وكأنها سمعت أفكاره، أو ربما شعرت بها. نظرت إليه مباشرة، وتلاقى نظرهما للحظة أطول من أن تفسّر. ثم قالت بنبرة منخفضة، لكنها حادة

عَمْ تفَكِّر؟

رَدَّ بِتَلْعُّثٍ:

لَا شَيْءٌ... لَا شَيْءٌ...

ثُمَّ سَأَلَهَا أَخِيرًا:

مَنْ أَنْتِ؟

أَجَابَتْ بِصَوْتٍ مُقْتَضِبٍ:

أَنَا هَاتُور... هَلْ نَسِيْتَ؟

لَكُنْهَ تَمْسَكَ بِسُؤَالِهِ، هَذِهِ الْمَرَّةُ بِإِصْرَارٍ لَا يَخْلُو مِنَ الاضْطِرَابِ:

لَا، لَمْ أَنْسَ... لَكِنْ مَنْ أَنْتِ حَقًّا؟

قَالَتْ بِصَوْتٍ خَافِتٍ:

سِيَّاتِي الْوَقْتُ الَّذِي أَخْبَرْتَ فِيهِ بِكُلِّ شَيْءٍ... لَكِنْ لَيْسَ إِلَّاَنِ.

ثُمَّ اسْتَدَارَتْ، وَسَارَتْ إِلَى خِيمَتِهَا بِخُطُوطَ هَادِئَةٍ...

قال لبيد وهو يحدق في ظهرها بنبرة منخفضة، فيها من التردد بقدر ما فيها من الرهبة:

هل هي النداهة؟

لكن ليث قاطعه بسرعة:

أيها الأحمق! كيف تجرؤ على قول ذلك؟ لو كانت النداهة، ألم يكن من الأولى أن تقتلنا بدل أن تطعننا؟ كما أن النداهة قبيحة... أما هذه، فجمالها لا يُوصف.

أما زيدان، فكان كائناً تاه في تأملاته، غارقاً في سحر اللحظة وصمتها العميق. تتمم وكأنه يحدث قلبه لا رفاقه:

إنك محق... إنها ساحرة. كل شيء فيها يأسرني نظراتها، خطواتها، حتى صمتها يشبه العزف أقول لك، إن قلبي لم يعرف مثل هذا الاتجذاب من قبل.

رفع عينيه إلى السماء ثم وضع يده على صدره وقال بصوت شجي:

((ياراوي الفواد من الظما.....! رحم قلباً يابساً

كل القلوب أُسقيت..... إلا قلبي فاحلاً

وذهبْ أبَحث عن شَرْبَةٍ..... من يَدِ الجميلةِ أشَرَبْ

لو أنَّ قلبي قد سُقِي..... ما ظلَّ فؤادي مُتَعَبًّا))

مصطفى كان يتأمل زيدان بدهشة، وقال:

أتعجب منك! لم نرها سوى من ساعات قليلة، وتقول فيها شِعراً؟ نحن
لا نعلم من تكون ولا ما تخفي!

رد زيدان بهدوء فيه عمق:

وهل يحتاج الحب إلى موعد أو إذن؟ هو شعور يتسلل دون إنذار،
ويستوطن قلبك قبل أن تدركه.

ابتسم مصطفى بسخرية خفيفة:

حسناً، اذهب إليها وادعها إلى العشاء. لمست الطعام لكنها لم
تأكل.....

قال بلا تردد:

سأذهب كالبرق

ركض في عجلة ولما وصل إلى خيمتها، شعر بشيء غير مريح يتسلل
إلى قلبه. فتراجع قليلاً، ونظر من خلال شق صغير في الخيمة. تفاجأ
عندما رأى هاتور جالسة، قدماهما ملتفتان حول بعضهما، وتطوف في
الهواء كأنها جزء منه..

إيضاً كان هناك وميض خافت من النور يحيط بها، وكأنها متصلة بشيء غير مرئي.

استمع إلى صوتها الذي كان عميق ورصين، يحمل في نبراته عوالم أخرى، وكأنها لا تخاطب أحداً من هذا العالم.

هارن... يجب أن أرى والدي. أختي تحولت إلى وحش، لا تحتوي في أحشائها إلا الظلم.

يجب أن تستفيق، وإن لم يكن هناك أمل في النص.. فلا مفر من إنهاء حياتها. الشر في هذا العالم يشبه سلاسل ثقيلة، تلف حول رقباب الأبرياء. إن لم نحررهم من تلك القيود، فما جدوى بقائنا؟ لقد أصبح الباطل حقاً.. ولن أقف مكتوفة اليدين أراقب شدور وهي تواصل ارتكاب الفواحش.

ثم جاء الصوت الآخر، كأنه ينبثق من جدار الخيمة:

أنت تعلمين يا سمو الأميرة... أن الملك تهان قد حرم عليكِ لقائي، ومنعك من دخول مملكة الجن وإن علمتني رأيك، فلن يتتردد في إحرافي. فكيف سأوصل الرسالة إليه دون أن أخسر حياتي؟

الفصل الثالث: كشف الحجاب

مرة واحدة شعرت هاتور بثقل نظرات زيدان تتسلل من خلف الستار ،
فتفوّقت عن همساتها الغامضة ، واستدارت ببطء.

وحين التقى أعينهما ، انكمش الزمن لحظة لكيها لحظة أخرجت زيدان
من جسده ، وعلقته في العدم .

اختنق صدره ، ثم ترتجّ و هو على ظهره ، لأن الأرض تخلّت عن
واجبها في حمله . نهض كالمذعور ، لا ينظر خلفه ، لا يعرف إلى أين
يتجه . كل ما فيه كان يركض .

كان مصطفى يتأمل النجوم ، حين تناهى إليه صوت الأقدام المرتجفة .
التفت ، فوجد زيدان يتصلب عرقاً .

أمسكه من ذراعيه ، وثبتته :

ما الذي أصابك؟ كأنك رأيت شبحاً؟

حاول زيدان أن يبتسم ، لكن الشفاه المرتجفة لا تعرف الابتسامة . تلعم
ثم قال بصوت مختنق :

لقد... لقد رأني... نظرت في عيني مباشرةً ... والأخرى ...

توقف فجأة ثم همس لنفسه :

نادتني...

رفع مصطفى حاجبيه بدهشة :

ـ زيدان... ما الذي تقصده بالأخرى؟ هل تتحدث عن هاتور و أين هي؟....

ابتسم ابتسامة مشوهة تحمل السخرية ثم قال:
ـ لا تقلق فقط تتحدث مع صديقها العفريت.

شعر مصطفى بقشعايرية تسري في عموده الفقري، لكنه أخفى توته،
ورد بنبرة جادة:

ـ هل ضربت رأسك؟ قل لي الحقيقة، ربما يمكننا مساعدتك قبل أن
تسوء حالتك .

ـ أظنني مجنوناً؟ لقد رأيتها تتحدث مع عفريت.... قالت إن لديها
شقيقة قاتلة... تنشر الموت حيثما ذهبت....

صمت لحظة، ثم أكمل بصوت خفيض:

ـ هاتور ليست مثلا هي جنيه، وأيضاً... أشعر... أشعر أنها شقيقة
النداهة.

ـ هاتور؟ ما الذي... ما الذي تقوله؟

ـ أنا لا أهذى لو أخبرنا الباقيين... ربما نستطيع الهروب قبل أن تنتبه.

نظر مصطفى إلى خيمتها بوجهه متجمد، ثم قال:

لو كانت هاتور كما تقول، فهي الوحيدة التي ستساعدنا.

قاطعه بغضب :

ـ تثق بها؟ بجنيه؟ إنها تلعب بنا.

و قبل أن ينطق مصطفى، فُتحت باب الخيمة و خرجت هاتور.

كانت تمسي بهدوء غير طبيعي توقفت أمام مصطفى، وقالت بنبرة دافئة :

ـ لماذا تجلس هنا و تراقبني؟ يبدو أنك تحمل في قلبك أسئلة كثيرة.

ـ لا شيء... فقط... أفكر في الصدفة التي جمعتنا.

رفعت حاجبها قليلاً.

ـ صدفة؟ نعم... هي صدفة.

رد ساخراً، محاولاً استفزازها:

ـ زيدان؟ يظن أنك جنية، أليس هذا... مضحكاً.

ـ زيدان خائف... والبشر الخائفون يقولون أشياء كثيرة، لكنك... لست خائفاً أليس كذلك يا... مصطفى؟

تقدم خطوة نحوها، وقال بصلابة:

الخوف لن يفيد إن كنتِ لستِ عدوتنا، فأخبرينا الحقيقة. من أنتِ؟
حفًا.

سكتت هاتور لحظة، كأنها تزن كلماتها ثم تنفست ببطء، وقالت بصوت
واثق:

أنا، كما قال زيدان لست بشرية، نعم أنا من الجن وحقيقة النداهة.
لكنني لست هنا لأؤذيكما، بل لأمنعها من التهام هذا العالم.

عندما بدأت تتحدث، اقترب الجميع منها فرفعت عينيها، ونظرت إلى
الفراغ ثم قالت بصوت بطيء:

سأكشف لكم كل شيء. قبل خمسة قرون ولدت أنا وشقيقتي التوأم
شدور، أو كما تُعرف الآن بين البشر النداهة. نحن لسنا منكم نحن ابنتا
الملك "تهان"، ملك ملوك الجن

وأمّنا هي "شرمizza" ابنة الملك "أسموديوس" سيد الظلام وأعنى
ملوك الشياطين.

كان زواجهما تحالفًا شيطانيًّا، لا حب فيه ولا رحمة، بل خطة لدمج
عالَمي الجن والشياطين في مملكةٍ لا ينافسها أحد.

لكن أبي أخطأ الحساب... لم يدرك أنَّ الخير والشر لا يجتمعان في رحم واحد وإذا اجتمعا، فاما أن يقتل أحدهما الآخر... أو يحترق الكون بأكمله.

لم تكن ولادتنا عاديَّة، الليل كان مكتوم النَّفَس، والسماء مغلَّفة بسكون مرrib...

وكانَت القابِلَة التي حضرت هي شريمان... من نسلٍ بشريٍ نادر، ثُبَّصَر في المولود ما لا يُبَصِّر فقد كانت تعرف، من أول نظرة إن كان القادم يحمل نوراً، أم يحمل لعنة.

جلست عند فراش أمي، ثابتة النَّظرَة ورغم أنها كانت تعرف من تكون شرميزة... لكنها لم تتراجع. أنا خرجت أولاً نظرت إلى القابِلَة ثم لمست جبيني، وهمسَت:

- هذه الطفلة، تملك قوَّة رهيبة لكنها لن تؤذِي أحداً. ثم خرجت شدور.

فجأة تجمَّدت القابِلَة وتراجعت خطوة للخلف، رفعت يدها عن الرضيعَة، كأنها مسَّت جمراً حياً، وقالت بصوتٍ مرتعش:

- ما خرج من رحمك... ليس شيطان او جن لقد أجبتِ وحشاً، رفعت نظراها نحو "شرميزة" بعينين تحديان، وقالت: _كان يجب ألا تلديها، كان يجب ألا تفتح لها أبواب هذا العالم لكن "شرميزة" لم تتحرك.

اكتفت بنظرة جامدة ثم قالت: كان يجب ألا تتكلمي.

مدّت يدها... وفي نفس اللحظة، تلاشى صوت القابلة إلى الأبد ماتت واقفة، ولم يجرؤ أحد على الصراخ، اختفت كأنها لم تكن... ومنذ تلك الليلة، لم يذكر اسمها، ولم يجرؤ أحد أن يسأل عنها.

الجميع في القصر كان يعرف... من تختفي في حضرة الملكة لا تعود. ومنذ تلك الليلة، بدأ الشّر يرضع من لبن أمي.

كربنا وعندما بلغنا العاشرة، بدأت تظهر علينا السمات... أنا ورثت خصال الجن، بينما شدور... شدور كانت شيئاً آخر.. دمها نصفه شيطان وعقلها مليء بكلمات إبليس، وقلبها مغموس في حقدٍ أسود علىبني آدم. كانت تقف في مجالس أبي، وتقول بصوتٍ لا يعرف الخجل لِمَ يُفرض علينا السجود لملخوقٍ من طين؟ نحن من نار... أقوى وأذكي وأطهر فلماذا يعلو علينا الضعفاء؟

لم تكن تسأل، بل كانت تُعلن الحرب. كانت تجد في دماء البشر متعة وفي صرائحهم عزفًا يسكنها، وفي خوفهم غذاءً لغورها كلما شعرت بالنقص، خرجت إلى عالم البشر ثم تعود بعد ليلة دامية ورائحتها ملطخة بالفزع، وعيناها تلمعان كأنها شربت أرواحهم.

حاولت أن أبلغ والدي... أن أصرخ بالحقيقة لكنه لم يسمع، كانت أمي دومًا تسبقه إلى أذنها تُفْت سمعها كالشيطان، وتقول:

لَا تصدقها إنها تكره أختها، الحقد يعميها والغيرة تملؤها. شقيقة لها
أظهر وأقوى منها ولها تفتري عليها.

ثم بصقت الكلام في وجهي:

لست متنّى لا دمك دمي، ولا روحك روحي. اخرجني من هنا فأنا لا ألد
الحاقدين.

لم يصدقني أبي وصرت في عينه كاذبة.

وتفاقم كرهي لها بسبب ما قامت به، وخاصة ما فعلته قبل أن يقوم
والدي بطردي.

سؤال (ليث): ماذا حدث؟

فأجبت بحزن:

هناك شخص يعيش حياة مليئة بالسعادة والحب مع زوجته، ويترقبان
بفارغ الصبر قدوم مولودهما الأول لكن كيف يمكن أن تكتمل هذه
الفرحة، وقد علمت بها شدور كانت في منتصف كل ليلة، تفتح بوابة
عالم البشر لترافق الزوجين وهمما ينتظران بفارغ الصبر وصول
طفلهما، وكأنها تتغذى على دفء بيتهما وصدق حبهما.

مرت الشهور، وكان في قلب شدور شفقة مسموم، شفقة لم يكن فقط
بالرغبة في الأذى، بل بعاطفة ملتوية لا يفهمها إلا قلب ملوث، فقد كانت

تنظر إلى الزوجة بعين امرأة تعرف معنى الأمومة، لكن بطريقتها المشوّهة.

وبعد مرور تسعه أشهر من حمل الزوجة، بدأت تشعر بآلام المخاض. فخرج الزوج على عجل، محضراً جارته المسنة لمساعدتها.

دخلت الجارة إلى غرفة الزوجة وأغلقت الباب خلفها، بينما كان الأب ينتظر بالخارج بفارغ الصبر لرؤيه ابنه، وهو يعتقد أن الجارة تساعد زوجته، دون أن يعلم أن ما في الغرفة هو شدور، متخفية في هيئة الجارة المسنة فهي تستطيع تغيير شكلها فلم يكن من الصعب عليها وخاصةً أنها قد أنهت حياة الجارة قبل شهرين من حمل الزوجة، فقط لترقب عن قرب وتنظر هذه اللحظة.

ساعدت شدور الزوجة حتى وضعت مولودها، صبياً يصرخ بملء الحياة، والمشيمة ما زالت دافئة بجانبه. التقطت شدور الطفل بين ذراعيها، ونظرت إلى الأم بعينين لا تخلو من الحنان المصطنع، وقالت بصوٌتٍ خافت:

ـ ها هو صغيرك... لا تخافي.

مدّت الرضيع إلى أمّه فلتّقته بين يديها المرتجفتين، وضمّته إلى صدرها، والدموع تناسب من عينيها فرحاً بنجاته. التسقّط الطفل بنهايتها

المليء بالحليب، يرضع بشرابة وصوت المص يملأ الغرفة كأن الحياة
عادت تسرى في أوصالها.

شدور كانت تراقب المشهد بهدوء عجيب، وكأنها تستمتع بتلك اللحظة
الحميمة، لحظة ارتباط الروح بالأوممة، فقط لتنزع عنها بعد ثوانٍ.

وحين هدا الرضيع بين ذراعي أمه وغفت عيناه، اقتربت شدور ببطء،
ومدّت يديها لتأخذه، وهمست للأم: ـ دعني أهدده قليلاً.

ابتسمت الأم، مطمئنة بحسن الظن، ثم سلّمت فلذة كبدها إلى المرأة
المسنة . وفي اللحظة التي استقر فيها الطفل بين يديها، انقلب الهدوء
إلى عاصفة من الدم. شقت بطنه الرضيع ببطء متعمّد، وأخرجت أحشاءه
كمالاً لو كانت تؤدي طقساً مقدساً، ثم أمسكت بالكبд وغرسته في فمه،
تبتلعه بلذة حيوانية، بينما الأم تجمدت في مكانها، تصرخ حتى بـ
صوتها، اندفع الأب والخوف يجره كما تجرف العاصفة ورقة ذاتلة.
كان يحمل في عينيه صورة ذلك الرضيع،أمل شيخوخته وسند أيامه
المقبلة. لكن شدور لم تمهل وقت ليفهم ماحدث انقضت عليه بمخالبها
وفصلت رأسه عن جسده بضربة واحدة.

وبحركة مسرحية باردة فتحت بطنه وأخرجت أحشائه ثم وضعت
الرضيع في جوفه وهمست بسخرية : ـ الزوج... هو الآن الحامل.

ظلت الأم تصرخ حتى صار صراخها بكاءً خافقاً ومن كثرة الحزن وما لقته انساب من أنفها الدم كجدول أسود ثم انفجر من عينيها، وسقط جثة هامدة، تاركة البيت بعد أن تحول إلى ضريح.

كنت أرافق المشهد من خلال مرآتي السحرية عاجزة عن التدخل. فوالدي الملك قد سلب مني سلطة العبور بين العوالم حين أشعل في قلبه الغضب ضدي.

عدت إلى القصر، أحمل في صدري عزمًا على استعادة ثقته، لكن أمي سبقتني وزرعت سمّها في أذنه من جديد:

كم مرة حاولت هاتور أن يجعلك تبغض شقيقتها شدور لأنها أقوى منها؟ كم مرة أدّع حب المملكة وهي تحمل الخيانة في قلبها؟

نظرت إليها وللي أول مرة أخرج ما بداخلي :

أنت الكاذبة وقلبك كهف للظلم وعطشك للشر لا يرويه إلا الخراب.
أكرهك وأكره كل من نطق باسمك مقرونًا بكلمة أم.

ثم التفت إلى والدي ولم اتوقف:

العدل تاج الملك، وأنت نزعت التاج بيديك واستبدلته بظل الكراهية.
من يصفك بالملك كاذب ومن يصدق ذلك كاذب مثله.

سؤال ليث:

ولهذا تم طردي من المملكة ..

نعم.

مصطففي:

كيف ستساعدينا هل ستواجهين شدور؟

قوتها تفوق قوتي، وأبي الملك وحده قادر على ردعها.

قال حمزة:

وكيف ستقعينه وهو يراك كاذبة؟

ستأتون معي إلى مملكة الجن وتشهدون أمامه بما رأيتم. أردتم الذهاب لحاكم مصر... وأنا أفتح لكم باباً إلى حاكم العوالم.

اعترض ليبد:

ألم تقولي إن دخول مملكة العوالم محظوظ؟

ابتسمت بهدوء :

المحظوظ علىّ هو التنقل الحر بين العوالم، أما الأبواب التي لم تستدعي فلن تحظر .

وأين تلك الأبواب ... سال مصطفى والفضول يغمره؟؟

اجابت:

في واحة الزمن هناك حيث نبع الأمل سنجد في أعماقه بوابة إلى عالم الجن، ومنه تبدأ رحلتنا عبر أبواب العالم السبع.

((الفصل الرابع: الحارس))

مع ظهور أول خيط من ضوء الصباح، كانت خطواتهم تتبع هاتور التي كانت تتقدمهم بخطى واثقة، حتى توقفت أمام صخرتين شامختين، أقل حجمًا من الجبال لكنهما تحملان مهابة العصور.

رفعت رأسها وقالت بصوت عميق مهيب:

ها قد بلغنا بحيرة الأمل.

تبادل الرجال نظرات حائرة، وقال لبيد وهو يدور حول الصخرتين:

أهذه هي البحيرة؟ لا أرى إلا حجارة وصحراء جرداع.

لم ترُد هاتور بل خطت إلى الأمام وجلست على ركبتيها فوق الرمال الناعمة ثم أخذت نفسا عميقاً بعدها أطلقت من شفتيها نفخة حادة، فاهتزت الرمال تحتهم وكان الأرض تنفس. ومع انحسار الغبار، ظهرت صخرة مسطحة تتوهج نقوشها بألوان الأزرق والبنفسجي، تتحرك في تموجات بطيئة كنبض قلب حي.

التفتت نحوهم وأشارت بيدها:

— أمسكوا بأيدي بعضكم فهذه النقوش ليست زخرفة، بل حكاية حياتكم وحياتنا.

تمتنع الكلمات اليونانية: Zoή (Zoí) vs. Θάνατος

ثم همست بالعربية:

— الحياة مقابل الموت.

ارتجفت الأرض، وارتفعت الحروف المحفورة من الصخرة لترافق
في الهواء ملتفة حولهم في دوامة من الضوء والريح وبلحظة خاطفة،
ابتلعتهم الأرض، ليجدوا أنفسهم في عالم آخر.

واحة الأمل كانت جمالاً يفوق التصديق رمالها كالكريستال الأبيض،
تنعكس عليها أنصاف سماء... نصفها نهار مشرق، ونصفها ليل
مرصع بالنجوم نسيم عليل يمزّ بينهم يحمل رائحة زهور وردية
متوجهة.

وقف الرجال مأخوذين بسحر المشهد، حتى قطع الصمت صوت
مصطفى وهو يحدق في السماء:

— كيف حل الليل ونحن في قلب النهار؟

رد على نفسه بتنهيدة:

لَا بأس لِمَ يَعْدُ شَيْءٌ يَدْهُشُنِي بَعْدَ كُلِّ مَا رأَيْتُهُ . لَكِنَّ أَيْنَ فَرْسِي
مَارِق؟..

ابتسِمْتْ هَاتُورْ وَهِي تَمْسِكْ بِقَبْضَةِ مِنْ رَمَالِ الْوَاحَةِ:
دِيلَا تَأْخُذُهُ الآن إِلَى طِيدَا.. لَا تَقْلُقْ إِنْهُ بَخِير.

لَكِنَ السَّكِينَةُ لَمْ تَدْمِ فَجَأَةً تَمْزِقَ الْهَوَاءَ أَمَامَهُمْ كَمَا لَوْ أَنَّ السَّمَاءَ شُقِّتْ
نَصْفَيْنَ وَخَرَجَ مِنْهُ عَمَلَقٌ يَمْلأُ الْأَفْقَ كَانَ جَسَدُهُ كَتْلَةً مِنَ الْحَمْمِ
الْمُتَجَمِّدَةِ تَتَسَرَّبُ مِنْهَا نَيْرَانٌ حَيَّةٌ مِنْ شَقْوَقِ جَلْدِهِ فَوْقَ رَأْسِهِ قَرْنَانٌ
مِنْخِنِيَّانٌ تَتَقدَّ أَطْرَافُهُمَا بِالْجَمْرِ وَخَلْفُهُ جَنَاحَاتَنِينَ عَظِيمَيْمَانِ يَنْبُسْطَانِ
بِبَطْءٍ.

وَقَفَ فَوْقَهُمْ يَحْلِقُ فِي الْهَوَاءِ وَعَيْنَاهُ تَحْدَقَانَ فِيهِمْ حَتَّى شَعَرُوا أَنَّ
أَنْفَاسَهُمْ تَتَقَلَّ ثُمَّ دَوَى صَوْتُهُ كَالرَّعدِ:

مِنْ أَنْتُمْ وَكَيْفَ تَجْرِأُتُمْ عَلَى دُخُولِ وَاحَةِ الزَّمْنِ؟ لَقَدْ وَقَعْتُمْ لِلْتَّوْ حَكْمَ
مَوْتَكُمْ.

رَفَعَ يَدُهُ الْيَمْنِيُّ، فَانْطَلَقَتْ مِنْهَا سَلْسَلَةً مِنَ الْحَمْمِ، تَدُورُ حَوْلَهَا شَظَّاً
لَهُبٌ ارْتَجَفَ الرِّجَالُ وَشَعَرَ لِبِيدِ أَنَّ سَاقِيَهُ تَكَادُانَ تَخُونَاهُ، بَيْنَمَا وَضَعَ

زیدان يده على مقبض سيفه بلاوعي وقبل أن ينقض عليهم خطت
هاتور للأمام ورفعت يدها بصرامة :

قف يا سندان، أنا هاتور ابنة الملك تهان من سلالة ساليس.

خفت وهج النار قليلاً وضاق نظر العملاق وهو يتأمل وجهها:

إن كنتِ حقاً ابنة الملك، فما حاجتك إلى المرور بي؟ كان يمكن أن
تدخلني دون إذني.

قالت بصوت ثابت فيه ظل من الأسى:

قدرتِي على التنقل بين العوالم سُلبت. ولا سبيل لي سوى بوابة نبع
الأمل.

ظل يحدق بها، وألسنة اللهب من حوله تترافق كأنها تفكرون.

البوابة ليست لكل طارق... أثبتتي أنكِ ما تقولين.

شققت إصبعها دون تردد ثم أسقطت قطرتان من دمها في كفه، فتحولتا
فوراً إلى زمردتين متوجتين. أو ما برأسه واحتفى سلاحه البركاني في
الهواء:

أنتِ صادقة يا أميرة مملكة العالم. سُمح لكِ بالعبور.

لكن صوته انقلب إلى صرامة قاطعة:

أما البشر فلن يمروا.

ساد صمت ثقيل، ثم قال مصطفى بثبات:

لا تمنعنا يا سندان ، فما جئنا إلا لما هو مكتوب لنا.

ابتسم ابتسامة باردة:

هل أخبرتكم الأميرة عن الاختبار.

تبادلـت العيون نظرات سريعة، ثم قال الجميع بصوت واحد:

أي اختبار؟

قهقهـ سـنـدانـ حـتـىـ اـرـجـتـ الـواـحـةـ:

اختبار الحياة مقابل الموت...مواجهة مخاوفكم الأعمق وخطاياكم المدفونة ومن ينتصر على ظلامه يعبر ومن يسقط... يتلـعـهـ الموـتـ.

أخذ لبيـدـ خطـوةـ لـلـورـاءـ وـصـوـتـهـ يـتـهـجـ وـهـ يـحـدـقـ أـمـامـهـ:

ـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـتـرـاجـعـ اـشـعـرـ اـنـ الـمـوـتـ يـزـحـفـ نـحـونـاـ أـسـرـعـ مـمـاـ نـتـخـيـلـ.....

لم يمهله حمزة سوى لحظة، قبل أن يرد :

ـ التـرـاجـعـ مـوـتـ مـنـ نـوـعـ آـخـرـ وـالـمـوـتـ أـمـامـنـاـ أـكـرـمـ مـنـ الـهـرـوبـ.

هزّ زيدان رأسه :

ـ صدق يا حمزة الكرامة ثchan بالمواجهة لا بالانكسار وإن كان لا بد من لقاء الموت، فلنلقي برأسِ مرفوعة.

التفت مصطفى نحو ليث:

ـ وأنت؟ هل تنقل روحك فكرة الموت أم أنك معنا حتى النهاية؟

ابتسم ليث ابتسامة باهتة بلا دفع:

ـ لن أترككم فالموت لا يخيفني.

عاد مصطفى ببصره إلى لبيد، الذي كان ما يزال شاحب الوجه، وكان الخوف يحكم قبضته على قلبه:

ـ وماذا عنك الآن؟ هل الحياة تستحق أن تهرب إليها

أخذ لبيد نفساً مرتجاً قبل أن يقول:

ـ لا مفر أنا معكم.

عندما رفع مصطفى رأسه نحو سندان وقال :

ـ قبلنا الاختبار..

حينها مد سندان يده إلى أعلى، فبرزت عروقه تحت الجلد، ثم رفعها بقوة نحو السماء و في لحظة خرجت أمامهم شجرة يوسبانيا في قلب واحة الزمن، جذورها غائرة في الأرض وأغصانها ملتفة بإحكام.

ضم سندان كفيه إلى بعضهما ثم مدھما إلى الأمام ببطء، وعندما فتحهما، انقسم الجذع إلى نصفين وخرج منه ضوءٌ خافت تبع الضوء خمسة كؤوس شفافة، ممتئنة بالماء تحركت الكؤوس من نفسها في الهواء حتى استقرت في أيدي الرجال الخمسة.

تألمهم سندان لحظة، ثم قال بصوت ثابت:

ـ هذه المياه لا يشربها إلا قلب نقى و من كان قلبه طاهراً عاش ومن تلوث قلبه، انتهى أمره.

سكت قليلاً، ثم تابع بنبرة حادة:

ـ احرسوا قلوبكم فمنها يولد النور ومنها تزحف الظلمة.

مصطفى كان الأول قبض على الكأس كأنها آخر فرصة له ليثبت نفسه، كانت عينيه تحملان مزيجاً غريباً من الإصرار والخوف المكمم. وكل نفس يخرج منه وكأنه يفرغ شيئاً من روحه، ثم رفع رأسه وشرب دفعة واحدة.

العيون حوله اتسعت والصمت كان حاداً حتى أن أي حركة بدت جريمة في حق هذه اللحظة. وبعد أن مرت دقيقة كمالو أنها دهراً لمع من صدره نور خافت لمعة صغيرة أولًا ثم أخذ يكبر ويتضاعف في الهواء حتى صار شعلة براقة اخترقت السماء. الجميع تابعها بأعين لا ترمش، والشعلة بدأت تلين وتحنن، ثم تعود نحو مصطفى، تجتمع أمامه حتى صارت قلادة مذهلة، نقشت عليها حروف اسمه، تتوجه كأنها محفورة في قلب النجم.

ابتسم سندان ابتسامة بالكاد ثرى ثم قال:

أحسنت يا مصطفى.

ثم التفت نحو حمزة:

دورك الآن.

حمزة أمسك بالكأس كما يمسك محارب بسلاحه وملامحه مشدودة، فكه السفلي يضغط بقوة وعروقه في رقبته بارزة. شرب الماء على دفعات فجأة بريق حاد خرج من صدره ارتفع البريق ثم انحنى من جديد، يتجمع أمامه، حتى تجسد في قلادة أخرى، حروف اسمه تتلاألأ عليها كالذهب في ظلمة الليل.

أما حين جاء الدور على لبـد، فقد تغير الهواء كله وجهـه شـاحـبـ، وـيـدهـ تـرـجـفـ علىـ الكـأسـ كـأنـهـ يـخـشـىـ أنـ تسـقـطـ قـبـلـ أنـ تـصـلـ لـفـمـهـ اـبـلـعـ رـيقـهـ بـصـوـتـ مـسـمـوـعـ، عـيـنـيـهـ تـتـنـقـلـ بـيـنـ وجـوهـهـ بـحـثـاـ عنـ طـمـانـيـةـ لمـ يـجـدـهاـ. رـفعـ الـكـأسـ وـشـرـبـ بـيـنـماـ انـكـمـشـ كـفـاهـ . بـعـدـ لـحظـاتـ نـظـرـ إـلـيـهـ بـحـيـرـةـ تـكـسوـهـ نـبـرـةـ متـوجـسـةـ:

لـمـاـ تـنـظـرـونـ إـلـيـ هـذـاـ؟ـ...ـ مـاـذـاـ يـحـدـثـ؟ـ

لـكـنـهـ لـمـ يـجـبـواـ فـقـطـ عـيـونـهـ اـتـسـعـتـ أـكـثـرـ عـنـدـهـ أـحـسـ بـشـيءـ يـتـحـركـ تـحـتـ جـلـدـهـ بـدـأـ وـجـهـهـ يـنـتـفـخـ بـبـطـءـ مـرـوـعـ وـ جـلـدـهـ يـتـمـدـدـ وـمـلـامـحـهـ تـتـلاـشـىـ وـعـيـنـيـهـ غـاصـتـاـ فـيـ كـتـلـةـ لـحـمـ مـشـوـهـةـ وـشـفـتـيـهـ اـنـدـفـعـتـاـ لـلـأـمـامـ حـتـىـ صـارـ شـكـلـهـ غـرـيـبـاـ غـيرـ بـشـريـ.

بـصـوـتـ مـتـقـطـعـ، قـالـ:

لـاـ...ـ لـاـشـعـ بـرـأـسـيـ...ـ كـأنـهـ سـيـنـفـجـرـ...

ولـمـ تـرـكـهـ الـكـلـمـاتـ يـكـملـ، فـقـدـ جـاءـ الـأـنـجـارـ سـرـيـعـاـ وـعـيـفـاـ رـأـسـهـ تـمـزـقـ لـشـظـاـياـ تـطـاـيرـتـ فـيـ الـهـوـاءـ، وـالـدـمـاءـ اـنـدـفـعـتـ كـسـيـلـ أحـمـرـ غـطـيـ أـرـضـ شـجـرـةـ الـبـيـوسـنـيـاـ ، جـذـورـهـاـ اـمـتـصـتـ الـدـمـاءـ كـأنـهـ تـجـدـ فـيـهـ غـذـاءـهـ.

اـصـطـفـ الـأـصـدـقـاءـ دـوـنـ أـيـ كـلـمـةـ وـجـوـهـهـ مـتـجـمـدـةـ وـعـيـونـهـ مـتـسـعـةـ تـحـمـلـ خـلـيـطـاـ مـنـ الـفـزـعـ وـالـحـزـنـ. كـانـواـ يـشـاهـدـونـ مـصـيرـهـ يـتـشـكـلـ

أمامهم، كأنهم محاصرون داخل مذبحة لا صوت لها، لكنهم لم يجرؤوا على النطق، خشية غضب سندان، الذي بدا وكأنه يمسك بمقتاح حياتهم جميئاً.

تساؤلات صامتة كانت تدور في أعينهم هل كان هناك مكان في القلب لا يبلله الحزن؟ حتى يأتي لبיד ويغفره.

انهار زيدان على وقع ما جرى للبيد مشاعره ممزقة بين الهلع والفقد. صورة رأس رفيقه وهو يتفتت ما زالت عالقة في عينيه رفع رأسه:

أخي... كنت معـي وـالآن رحلـت وـالله لـن أـتركـك.

اقترـب ليـث نـظر إـلـيـه بـثـبات وـقـال:

سـأشـرب مـعـك.

ثم أضاف:

إن سـقط أحـدـنـا، فـليـكن موـتـنـا فـداءـا لـلـعاـقـير وـأـهـلـهـا.

رفع الاثنان الكأس وشربا دفعة واحدة، وكأنهما يواجهان الموت في نفس اللحظة. وما إن فرغـا حتـى فـتح ليـث ذـراعـيـه ليـعـانـق زـيدـان عـنـاقـهـا طـويـلاً بدـا وكـأنـه يـلـخـص حـيـاتـهـما كلـها.

فجأة اندفع من جسديهما نور حاد السطوع، مختلف عن كل ما سبقة، يتناشر حولهما مثل شهب تشتعل في فراغ الليل ثم تشكل في قلادتين محفور عليهما اسم العاقير.

سنдан رفع يديه ببطء، وبدأ يحركهما في الهواء في دوائر متتابعة، و مع كل التفافية ليديه انطلقت شرارات من ضوء داكن ممزوج بوجه قرمزي تدور حوله في دوامة متتسارعة.

لم تمضِ ثوانٍ حتى اجتذبت تلك الدوامة القلائد من أعناقهم بقوة هائلة، لتدور حوله مثل كواكب صغيرة أسيرة جاذبية لا تُرى. ومن قلب السماء اتسعت الدوامة حتى شكلت دائرة سحرية عملاقة، وفي مركزها ظهرت اليافوتتان المتوجهتان بدماء هاتور، يلمع لونهما الأحمر العميق كدم متجمد تحت القمر، لكن كل ومضة منها كانت تنبع بالحياة... أو الموت.

تحت أقدامهم، اهتزت الأرض بعنف، وعند الشجرة المتقابلة، بدأ دم لم يبد يتدفق من باطن الأرض، كأنها تفرغ أحزانها في نهر أحمر، سرعان ما اتسع حتى شكل بحيرة دماء داكنة راحت الدائرة السحرية تتحرك ببطء نحو البحيرة، وكلما اقتربت ازداد بريق اليافوتتين، حتى انشق سطح الدم عن بوابة هائلة يتتصاعد منها بخار بارد.

قال سندان، بصوت عميق :

لقد أصبح بإمكانكم الدخول الآن.

لكن يده ارتفعت فجأة، لتوقف اندفاعهم نحو البوابة. ثبت نظره في عيني مصطفى ثم قال بصوت منخفض:

قبل أن تعبر لك شيء عندي... لقد رأيت فيك عزيمة تختلف عن الآخرين وعرفت أنك تحمل عبئاً أثقل مما تحمله الروح طريقك لن يكون سهلاً وستأتي لحظة تشك فيها بكل ما حولك عندها... سيكون هذا هو دربك وهاديك.

مد يده إلى صدره ونزع القلادة التي كان يحتفظ بها طويلاً، حتى بـدا وـكأن جلدـه اعتـاد ملمسـها تـدلى منها خاتـم غـريب، ثم البـسـها لمـصـطفـى وـفيـ الـلحـظـةـ التـيـ لـامـسـتـ فـيـهاـ البرـودـةـ المـعـدـنيـةـ جـلدـهـ،ـ اـنـدـفـعـتـ قـوـةـ غـيرـ مرـئـيةـ عـبـرـ جـسـدـهـ،ـ أـثـقـلتـ قـبـهـ بـقـدـرـ ماـ أـيـقـظـتـ شـيـئـاـ خـفـيـاـ فـيـ أـعـماـقـهـ.

لم يمهله الوقت ليفهم ما حدث؛ إذ ارتفع هو والآخرون عن الأرض دفعـةـ وـاحـدةـ كـمـالـهـ أـنـ قـوـةـ خـفـيـةـ نـزـعـتـهـمـ مـنـ وـاقـعـهـمـ وأـلـقـتـ بـهـمـ إـلـىـ دـاخـلـ الـبـوـاـبـةـ،ـ طـارـتـ هـاتـورـ وـدـلـفـتـ إـلـىـ دـاخـلـ الـبـوـاـبـةـ.

الفصل الخامس «بحر الكاريزيات»

وقف الجميع يتأملون المشهد في صمت ، وكان الزمن توقف فجأة عند هذه اللحظة الحدقـات اتسـعـتـ،ـ وـالـقـلـوبـ تـدـقـ بـغـفـ،ـ وـالـعـقـولـ تـحاـورـ

الأرواح أهذن حقيقة أم نحن في حلم؟ وإن كانت حقيقة فلنكم... وإن
كان حلمًا فلا نريد أن نستيقظ.

كانت السماء تتلوّن بحمرة دموية، والأرض تلمع بزرقة غريبة، فيما
يطفو كل شيء حولهم كأن الجاذبية غابت عن هذا العالم، أو نسيته
عمدًا.

وبينما كانوا غارقين في الدهشة، لمح حمزة على بُعد خطوات الفتاة بلون
قرمزي جمالها يخطف الأنفاس وابتسامتها الناعمة تخفي في عمقها
 شيئاً عصياً على التفسير عيناها لم تكن مجرد نظرتين، بل سردیات
كاملة تفیض بالحكایا المجهولة. اقتربت منه ببطء، وهمست بصوت
دافئ ينزلق في الروح:

تعال إلى... دع هذا العالم خلفك فهنا ستجد ما لم تجده أبداً... هنا
ستتنسى الألم والضياع.

ابتسامتها تحولت لشفرة حريرية مغافلة بسحر قاتل، ومدّت يدها إليه.
شعر حمزة أن خطواته تتحرك وحدها وكأنه يغرق في بئر لا قرار لها،
بئر من عينيها.

لكن فجأة اخترقت هاتور المشهد وأمسكت قبضة من تراب جلبته من
أرض البشر، ثم نفخته بقوة في وجه الفتاة في طرفة عين، تبدّد الجمال
وتحولت الفتاة إلى وحش بشع؛ جلده مكسو بشعر كثيف، أنفه يسيل

بالمخاط، وأسنان هائلة تكاد تخرج من فمه. زأر بصوت ارتجمت له الأرض فتراجع حمزة مرعوباً.

رفعت هاتور يدها في وجهه، وقالت :

ـ إنهم عبدي... ولا حق لك في أكلهم أذهب قبل أن أحرقك باسم جدنا الأكبر... ساليس العظيم.

ارتدى الوحش خطوتين، ثم ولى هارباً .

استدارت هاتور نحو حمزة وقالت بنبرة معاشرة:

ـ لا تدع العته يقودك... لأن في عالم الجن لا تفصل بين الحقيقة والوهم لأن كليهما يقتل إذا صدقته.

ابتلى ريقه وتمتم:

ـ سأحذر في المرة القادمة.

ابتسمت بمرارة وهمست وهي تدير ظهرها:

ـ لا أعلم إن كانت هناك مرة قادمة...

قال مصطفى:

ـ هناك أمر غاب عنِّي، تستطيعين الطيران أما نحن فكيف سنتحرك هنا؟

ابتسمت بثقة:

لم أغفل عن هذا.

وضعت كفيها تحيط وجهها، ثم صاحت:

زعير... زعير!

خفت كل الأصوات وكأن العالم يستمع لندائهما وفجأة، اخترق الأفق
كائن هائل يشبه الخيل بجناحين عريضين، جسده ضخم يفيض بالهيبة،
عيناه ذهبيتان وريشه الفضي يختلط بالسوداء العميقة كليل بلا قمر.

ابتسمت وهي تشير إليه:

هذا «زعير»، فرس نبيل أهداني إياه أبي عند بلوغه مئتي عام.

اندهش الجميع... فكيف لامرأة لا تبدو أكبر من الخامسة والعشرين أن
تتحدث عن قرون مضت؟

تفلت السؤال من فم زيدان دون تفكير:

كم عمرك بالضبط؟

نظرت إليه مازحة:

سؤال لا يطرحه إلا الأحمق... أهذه طريقتكم في معاملة النساء؟

احمر وجهه وأطرق رأسه.

ضحك بصوت مرتفع:

ولم الخجل؟ أنا في مقتبل العمر أبلغ الآن خمسماة وعشرين عاماً.
ولدت قبل خمسة قرون... وما زال أمامي الكثير.

سئل زيدان: اعذرني على تطفلي.

ولكنكِ بعمر جدة جدة جدة جدتي. وهناك المزيد ولكن مللت أن
أكمل.

عبس في وجهه وقالت: ماذا كنت أنتظر من أحمق يغفل أن يفكر؟
أردفت بضجر: فليركب الجميع.

ضحك حمزة وهمس إلى زيدان: لا تحزن أنت لست أحمق، بل
تجاوزت ذلك.

سؤال ليث: أين نركب؟

أجبت بغضب: على رأسي، ماذا بك يا أحمق على الججاد.
لم يصدق الرجال أنهم يمتنعون هذا الكائن العجيب.
وازدادت الإثارة عندما حلق بهم في السماء،

بدأوا يهالون ويشعرون بتلامس نسمات الهواء على جوهرهم، الوضع مختلف، تشعر أنك أخذت جزءاً من السعادة الخفية، وتقول في نفسك: أهذا هو شعور العصافير؟ ما أجمله من شعور، وكأن روحي وجدت السلام في هذا المنظر الخلاب داعبت همسات الرياح وجوهرهم كالمياه الدافئة في جو معتدل الحرارة.

أراد زيدان أن يتأسف مما قاله، تأجج في حديثه وقال: اعتذر مما قلت، لم يكن ذلك مقصدِي، ما أردت قوله أنك بعمر جدة جدة جدة جدة جدة جدة جدي، لم أمل من الإكمال هذه المرة.

التفتت هاتور ثم قالت وهي تستشيط:

إن لم تبتلع لسانك أقيتك من فوق زعير!

الجميع في الخلف يضعون أيديهم على أفواههم حتى لا تسمع الضحك فتنزعج.

بعد دقائق من الصمت، تكلم زيدان من جديد:

ما أردت أن أقول هو أنه مهما كبرتِي، فأنتِ جميلة حتى وإن كنتِ بعمر جدة جدة جدة جدة جدة جدي.

أنتِ خلابة، تذهبين عقل من أحبك فلا يستطيع قول جملة مفيدة وهو ينظر إليك.

ابتسمت هاتور حتى أظهرت وجنتيها، وقالت:

هل تتغزل بي؟؟؟

أجاب زيدان بتوتر:

لا، لا، كنت أحاول أن أقول أنك جميلة فحسب.

اردفت: إنني جنية وأنت في عالم الجن، فلا تتعجب من الأعمار، فما وجد شيء هنا إلا سار معكوساً. صحيح أنا بعمر جدة جدة جدة جدة جدة جدتكم وهناك المزيد لكنني مللت أن أكمل لكن هذا لا يمنع من كوني جميلة.

ابتسم وشعر بشيء يتحرك في قلبه اليابس، كما لو أن شيئاً صغيراً انفتح فيه فسال منه الدفع. أخذ يردد في داخله:

أتحبني كما أحبها؟

لم يفهم لماذا فكر بها بهذا الشكل فالمنطق يقول إن الحب لا يولد في لحظة، لكنه شعر أنه انغرس فيه من أول نظرة كان يتأرجح بين احتمالين أن يكون الانجذاب مجرد انعكاس لفقد العاطفي الطويل أو أن تكون هي فعلاً كائناً مختلفاً يستحق أن تُسرق له المسافات والسنين.

لكن ظل الخوف يهمس:

وماذا إن كان كل هذا في داخلي وحدي؟

الحب حين يكون من طرف واحد يشبه أن تمد يدك لتلمس مرآة، فتشعر ببرود الزجاج بدل دفء اليد الأخرى. ومع ذلك يظل في القلب ميل غريب إلى الاستمرار، وكأن النفس تفضل الوهم الدافئ على الحقيقة الباردة.

ربما لا نحب الأشخاص أنفسهم بل الصورة التي ينعكسون بها في عطشنا، وربما نظن أننا وجدهم، بينما نحن في الحقيقة وجدنا ظلنا فيهم.

انقطع الخيال الذي يرفرف في ذهن زيدان فجأة، حين اخترق الأفق صوتٌ عجيب، كأنما مزجت السماء أوتارها بالموسيقى، فصار النغم جسراً بين القلب والعقل. كان الصوت يشبه حقيقةً تتذكر في ثوب الحلم، أو حلمًا يتجسد كأنه ولد من رحم الواقع شعروا جميعاً أن شيئاً ما في أعماقهم ينفصل عن أجسادهم، يسير وحده نحو مصدر الصوت، كما يسير العاشق نحو منادٍ خفي، يظن أنه مختار لكنه في الحقيقة مسلوب الإرادة.

سؤال مصطفى وهو يحدّق في المدى الممتد

ما هذا الصوت يا هاتور؟ كأنه يسحب روحي من صدري.

أجابـت: إنه صوت حوريـات البراعـم... موسيـقى ساحـرة و جـميلـة
لـدرجـة ثـهـاـكـ من يـسـمعـهاـ.

ثم أشارـت بـيـدـهاـ إـلـىـ الأـسـفـلـ :

انظـرواـ... لـقدـ وـصـلـنـاـ إـلـىـ الـبـابـ الأولـ منـ أـبـوـابـ العـوـالـمـ.

رفعـ ليـثـ حاجـبيـهـ، وـهـوـ يـفـتـشـ بـعـيـنـيهـ عنـ أيـ أـثـرـ:

لاـ أـرـىـ سـوـىـ بـحـرـ بـنـفـسـجـيـ يـمـتدـ بـلـ نـهـاـيـةـ.

ابتـسـامـةـ عـارـفـةـ وـقـالتـ:

الـبـابـ هـنـاكـ فـيـ عـمـقـ هـذـاـ الـبـحـرـ.

سـأـلـ مـصـطـفـيـ: وـمـاـ هـذـاـ الـبـحـرـ؟

اسـمـهـ بـحـرـ الكـارـيزـاتـ وـيـحـلـ فـيـ أـحـشـائـهـ وـحـوـشـاـ وـلـدـتـ مـنـ كـوـابـيسـ
الـأـوـاـئـلـ.

قفـزـتـ مـنـ فـوـقـ ظـهـرـ "زعـيرـ" وـهـبـتـ عـلـىـ سـطـحـ الـبـحـرـ لـكـنـهـ لـمـ
يـسـمـعـواـ صـوتـ اـرـتـطـامـ أوـ رـشـةـ مـاءـ لـقـدـ مـشـتـ فـوـقـهـ كـمـاـ يـمـشـيـ المـرـءـ
عـلـىـ أـرـضـ مـنـ زـجاجـ صـافـ، وـكـانـ تـحـتـهـاـ عـالـمـ آخـرـ مـضـاءـ بـأـنـوارـ
غـرـيـبـةـ. كـانـ المـشـهـدـ يـذـكـرـهـ بـوـصـفـ "صـرـحـ سـلـيـمـانـ" الـذـيـ بـنـيـ
لـبـلـقـيـسـ، حـينـ حـسـبـتـهـ أـجـةـ فـكـشـفـتـ عـنـ سـاقـيـهـاـ لـكـنـ هـذـاـ الصـرـحـ لـمـ يـكـنـ

حبراً ولا قوارير، بل كان صفحة من ماء مسحور، تحتها أرواح
وكانات تراقب.

رفعت يدها محذرة:

البحر هنا يختار من يسمح له بالغوص ومن ليس من أبنائه، سيدفعه
إلى السطح مهما حاول.

سأل زيدان وهو يدق فيها بدهشة:

إذن سكان البحر يغوصون كما يشارون؟

أومأت:

جل... الوحوش الحوريات وكل كائن ولد في أعماقه... أما الغريب،
فالبحر يجبره على السير فوقه كمن يسير على جسر لا يمكنه كسره.

قال زيدان :

إذن يمكنني السير مثلك.

حاولت ايقافه لكنه اغتر بحدسه الطائش، فقفز من فوق زعير، ضاحكاً
كطفل يكتشف لعبة جديدة:

انظروا أنا أمشي على الماء.

صرخت هاتور بحدة:

اصعد أيها الأبله .

لكن زيدان لم يعبأ بتحذيرها، أخذ يتأمل الكائنات التي تتحرك تحت قدميه أسماك لها أذرع بشرية بدل الزعناف، وأصداف تتفتح لتكشف وجوهاً صغيرة تتأمل الزوار. كانت ألوان البحر تتغير مثل غيوم غروب الشمس، من البنفسجي العميق إلى الأزرق المضيء.

وفجأة، أبصر تحت قدميه امرأة ترتفع من القاع... نصفها العلوي آدمي يفيض بياضاً، ونصفها السفلي ذيل سمكة تتلاأ حراشفه. كانت عيناهما بلون زرقة البحر لحظة الفجر، وحاجباهما من قشور فضية متشابكة لم تنطق، لكنها حدقت فيهم بنظرة تحفر في الروح قبل الجسد.

سحب مصطفى قبضته على مقبض سيفه:

من هذه؟

أجبته هاتور بنبرة تجمع الغضب بالخوف:

إنها "ذبينه"... والدة حوريات البرام وحارسة هذا البحر.

اقتربت "ذبينه" أكثر والماء من حولها يتحول إلى دوائر متسبعة كان البحر نفسه ينحني لقدومها.

تمتمت هاتور من تحت شفتيها حتى لا تلتقط ذبينه كلماتها:

اركب الجواد قبل أن تتأذى يا زيدان.

مد مصطفى يده بسرعة ليساعده على الصعود، لكن انطلقت ضحكة ذبینه، عالية متعالية ترتد على جدران البحر اللامرئية، كان الرعد نفسه قد أخذ صوتها و في ومضة ففزت من أعماق الماء و ذيلها يلتفي كسوط حديدي، وانقضت على هاتور بصفعة هائلة ارتد وجه هاتور إلى الجانب ثم سال الدم من خدها واندمج مع رذاذ البحر البنفسجي.

حينها تغير كل شيء... أصوات براعم الحوريات، التي كانت قبل لحظات أشبه بتراتيل مائية تبعث الطمأنينة، تحولت فجأة إلى عويل ممزق، صرخات تخترق الصدر قبل الأذن، تتسرّب إلى داخل الروح، كأنها تفتح فيها باباً إلى جحيم أزلي.

حتى الرجال عجزوا عن الاحتمال، فوضعوا أصابعهم في آذانهم لكن الصوت كان يخترق العظم نفسه. صرخوا وتمايلت أجسادهم حتى فقدوا توازنهم وسقطوا عن ظهر زعير ، ليجدوا أنفسهم واقفين فوق سطح البحر الماء تحت أقدامهم يهتز، لكنه يرفض أن يبتلعهم.

غير أن البراعم كانت تقفز من عمق البحر إلى سطحه بخفة مميتة، كأنهن طيور ماء مسلحة بالمخالب، تضرب ثم تهبط في لمح البصر. كل ضربة كانت تصنع دوامة صغيرة على السطح، تموت بعدها الموجة قبل أن تولد.

اثنان منهن أمسكتا بيد زيدان، قبضتهما باردة كالموت، وبدأتا تجذبهما للأسفل. البحر الذي كان يرفض دخوله، بدأ فجأة يلين، كأنه يعرفه... أو يعترف به وكأن الماء نفسه قرر أن يجرب ضمه إلى أعماقه، ليكون جزءاً من مملكته السرية.

صرخ حمزة وشدّ زيدان بكل قوته فيما مصطفى أمسك بالذراع الأخرى، والملح ينسع جروحهما المفتوحة. على بعد أمتار كان ليث يقفز فوق سطح الماء كفارس يرقص على الزجاج يطعن أي يد أو ذيل يخرج من الأعماق.

هاتور، وسط هذا الجحيم عندما رأت المشهد وكأن الزمن توقف. لم تبالي إلى الدماء التي تسيل من جرح الذي اصاب بطنه، وجوههم جمیعاً تتلوى بين الصراع والبقاء، وزيدان يكاد يختفي تحت السطح.

في تلك اللحظة خرج صوتها :

لن أسمح لهذا أن يحدث، أعلم ما أريده ولن أسمح له أن يضيع كما ضاع كل شيء آخر.

تهدت بعنف ثم التقطت شهيقاً بعدها نظرت إلى السماء والدموع تتجمع في عينيها حتى حجبت الأفق.

ثم طارت في الهواء وعيانها تتوهجان بلون ناري، حين فتحت فمهما للصراخ أبيضت مقلاتها بلمعانٍ غريب، وكأنها دخلت طوراً آخر من وجودها.

يدها اليمنى بدأت تصدر وهجاً أزرق مخيف، يشتعل فيه الماء والنار معاً. وفي لحظة هبطت من أعلى إلى البحر فغاصت إلى الأسفل كالسهم اخترقت سطح الماء رغم أنه يرفض الأجسام الغريبة، لكنه هذه المرة انفتح لها كأنها من أهل.

سبحت هاتور بسرعة رهيبة، كأنها سهم أطلقه البحر لكن قبل أن تصل إلى ذيبينه توقفت فجأة على عمق معين وأغلقت عينيها ثم مدت يديها إلى جانبيها وبدأت تحرك أصابعها في إيماءات متتابعة، ترسم في الماء خطوطاً من الضوء الأزرق، حتى اكتملت دائرة سحرية مضيئة حول جسدها.

دخلت تلك الدائرة، فاهتز البحر من حولها كأنه شعر بما فعلته . وبعد لحظة واحدة خرجت منها، لتعود وتدخلها مرة أخرى لكن هذه المرة وهي تفتح عينيها في بطء رفعت يدها اليمنى إلى السماء المائية، ورسمت في الهواء ثلاثة رموز متتالية الأولى على شكل موجة، الثاني على شكل قمر، والثالث كنجمة مشتعلة ثم قبضت يدها فجأة فتدفق من الدائرة شعاع أزرق هائل التف حول ذراعها مثل أفعى .

وبحركة سريعة ضربت بيدها على الماء أمامها فانفجرت فقاعات مضيئة، وبدأ الشعاع يتکثّف ويتصالب حتى اتخذ شكل سيف ضخم من المياه، شفاف كالزجاج لكنه يلمع كحدّ الفولاذ.

ذينه كانت تتهيأ للهجوم مجدداً لكنها فوجئت بالقوة الجديدة وقبل أن تقترب تحركت هاتور بسرعة هائلة وضربت السيف على ذراعيها فقطعتها بضربة واحدة، فصرخت الأم صرخة هزّت الأعماق.

تركّت البراعم زيدان واتجهوا نحو هاتور، لكن الأخيرة لم تتراجع وفي لحظة واحدة غاصت بسيفها في صدر ذئبه حينها دوى انفجار المائي فسقطت بعده الأم ومعها انجرفت البراعم.

في الأعلى كان زيدان يُنتشل من الأعماق واضعاً يده اليسرى على صدره بابتسامة ساخرة:

لقد شهدت الموت للتو.

حمرة يلهث قائلاً :

أنت مجنون، يا زيدان.

أما مصطفى فالتفت نحو ليث يسأل:

أين هي؟

ليث أشار للأسفل:

انظر تحت قدميك.

كانت هاتور تسجع ببطء نحو باب صغير يتوسطه سحاب أبيض
ومقبض من الألماس أخرجت مفتاحاً غريباً، أدخلته في الباب ثم طارت
وخرجت من الماء بعدها رفعت صوتها :

قلوب رحيمة وقلوب قاسية... فلا تحكم على القاسي قبل أن تعرف
البادية.

انشقت المياه أمام الباب وتحولت إلى دوامة من الظلام نحو السماء،
تكشف عن عالم آخر...

الفصل السادس «أموات امتنعوا النوم»

العالم الأول.

عالم مبهت الكينونة، مسلوب الروح، كأنما انتزعت الحياة من كل ذرة
فيه، تاركةً خلفها فراغاً خائناً يلتقي حول الصدور. إحساسٌ رهيب
يجتاح القلب، كأنما قُبِضَ بين براثن يدٍ باردة، يضيق النفس ويترك
الجسد خالياً من دفء الضلوع، وكأنك تُحتجز في قبرٍ متسع، يمتد بلا

نهاية أمامك وخلفك، يطوقك بظلاله الثقيلة، بلا مخرج ولا ملاذ سوى الموت. ولكن الموت هنا، في هذا المكان الملعون، ليس راحة ولا خلاصاً؛ فمن مات هنا امتنع عنه النوم الأبدي، أهل هذا العالم، جميعهم، ماتوا بالفعل. ولكن بعد أن غادرت أرواحهم الأجساد، لم تترك تلك الأجساد لترقد بسلام. استيقظت بلا عقل، طافية في الفراغ، متحركة بلا هدف سوى وجودها الخاوي أما من حاولوا التثبت بأرواحهم، فقد انثرت منهم بوحشية، مُجبرة على المغادرة حتى لا تبقى أي قوة تُمكن الروح من استعادة زمام الفعل.

المشهد كان يحمل طابعاً أوروبياً قديماً، ينتمي إلى العصور الوسطى. بيوت مصنوعة من الأخشاب الصلبة والأحجار الثقيلة، شوارع ضيقة مرصوفة بأحجار صغيرة متراصة بعناية، تُغريك بخلع حذائك والسير عليها بقدميك العاريتين لتشعر ببرودتها المبتلة. القلاع العملاقة تحيط بالمكان، شاهقة ووحشة، تضفي هيبة خانقة على المشهد. كل شيء هنا غارق في ألوان داكنة؛ الذهب المعتق الذي فقد بريقه، الأخضر العميق، والأحمر الدموي، وكأنها رموز لعظمة بائدة ولعنة خالدة. ومع كل هذا الجمال الغريب، كان المكان خاليًا من أي نبض حياة.

نسمات الرياح تسمع وهي تصطدم بجدران المنازل الخشبية، حاملة معها صمتاً رهيباً. الضباب الكثيف يلتئف كستار يحجب الرؤية ويُضفي على الأزقة شعوراً بالاختناق.

مصطفى : أين السكان؟ هل يمكن أن يكون هذا المكان مهجوراً بالكامل؟.

هاتور لا أعلم ولكن هذا الهدوء أشبه بالموت.

صمتوا لبرهة، لأن كل منهم يبحث عن إجابة فجأة سأل حمزة :

ماذا سنفعل الآن؟

هاتور: _ كنت سأقول نحلق بزuir ونبحث عن الباب الثاني، ولكن هذا الضباب يحجب كل شيء ربما يكون الأفضل أن نبدأ بتفتيش المنازل.

ليث (بتردد): علينا الحذر فهذا المكان لا يبدو طبيعياً.

بدأ الأربعة السير نحو المنازل القريبة، حيث كانت أبوابها المؤصدة تشير في قلوبهم رهبة غريبة دخلوا متسللين بحذر، وعيونهم تتحفصن كل زاوية بحثاً عن أي دليل قد يقودهم إلى الباب الثاني.

بينما كان حمزة يتحفظ على المكان، عشر على مصباح كيروسين قديم، موضعًا بعناية على رف خشبي نظر إلى هاتور وقال بصوت خافت:
_ هل تستطعي اشعاله.

مدت يدها برفق وأخرجت من إصبعها ناراً صغيرة، لأنها جزء منها وبحركة رشيقة، أشعلت المصباح ليملأ المكان بشعاع ضوء خافت

ينساب بين الظلال، مُظهراً تفاصيل الجدران المتأكلة والأثاث المغطى بالغبار.

وبعد لحظات، سمعوا صوت ليث قادماً من غرفة أخرى: _ وجدت مصباحاً آخر.. حمله فأشعّلته هاتور بنفس الطريقة.

كل منهم شعر بشيء غريب في الجو، وكأن الظلال المحيطة بهم ليست مجرد ظلال، بل كائنات ترافق، تبادلوا النظرات في صمت والأنفاس ثقيلة تزداد فيها التوترات.

قال زيدان بجديّة وهو يلتفت إليهم: _ علينا أن نفترق فإذا بقينا معاً، سنحتاج إلى سنوات للي ايجاد الباب .

أخذ كل واحد مصباحاً، بينما أشعلت هاتور ضوءاً من يدها اليسرى، وخرجت من المنزل قاصدة القلعة المظلمة.

خرج الجميع خلفها وحين اقترب زيدان من المنزل الذي سيدخله، فتح الباب ببطء من تلقاء نفسه، وكأنه ينتظره عندها اقترب منه بخطوات قليلة، شعر بشيء غريب تشعر له جسده، وتنملت أطراف أصابعه. أخذ شهيقاً عميقاً، ثم تبعه بزفير طويل وضع المصباح في يده اليسرى، وحمل خنجره بيده اليمنى متأهباً لأي طارئ.

دخل وعيناه تتفحصان المكان، وما إن عبر عتبة الباب حتى أغلق خلفه وكأن يداً غير مرئية دفعت الباب ليغلق وراءه. حاول العودة، طرق الباب بعنف ونادى بصوت مرتفع، لكن لا أحد يسمعه. احس بأن العجز يراوده، ولكن أخذ نفساً عميقاً مستجعاً شجاعته، ثم التفت مجدداً ليواصل رحلته . رفع المصباح حماولاً إضاءة الطريق أمامه، لكن فجأة هبت ريح قوية من العدم وأطفأت النار وقف لحظة، يحاول التأقلم مع الظلام وبعد ثوانٍ، اشتعلت المدفأة في الغرفة تبعتها المصابيح المعلقة على الجدران، واحدة تلو الأخرى، وكان هناك قوة خفية تحكم في المكان.

لكن الصدمة كانت في ما رآه. الجدران من حوله بدأت تتتساقط منها الدماء، وكان البيت نفسه جرح ولم يجد من يداويه. كانت قطرات السميكة تتناثر بغزاره على الأرض مبللة الأثاث والستائر، مما جعل المكان يبدو كأنه مشهد من كابوس حي.

شعر بشعور غريب يختلط بالخوف. ظل واقفاً عينيه تتنقل بين الجدران التي تنزف، حماولاً استيعاب ما يحدث، ولكنه في أعماقه كان يعلم أن هذه الدماء تحمل رسالة ما، أو ربما هي جزء من اللغز الذي يسعى لحله.

وبعد قليل من الثبات توجه نحو إحدى الغرف في داخلها شاهد منظراً جعله يتجمد في مكانه على السرير كان رجل وامرأة تبدوا أنها زوجته ملقين وكأنهم في بركة من الدماء، جثتين هامدتنين أصابيه الفزع، وتدفق خوفه في عروقه، لكنه تحرك رغم ذلك نحو الجثتين.

رفع الغطاء عنهما بيدين ترتجفان، عينيه اتساعان من هول ما رأى. سقط الغطاء من يديه فسقط هو بعده ليجد نفسه يزحف للخلف، قلبه يخفق بشدة وهو يتنفس بصعوبة الزوجة كان جسدها قد قطع من المنتصف، والدماء مازالت تتفجر من أحشائهما، بينما هناك سكين غارقة في صدر الرجل تشير إلى لحظة موته العنيفة. ارتجف وهو يتخيل كيف ستكون نهايته في هذا المنزل الملعون.

استند ووقف من جديد ثم تقدم خطوتين للأمام، عينيه تركزان على الجثتين وجبينه يتصلب عرقاً. فجأة. لفت انتباهه شيء غريب ورقة صغيرة كانت في يد ال زوجة مديده ببطء، وعينيه تتبعان كل حركة بحذر شديد اقترب أكثر، حتى سحب الورقة غي لحظة خاطفة ثم تراجع إلى الوراء بسرعة.

ولكن وهو يتراجع، تساقطت بعض قطرات عرقه على شفتي الزوجة. لحظتها تحركت الجثة بشكل مفاجئ خرج لسان أسود طويل، يلعق

شفتها الميّة ثم أصدرت صوتاً غريباً، صوتاً يشبه أنيتا لحيوان ذبح تواً وروحه على وشك مغادرة الجسد.

وبجانبها تحرك زوجها رفع رأسه ببطء وكأنما استعاد الحياة فتح عينيه الميتتين الفارغتين وعاد الصوت الجاف ليخترق الصمت: لن تفلت منا.

تجمد في مكانه من الرعب وبدأ يتنفس بصعوبة شديدة، ركض إلى الخلف ثم التفت بأقصى سرعة ممكنته خارج الغرفة الجثتان تحركا خلفه. الزوج يمشي على قدميه الميتتين، بينما الزوجة تزحف بنصف جسدها تاركة النصف الآخر على السرير.

لم يكن زيدان يدرك إلى أين يذهب، فقط ركض بشكل عشوائي، حتى وصل إلى الغرفة المجاورة، وأغلق الباب خلفه بسرعة حاول تهدئة نفسه من شدة الخوف وعندما بدأ يتماسك لاحظ أنه في غرفة أطفال، فقد وجد أنها مليئة بالألعاب المبعثرة لا يعلم لماذا فزع قلبه أكثر بعد تلك المعرفة، لم يفكر كثيراً فقد أحبه الطفل الذي قفز عليه فجأة من فوق الدوّلاب، محاولاً أن يعض عنقه بأسنانه الحادة كالإبر. صرخ زيدان في ذعر وتراجع بسرعة إلى الوراء حتى اصطدم بالجدار. كان الطفل يحاول التشبث به بشراسة ولكنه أعاد الكره وضرره بالجدار محاولاً التخلص منه.

وبعد ثلات محاولات أخيراً سقط الطفل على الأرض فالتقط شمعدان كان بجواره وسقط على الطفل ثم ضرب رأسه بكل قوته حتى تحطم الجمجمة، وتناثر الدم على وجهه جلس بعدها على الأرض يلهاه، ويمسح بيده الدماء عن وجهه، محاولاً استعادة قدرته على التفكير.

ولكن الضوضاء القادمة من خلف الباب كانت متتسارعة، تزداد قوة. فالجثث تحاول اقتحام الغرفة، حينها ابتسם زيدان ابتسامة مشوهة، يعكس فيها مزيجاً من الخوف والجنون ثم نظر إلى الباب قائلاً في همس:

_أنتم لا تعرفون مع من وقعتم، تركت النداهة وراء ظهري ولم تأخذني
ولن أترككم تأخذوني.

استل خجره واتجه نحو الباب استعداداً.

في البيت المجاور كان مصطفى يواجه نفس المصير فبعد أن دخل المنزل أغلق الباب ورائه مثلما حدث مع زيدان.

وكانما تُطوى معه صفحة من كتاب الحياة. كان الصمت كضباب يلتافي حوله، يهمس له بأن في هذا المنزل ليس فارغاً. وبعد وقت ليس بالكثير سمع صوت يأتي من بعيد وكأنها ايادي تحفر في الأرض، حينها بدأ ينتبه بأن شيئاً ما في الظل قد استيقظ.

الصوت اقترب من الخلف فالتفت، وقتها عيناه اتسعا بذعر مكتوم، فقد ابصر خمس جثث هائلة الأجسام، مبتورة الأيدي، ملقاة على الأرض كأطلال من زمن عفا عليه الموت كانت جامدة، صامتة، لكنها تشع حياة تسلل الخوف إلى عظامه، وأحس بالدم يفارق وجهه وهو يغمغم في صوته المرتجف بسخاء :

مرحباً أتفهمون ما أقول؟ بدايةً أسف لدخولي من دون إذن ثم... أليس من المعاد أن يقدم الضيف شيئاً للضيف؟ أريد القهوة؟

اشار إليهم ثم اردد: و لكن كيف تصنعواها وانتم مثل الدود لا تملكون أيادي.

كأن كلمات مصطفى أزعجت تلك الكائنات العاجزة، فبدأت الجثث تتحرك ببطء، تزحف نحوه، في غضب كامن يخرج من عيونهم .

مصطفى شعر بأن الرعب يجتاحه كما لم يفعل من قبل، حاول التراجع خطوة خطوة، لكن قدميه خانتاه فسقط بينما عيناه لا تفارقان تلك الجثث الزاحفة إليه، يتقدمهم رجل متهاوي الجسد، كأنما الموت عبث به مراراً يتسرّق منه اللحم كلما زحف كاسحاً عن عظامه. ارتجف قلبه بداخل صدره، واندفع بقدميه ليضرب وجه الجثة المتقدمة، ثم مد يده إلى خجره وانتقض وقوفاً ثم رکع فوق ذلك الجسد وحفر خجره في عنقه حتى قطع الرأس، بعدها دفع جسده ونهض من جديد.

وبنبرة يملؤها مزيج من الخوف والسخرية قال:

ـ كل هذا من أجل كوب قهوة! فماذا كان يحدث لو طلبت العشاء؟

تحرك بين تلك الجثث، صاعداً إلى الطابق العلوى، حيث دخل إحدى الغرف وأغلق الباب بعنف خلفه، أSENT جبينه على الباب وراح يضرب رأسه عليه يستيقظ من هذا الكابوس المرrib.

ـ كيف يتحرك هؤلاء الأموات؟ يا الله كيف يحدث هذا؟

قطع صوته الداخلي همسات غريبة، صوت كأنما ينبعث من العدم، مميز بببطنه، كأنه يتشكل من أفكار تتخلل في هذا الظلام المحيط. تبع مصطفى الصوت حتى وصل إلى غرفة أخرى، وفي داخلها وجد رجلاً يجلس على كرسي هزار، يتمايل للأمام والخلف والدخان يتصاعد من سيجاره يحملها بين أصابعه وملامحه تغيب في ظلال قاتمة، فيما الساعة الذهبية تتدلى من جيبه، لتضفي على هيئته هيبة غامضة.

ـ سأله مصطفى والفضول يغلب عليه مشوباً برهبة:

ـ هل أنت من تلك الوحوش؟

ـ لم يتحرك الرجل، لكنه رد بصوت عميق:

ـ لماذا أتيت إلى هنا يا مصطفى؟

شعر مصطفى بالحيرة، لكنه استجمع شجاعته وسأله مجدداً:

هل تعرفي؟

أعاد الرجل سؤاله، لكن هذه المرة كانت نبرته أشد غرابة، إذ قال بصوت جهوري يكاد يخترق الظلام:

لماذا أتيت إلى هنا يا مصطفى؟

رد مصطفى وقد بدأ يتذكر ببطء حقيقة وجوده هنا:

أنا هنا أبحث عن باب العالم الثاني.

ضحك الرجل ضحكة قصيرة، محملة بغموض ثقيل وقال:

لا تنتهي طويلاً فإن الموت سيوقفك.

حدق الرجل في ساعته ثم أردف:

اذهب إلى النافذة يجب أن تتجمعوا جميعاً قبل فوات الأوان.

تقدم مصطفى نحو الرجل بخطى ثابتة رغم الخوف الذي يضغط على قلبه، لكنه عندما مد يده إلى الكرسي لم يجد أحداً.

((الفصل السابع: قتل الرأس))

قال وقد شلّه الذهول:

الكرسي... خاوي ولكن أين الرجل الذي كان يتحدث معي .

لم يفكر كثيراً حمل الكرسي وألقاه في النافذة الزجاجية فسمع صوت الكسر المدوي فخرج منها سريعاً وقفز في كومة قش . هرول باتجاه المنزل الذي دخل فيه حمزة ثم همهم بصوت منخفض، محاولاً ألا يلفت الأنظار:

ـ حمزة أين أنت؟

دلف الى المنزل بعد أن خفض صوته أكثر، يردد الاسم مرة تلو الأخرى:

ـ حمزة... حمزة...

نزل حمزة من الطابق العلوي مسرعاً، وكان وجهه وملابسها ملطخة بالدماء عندما لمح مصطفى صرخ بأعلى صوته:

ـ اركض إنهم خلفي!

ـ ماذا تقول؟

لكن حمزة لم يرد، بل تجاوز مصطفى بسرعة، قائلاً وهو يركض:
ـ ليس وقت السؤال اهرب يا رجل!

فجأة شعر مصطفى بالأرض تهتز، وصوت أقدام ثقيلة تكاد تكسر الأرض الخشبية في الطابق العلوي ازاح عينيه من على حمزة والتفت خلفه ، فشاهد الأموات الأحياء يتزاحمون على الدرج يخرجون أصواتاً غليظة من حناجرهم الخاوية. كانوا يهربون في تزاحم، يلتصق بعضهم ببعض لم يتحمل السقف تلك الأعداد فانهار تحت وطأة الأجساد الثقيلة وسقطوا دفعة واحدة أمام مصطفى فأصبح هناك فريقين فريق على الدرج والآخر أمامه، ركب خلف حمزة بكل قوته :

من هؤلاء القوم؟

أجاب حمزة بصعوبة لا أعلم.

دخلَ المنزل الذي كان يختبئ فيه زيدان، وأغلقوا الباب خلفهم بإحكام، كان الأموات الأحياء يزحفون في الخارج ويملوتون الطرق بأعداد هائلة. يلتفون حول المنزل من كل الاتجاهات، لا يُعرف من أين جاءوا فقد خرجوا من كل البيوت وكأن الأرض بصفتهم فأمسوا جرداً منتشراً فريق من الغرب، وآخر من الشرق، ومن اليمين والشمال، وكان كل من في هذا العالم قد استفاق فجأة من نعاسه الأبدي، يدفعون بعضهم البعض في ازدحام فوضوي.

قال مصطفى في عجلة:

لنضع بعض الأساس وراء الباب قبل أن يكسره.

كانت يضعن كل ما وجداه خلف الباب لكن كانت المحاولات بلا جدوى. فالباب يُدفع دفعاً شديداً. وقتها ارتفاعاً وصعداً إلى الطابق العلوي بسرعة.

زيدان ما زال مختبئ في غرفة الأطفال حتى أحس بصوت أصدقائه فجمع شجاعته، وتوجه إلى الباب ومد يده ليفتحه بسرعة لكن الرجل الميت كان سريعاً لكن حركة زيدان كانت أسرع فاغتاله بخجره، طاعناً إياها في أسفل ذقنه فخرج النصل من أعلى رأسه.

في تلك اللحظة لم يلاحظ النصف المبتور من جسد الزوجة التي بجانب قدميه. هاجت في محاولة لمحاجمته فجأة مصطفى ظهر ولم يتتردد ركلها بقدمه اليمنى، فسقطت على ظهرها أما حمزة دون تفكير، سحب السكين من صدر الزوج الذي كان يحمله منذ مقتله وطعن الزوجة عدة طعنات متتالية.

لكن الطعنات لم تنفع في قتالها فاستل زيدان فأسه من حقيبة مصطفى وضربها ضربة قوية شقت نصف رأسها فسقطت ميتة.

ثم دلفوا إلى الغرفة التي كان يختبئ فيها زيدان منذ قليل وأغلق مصطفى الباب وهو يلهث ثم واحتضن زيدان وحمزة قائلاً:

أحمد الله على سلامتكم يا أخوتي.

لمح حمزة بقایا الطفل المتناثرة في الغرفة فعبس وجهه من الاشمئزاز
وسأل: _ من هذا؟

أجاب زيدان بسخرية:

ذلك الفتى كان يلعب الغمipseة حتى وجدته، فلم يتحمل الخسارة وبدأ
يضرب رأسه في جدار الغرفة. أنا كنت أمنعه وأقول لا تفعل لا تفعل
ستؤدي نفسك دعنا نلعب شيئاً آخر، لكنه أصرّ على المضي في طريقه،
واختار أن يذهب إلى مكان لا أحد فيه.

ضحك الجميع وقال مصطفى:

المكان ينضح بالموتى الأحياء و ننتظر الموت ومع ذلك لا تتوقف
عن العبث.

زيدان :

يا صديقي إن كانت الدنيا فانية فما جدوى خوفي من أموات أحياء؟ لقد
تركت خوفي لها، وادخرته لما هو أبقى.

قاطعهم حمزة سائلاً

أين ليث؟

أجاب زيدان:

لا أعلم.

نظروا إلى بعضهم البعض وعيونهم مليئة بالأمل في أن ينجو "إيث" ولكن قلوبهم المشغولة بالليث انشغلت بالمخاوف.

قال زيدان بصوت هادئ مليء بالقلق:

لن يصد هذا المنزل طويلاً، قبل أن ينهاز على رؤوسنا.

قال حمزة والقلق يعصف به: أخاف من الموت، دقات قلبي تكاد تكسر صدري ماذا سيحدث إذا مت هنا؟ هل سأصبح مثّلهم؟

صفع مصطفى حمزة على خده، ثم قال بصوت حازم:

كف عن العبث سيزيد جزعنا من كلامك هذا؟

بينما كانوا يتهدّسون سمعوا دويًا عنيفًا واهتز المنزل كأنه على وشك الانهيار كسر الباب في الأسفل، وصعدت الوحوش بكل قوتها نحو الأعلى محاولين تحطيم باب الغرفة.

قال زيدان :

لتصعد إلى سطح البيت بسرعة.

صعدوا عبر النافذة إلى السطح، لكن لم يمض وقت طويل حتى كسر الزومبي الباب وتوجهوا نحو النافذة محاولين الوصول إليهم.

وقف الثلاثة متفرقين على زوايا السطح منهم من يلوح بلفائس وأخران بالخاجر وكلما اقترب منهم أحد الوحوش، ضربوه أو طعنه، فلم يكن لديهم سوى خيار واحد، الصمود.

وبينما كان زيدان يراقب المحيط حوله وقعت عيناه فجأة على الجدار الحجري لقلعة فرأى هاتور وسط ساحة القتال تشتبك مع الوحوش التي تهاجمها من كل جانب، وتقتل كل من يقترب منها بلا تردد لم يتمالك نفسه فهتف بصوت مرتفع:

ـ نحن هنا.

وصل صوته إلى مسامعها، فالتفت برأسها بسرعة، ورأتهم واقفين فوق السطح، بينما كانت جموع الموتى الأحياء تتسلق نحوهم من النوافذ، وأعدادهم في الأسفل تتکاثر بشكل مرئي حتى بدا أن المنزل سينهار تحت وطأتهم.

طارت بتجahهم وهي تصيح :

ـ أنا قادمة .

نظر زيدان إلى هاتور وهي تمزق صدر أحد الموتى الأحياء بيديها العاريتين، الدماء تطايرت على شعرها المتطاير خلفها فصارت كأجنحة من الحم، وابتسامة باردة ترسم على شفتيها استدار نحو

مصطفى، يتجاهل الجحيم المحيط به، وقال بصوت كأنه يصف لوحة في معرض:

جميلة العينين في نظائرها... كغزال البراري من طلائعها.

انشق صدري حين نادتني... لأن عصفوراً يُغردها.

زمر مصطفى وهو يقطع ذراع أحد الوحوش :

أنت مريض نحن نغرق وسط القذارة والموت، وأنت تتغزل؟ هل تريد أن أكتب لك قصيدة تأبىتك الآن؟

ابتسם زيدان وهو يطعن أحد الموتى في بطنه حتى اخترقت النصل ظهره:

أنا أقاتل معكم بسيفي... لكن قلبي يحارب معها.

قبل أن يرد مصطفى، اندفعت جثة من الخلف نحو زيدان، انقض مصطفى عليها، وغرز خجره في عنقها حتى انفصل الرأس وبقي متداخلاً من شريط لحم مهترئ فتناثر سائل أسود كثيف على وجهيهما قال مصطفى ساخراً:

كاد الحب يقتلك يا شاعر القبور... فهل ساعدتك عيناك الآن؟

رد زيدان، وهو يمسح الدم عن وجهه بيده الملطخة:

على الأقل سأموت وأنا أنظر إلى شيء جميل... لا مثل وجهك.

قهقهه مصطفى وهو يشطر جمجمة آخر نصفين:

وجهه... لا تتوقع بكائي إن أكلوك.

هبطت على سطح المنزل بخفة، تتقاذر بين الجثث حركاتها حادة وسريعة وأظافرها الطويلة تشق الأجساد كما لو كانت تمزق الهواء. كل ضربة تسقط خصمًا وكل نظرة من عينيها المشتعلتين تكشف عن عزيمة لا تعرف الرحمة.

وبينما تواصل القتال رفعت صوتها لتنادي جوادها المجنح بأقصى قوتها: زعير.

ثم التفتت نحو المجموعة وهي تصد هجوماً آخر:

ألم تعثروا على أي سبيل للخروج من هنا؟

أخرج زيدان ورقة مهترئة من جيبه.

ووجدت هذه... كانت مع أحدهم.

وصل زعير في تلك اللحظة، فانقض على المكان وحملهم على جناحيه بعيداً قبل أن ينهار المنزل تحت ضغط الجثث. حط بهم على سطح آخر، أكثر أماناً، بينما كانت أنفاسهم تتتسارع من شدة الموقف.

فتح هاتور الورقة عينها تحركان فوق الرموز الغريبة، قبل أن تقول بصوت منخفض لكنه :

ـ تلك لغة عالم الجن.

ـ سأل حمزة :

ـ وماذا تقول؟

ـ أجابـتـ :

ـ إـنـهـاءـ الجـسـدـ...ـ عـلـيـكـ بـالـرـأـسـ حـيـنـهـاـ فـقـطـ يـمـكـنـاـ مـغـادـرـةـ عـالـمـ
ـ الـأـمـوـاتـ.

لم تمضِ سوى لحظات حتى اهتزت الأرض تحت أقدامهم، وانشقـتـ
ـ لـتـخـرـجـ مـنـهـاـ جـثـثـ مـتـعـفـنةـ،ـ أـعـصـاؤـهـاـ مـبـتـورـةـ وـعيـونـهـاـ غـارـقـةـ فـيـ سـوـادـ
ـ الـمـقـابـرـ،ـ وـالـدـوـدـ يـزـحـفـ مـنـ جـرـوـحـهـاـ المـفـتوـحةـ.ـ أـسـرـعـواـ إـلـىـ زـعـيرـ،ـ
ـ وـرـكـبـوـهـ قـبـلـ أـنـ بـيـتـلـعـهـمـ الجـحـيمـ مـنـ جـدـيدـ.

ـ لـكـنـ قـبـلـ أـنـ يـغـادـرـوـاـ،ـ لـفـتـ اـنـتـبـاهـ هـاتـورـ مشـهـدـ غـرـيبـ...ـ اـمـرـأـةـ نـحـيـلـةـ
ـ الـجـسـدـ ذـاتـ خـصـرـ ضـيقـ وـعـيـنـيـنـ بـيـضـاوـيـنـ بـلـاـ بـؤـبـؤـ تـحـمـلـ رـضـيـعـاـ بـيـنـ
ـ ذـرـاعـيـهـاـ،ـ وـتـقـفـ بـيـنـ الجـثـثـ كـائـنـهـاـ مـلـكـةـ عـلـىـ عـرـشـ الـمـوـتـ رـفـعـتـ
ـ إـصـبـعـهـاـ وـأـشـارـتـ نـحـوـهـمـ وـكـائـنـهـاـ تـتـحـكـمـ فـيـ جـمـيعـ تـلـكـ الـكـانـنـاتـ.

ـ قـالـتـ هـاتـورـ،ـ وـنـبـرـتـهـاـ مـشـوـبـةـ بـالـرـيـبـةـ:

تلك المرأة... _

رد مصطفى وهو يراقبها بعين ضيقه:

_ أقصدين المرأة التي تحمل الرضيع؟

أومأت هاتور:

نعم... أشعر أنها هي الرأس.

سأله حمزة بصوت خافت يحمل القلق:

_ وماذا عن ليث؟ أين هو؟

أجابته بصرامة:

_ إن أسقطنا الرأس سينتهي كل شيء... وسنجد ليث.

تنفس مصطفى بعمق، ثم قال بجسم:

_ لدى خطة.

نظرت إليه بترقب وقالت: _ ما هي؟

ـ سنقفز من فوق زعير، ونركض نحن الثلاثة في اتجاهات متفرقة

ـ ستبعنا الوحوش، وعندها تتوجهين أنت لقتل المرأة.

ـ هذه الخطة ستقتلهم... ردت هاتور في خوف.

ـ نظر إليها زيدان بثبات، وكأنه يقيس المسافة بين قلبه وقلبها لا بينه وبين الخطر ثم قال:

ـ قد نموت... لكن إن كانت هذه هي النهاية فأريدك أن تعرفي شيئاً قبل أن أرحل.

صمت لحظة، ثم قال بوضوح:
ـ أحبك.

ارتبتكت فلم يكن الوقت ولا المكان يحتملان هذه الجملة، لكنها شعرت أن الموت وحده يجعل بعض الكلمات ممكنة تتمت بحدة تخفي ارتجافها:

ـ وهل هذا وقت؟

ابتسم ابتسامة قصيرة، لكنها كانت أصدق ما في وجهه منذ أن عرفته:ـ هو وقته ... لأن الغد قد لا يأتي، الحب يا هاتور ليس رفاهية نوجلها حتى نأمن، بل هو الشيء الوحيد الذي يجعلنا نواجه ما لا يواجه.

طلت تحدق فيه لحظة، ثم قالت بصوت منخفض:

ـ إذن أعلم... أنك سبقتني إلى القول، لكنك لم تسبقني إلى الشعور.

التفت زيدان إلى مصطفى برأسه:

لقد قالتها يا أخي... قالتها.

مصطفى، الذي ما زال يحذق في ذهول كأنه لا يفهم الرابط بين الكلمات،
تعتم بحدة:

إن لم تتحرك سأموت من تلك البلاهة قبل أن تقتلني تلك الوحوش قل
لها أن تهبط لكي تنفذ الخطة.

اندفع حمزة وزيدان ومصطفى في ثلاثة اتجاهات، يركلون الأرض
بأقدامهم ويصنعون جبلة متعمدة، يصرخون ويطرقون الحجارة
وくだان الخراب بكل ما تصل إليه أيديهم. ارتد صدى الضوضاء في
الأفق، فبدأت الجثث تلتف دفعة واحدة ثم اندفعت نحوهم كلاب صيد
شممت دمًا، تتحرك بلا عقل لكن بحركة منظمة تحمل شراسة غير
طبيعية.

في تلك اللحظة، كان تركيز هاتور منصبًا على المرأة الغريبة... كيان
يرفض قوانين الحياة والموت هبطت من السماء بخفة، وهناك تحت ظلٍ
باht، كانت المرأة تجلس تحتضن طفلًا صغيرًا لكن المشهد لم يكن
أوميًّا... بل كابوسيًّا.

صدر المرأة ينزف دماً غزيراً، والطفل يرضع منه بجوع وحشى، ينهل منه كما لو كان يشرب روحها. جلدها يتفتت مع كل نفس وجهها يذبل حتى يكاد يختفي.

لم تتردد هاتور، صنعت سيفاً متألقاً من وهج سحرها، تقدمت خطوة، لكن المرأة فجرت صرخة حادة، على أثرها توقفت كل الجثث عن ملاحقة حمزة وزيدان ومصطفى، ثم استدارت في انسجام مميت نحو هاتور، وكأنها أعيدت برمجة ولائها.

حمزة التفت خلفه، فلم يجد شيئاً. زيدان ومصطفى توقيفاً أيضاً، يلتقطان أنفاسهم بينما الظلام حولهم صار أثقل وأكثر كثافة فلم يعرفوا أن الخطر كله أصبح متجلساً الآن أمام هاتور.

الأرض تحت قدميها بدت وكأنها تتبعها مع كل خطوة، لكن هاتور رفعت سيفها وأطلقت كل قوتها في ضربة خاطفة، فطار رأس المرأة وسقط على التراب... غير أن الصمت لم يأتِ على العكس الوحوش ازدادت شراسة، وكأنها تحررت من قيد كان يكبحها.

حينها رأت هاتور الحقيقة... الطفل.

عينا الصغير تحولت إلى سوادٍ مطلق، وأنفاباه امتدت كمخالب قاتلة. ففهمت أن الشر كله ينبض في صدره، وأنه الرأس الحقيقي الذي يجب أن يسقط.

تقدمت، والوحوش تقترب من كل جانب، لكن العالم صار ضباباً لا ترى فيه سوى الطفل رفعت السيف عالياً ثم غرزته بكل قوتها في قلبه.

صرخة الطفل لم تكن صوتاً بل كانت زلزاً مزق الهواء. وفي لحظة انهارت الجثث كأشجار جافة، تفتتت إلى رماد طائر والوحوش جميعها اختفت حتى جسد المرأة تبخر في الهواء... وعاد الصمت.

الفصل الثامن: اريد المفتاح

عندما تلاشت الوحوش وصارت رماداً يتراقص في الهواء، ارتجفت الأرض من تحتهم، كأنها تتأهب لاستقبال حشد جلل. كان العالم الأول يزفر زفراً عميقاً، كمن تحرر من سلاسل طال أمدها، يتنفس الصدأ للمرة الأولى منذ عصور طواها الظلام.

فجأة انشقت السماء وكشف عن "باب العالم الثاني" كان باباً عظيماً، أشبه بقطعة من السماء اقتطعت بالفوة، ومن قبّه تدفق أصوات متداخلة من الأزرق العميق والذهبي المشتعل، تترافق معًا في موجات بطيئة.

من البوابة انطلقت أنغام عجيبة كأنها أغاني أرواحٍ قديمة تنتهي عبر الزمان، تناسب في الأجواء فتشير قشريرة في العظام.

ثم... عادوا السكان الأصليون للعالم الأول.

ظهروا كما لو خرجن من حلمٍ طويل، وجوههم الخضراء الشاحبة تتلألأ بهالة رقيقة تتغير ألوانها تبعًا لانفعالهم، وكان ملامحهم تحكي قصصهم قبل أن تنطق شفاههم. الرجال ارتدوا ثيابًا فخمة داكنة اللون؛ أزرق غامق وأسود تخلله خطوط ذهبية أنيقة، وأحزمة جلدية محفورة برموز قديمة على رؤوسهم قبعات عريضة تتدلّى منها خيوط ضوء ناعم. أما النساء فارتدين ثيابًا طويلة تبدو كأنها حيلت من خيوط القمر، تتحرك مع كل خطوة وكأنها تعزف لحنًا صامتًا في الفراغ.

ومن وسط هذا الحشد خرج "ليث".

كان محاطًا بالسكان ليس كمجرد رفيق بل كقائد أو منقذ على وجهه خليط من الحيرة والعزمية وعيناه تبحثان وسط الزحام حتى توقفتا عند حمزة ثم هرول نحوه والدموع تلمع في عينيه.

صرخ حمزة وصوته يرتجف بين الفرح والرعب:

ـ أخي... اقترب حتى صار أمامي، ثم وضع يده خلف رأسه، وجذب جبهته إلى جبهته وهمس:

ـ لقد خفت أن أفقدك خفت أن تسلب مني كما سُلب كل شيء. لست فقط صديقي بل أخي.

ابتسم ليث، لكن دموعه انحدرت على وجنتيه وصوته خرج مبحوحًا:

إن كنت تراني أخًا فأنا أراك أباً وأخًا وكل ما تبقى من عائلتي التي
اغتالها الزمن. أنت لم تعوضني فقط عن الآخر، بل كنت كل شيء لي.

احتضنا بعضهما بحرارة التف الأصدقاء حولهما وجوههم خليط من
الفرح والحيرة.

لكن مصطفى، الذي لم تغب عن عينيه غيوم الشك، تقدم وسأل
بصراحته:

من هؤلاء؟ وأين كنت لقد أخلفتنا عليك كثيراً.

تنهد ثم قال:

لا أعلم... فكل ما أذكره أنتي دخلت منزلاً مظلماً أبحث فيه عن مأوى
فوجدت امرأة مسنة ممددة على وجهها وعندما اقتربت لمساعدتها
عضّت يدي. لا اتذكر بعدها ما حدث سوى أنني استيقظت هنا ووجدت
هؤلاء يحيطون بي ويذعون أنهم سكان هذا العالم لكن ما علاقتي بهم؟
وما علاقتهم بما حدث؟ لا أعلم.

تقدّم نيكولا ملوك هذا للعالم تجاههم هو طویل القامة، مهيب الحضور
عباته الملكية المطرزة بالفضة تلمع تحت الضوء المتداخل من بوابة
العالم الثاني. عيناه ثبتتا على هاتور لحظة طويلة، ثم انحنى قليلاً
احتراماً، في إشارة واضحة لمكانتها:

لم أتخيل أن أرى ابنة هتان ملك مملكة العوالم، هنا في مملكتي وفي هذا الظرف بالذات.

تجمدت هاتور في مكانها:

أنت تعرفني؟

ابتسم نيكولا ابتسامة خفيفة، لكنها مملوءة بالاحترام:

كيف لا أعرف ابنة من حكم العوالم السبعة بحكمة؟ والدك تهان كان حليفنا الأكبر في معارك الظلال ووجودك هنا شرف لنا... وأمل لمملكة كانت تموت.

كنت أعرف أن للعوالم الأخرى ملوكاً وحكاماً، لكنني لم أكن أعلم ما حدث لعالماكم فما هذه اللعنة التي حاصرتكم؟

تنفس نيكولا بعمق:

علمنا كان مزدهراً بين عوالم الجن حتى ظهرت تروكتال، ساحرة منفية من ممالك الغرب لم تكن مجرد ساحرة، بل كانت تستمد قوتها من الفوضى وتسيطر على أتباعها بنظرة واحدة دون كلمة أو تعويذة تقليدية. بسطت نفوذها على غابتنا، وأفسدت روح الأرض ثم حولت البشر والجن إلى وحوش لا تعرف سوى القتل.

جمعت جيش المملكة من الجن والإنس معاً، فالخطر الذي جلبه لم يفرق بيننا كنا كتفاً بكتف، نحمل السيوف ونلقي الرماح، حتى وصلنا إلى قلب الغابة حيث كان عرشها المظلم وبعد معركة طويلة ودموية، قبضنا عليها، وحكمنا عليها بالصلب أمام الجميع.

لكن قبل موتها تتمت بكلمات من لغة لم أسمعها من قبل ثم أطلقت طاقة سوداء كثيفة اخترقت جسد طفل كان بين الحشد... ومن هنا بدأت العدوى، تنتقل من جسد لآخر، حتى التهمت عالمنا كله، جنًا وإنسًا.

ثم التفت إلى هاتور:

ـ وجودك هنا يعني أن العوالم بدأت تقاطع من جديد، ابنة تهان لا تظهر صدفة... أنتِ لستِ فقط شاهدة على ما حدث، بل قد تكونين مفتاح ما سيأتي.

قالت هاتور:

ـ أريده مفتاح باب العالم الثاني.

ساد الصمت لحظة، قبل أن يميل زيدان نحوها متعجبًا:

ـ ولكن... ألم تملكي مفتاح الباب الأول واستخرجتني من العدم؟ لماذا لا تفعلين ذلك مرة أخرى؟

أجبت:

ذلك كان المفتاح الوحيد الذي أملكه.

قال الملك :

خذوا ما تريدون من المملكة هي ملككم كما هي ملكنا ولكن لا تتطلبو
المفتاح:

رد مصطفى:

أيها الحكم، لا نطلب كنوزكم ولا خيراتكم. ما نريده هو العبور لإنقاذ
ما تبقى من قريتنا ومن أرواح تموت كل يوم.

تأمل في وجوههم بصمت، ثم قال ببطء:

المفتاح رمز شرف المملكة وأمانتها. تسليميه ليس بالأمر الهين... إنه
تسليم مصير عالم كامل بين أيدي غرباء.

قال زيدان:

لقد أنقذنا شعبك من لعنة أكلت أرواحهم لقرون، وأعدنا لكم أجسادكم.
الآن نطلب منك أن تمنحنا الفرصة لنفعل الشيء ذاته لغيركم. المفتاح
أمانة نعم... لكنه أمانة من أجل الحياة، لا من أجل أن يصدأ في جيبك.

أو ما ليث مؤيداً:

نحن لسنا طامعين في أرضكم ولا سلطتم. نحن نحمل رسالة وأنت
جزء من تحقيقها.

ظل نيكولا صامتاً للحظات ، ثم أشار إلى أحد الحراس. بعد قليل عاد
يحمل صندوقاً ذهبياً مرصعاً بالجواهر، اقترب نيكولا منه، ونفخ على
غطائه، فانفتح الصندوق ببطء كاشفاً عن مفتاح ذهبي لامع وورقة
جلدية قديمة.

أمسك بالمفتاح، وتقدم نحو هاتور:

ابنة تهان أعطيك المفتاح، وأعطيك معه أمانة هذا العالم العبور ليس
 مجرد خطوة، بل عهد قد لا تعودون منه فكوني على قدر ما ورثت.

مدّت هاتور يدها، وتناولت المفتاح، ثم رفعت الورقة التي كانت في
الصندوق وقرأت بصوت مهيب:

من العدم أتينا وإلى الأجل سنذهب دعنا نتذكر... فالهدف إلا ننسى.

اتجهت نحو الباب وضع المفتاح في القفل، وبذلت تدبره. اهتزت
الأرض وتماوج الهواء ثم انفتح الباب ببطء كاشفاً عن ضباب كثيف
يخفي خلفه عالماً غريب الملامح.

وقف نيكولا يودعهم :

وداعاً يا أصدقاء... أعيدوا للعوالم ما فقدهم.

ومع عبورهم البوابة، انغلق الباب خلفهم، وابتلعهم عالم جديد... حيث النسيان سيد المكان.

الفصل التاسع: قل لى من أنا

انتظر نعم أنت ما هو اسمك؟

سأل القارئ بصوت رتيب، غير مكترث لعمق السؤال:

إسمي؟؟

نعم اسمك يا فتى هل تغفل عنه؟... جاء الرد بمزيد من التحدي والدهشة:

لا، لا أغفل ولكن من سهولة سؤالك أكاد أشفق عليك... لكن هل تريد معرفته لمنادتي، أم مصاحبتي؟

أنا لا أريد معرفته لهذا ولا لهذا.

إذاً لما تريده؟ لن ينفعك معرفته.

أجب الكاتب بنبرة غامضة، قد اختلط فيها الفكر بالإحساس وقال:

أريد أن أعرفه لكي أذكرك به إن نسيته.

في عالم لا يشبه أي عالم، عالمٌ تتشابك فيه الأفكار حتى تفقد ملامحها، وتتبادل الأدوار حتى يحتل الغباء عروشاً ليست لهم وكأنهم خلقوا لها. هنا تسلب منك ذاكرتك كما تسلب الأرض من جذورها، وثزرع فيك أفكار ليست لك فتتحرك كما لو كنت دمية في لعبة لا ثبصر قواعدها، لعبة لا تعرف إن كنت فيها لاعباً... أم مجرد حجر على رقعة غامضة.

سأله مصطفى، وقد بدت على وجهه ملامح الحيرة العميقه:

ـ أين نحن؟ ولماذا كل شيء حولي معكوس ماهذا!! انظروا، هناك حيوانات تسير إلى الوراء، وكأنهم لا يعلمون حتى كيف يمشون!

أجبت هاتور وعيها تلمعان بحيرة متشابكة مع الحيرة التي تغمر الجميع:

ـ أنا... لا أنكر أنني وطئت هذا المكان من قبل أو ربما فعلت... لكن الأفكار تتسلط من رأسي مثل رمال تجرفها أمواج البحر بعيداً عن الشاطئ.

ثم أضافت بصوت منخفض كأنها تخاطب نفسها قبل أن تخاطب الآخرين:

هل يعقل أننا في عالم النسيان؟ كل شيء يتلاشى وكأنه لم يكن.

حمسة، وقد بدأ يشك في كل شيء حوله، سأل بحذر:

ما هذا العالم؟ هل نحن في مكان حقيقي أم في مجرد وهم؟

هاتور:

أنت تكون أنت، ثم بعد ذلك تصبح هو.

ليث، وقد شعر بأن الأجوبة بدأت تخرج عن نطاق الواقع الملموس، رد مستنكراً:

هذا الكلام لا ينطبق على أي واقع لا أستطيع استيعاب ما تقصدين.

هاتور بابتسامة غامضة قالت ببساطة:

ومن قال إننا في واقع؟ الواقع هو ما نختبره، وما ندركه... ولكن هل نحن مدركون بما فيه الكفاية هنا؟

زيدان، وقد بدأ ينسى نفسه تحت تأثير هذا العالم الغريب، قال بصوت هادئ:

تقولين أننا في عالم السلان!

هاتور وقد نسيت نفسها تماماً في هذا الارتباك ردت بعجلة:

لا هل نسيت ما قلت؟ نحن في عالم اليسان.

حمسة، وقد شعر بأن هناك شيئاً خطأً في كل ما حوله، قال بنبرة غاضبة:

ـ وجدان؟ أي وجدان؟ ومن أنتم أيها الغرباء؟ هل التقينا من قبل؟ أشعر وكأنني أعرفكم.

ليث، وقد طفت عليه شكوكه، قال وهو يغادر المكان:

ـ شعور كاذب أنا لا أريد أن أبقى مع غرباء.

مصطففي، وقد أدرك أن الأسئلة لا تحمل إجابة هنا، قال بحزن: ـ لنبحث عن شخص يقول لنا من نحن.

ـ حمسة، وقد ضاق ذرعاً:

ـ ابحثوا بمفردكم أنا ذاهب لا يمكنني البقاء في مكان لا أحد يعرف من هو.

التفت مصطفى إلى زيدان وقال:

ـ لم يتبق سوى نحن فلنسائل تلك المرأة ، ربما تملك بعض الإجابات.

اقترب مصطفى بخطوات بطيئة من هاتور وسألها بحذر:

يا سيدتي، نعم أنتِ، هل تعرفين من نحن؟

أجبت هاتور، بنبرة غريبة مليئة باللامبالاة:

هل أنتم حمقى؟ ما هذا السؤال لا اعرف ولا أريد أن أعرف.

تحركت هاتور مبتعدة بعد أن تركت مصطفى وزيدان خلفها

زيدان كان يراقبها عن كثب فجأة بدأ يشعر بشيء غريب في قلبه:

إذا لم أكن أعرفها، لماذا تتتسارع دقات قلبي وهي تبتعد؟

غضب مصطفى، وقال

لن أبقى هنا بعد الآن.

تفرقت الطرق بينهم، وكل واحد منهم اتخذ سبيلاً يظنه الأقرب إلى الحقيقة، لكن الحقيقة كانت بعيدة، بعيدة حدّ أن كل خطوة نحوها لم تكن إلا اقتراباً من الضياع.

الساعات تمضي بطيئة، والشمس تزحف نحو الأفق حتى صارت قرصاً أحمر يذوب في الضباب، والأرض حولهم بلا معالم واضحة، لا صخور تشير إلى اتجاه، ولا أشجار تمنح ظلاً. أما السماء، فمشوشة، كأن وشاحاً من الرماد يغطيها، والهواء ثقيل، يثقل معه القلب والعقل. كان

العالم كله غريباً، متقلبًا، بلا يقين، كرحة لا يعرف أحد متى تنتهي...
أو إن كانت تنتهي أصلًا.

كان مصطفى قد أنهكه المسير، وقد أكل التعب من قدميه حتى شعر أن
العظام تصطك تحت جلده. جلس على صخرة كبيرة، أسنن مرفقه إلى
ركبته، ووضع يده اليمنى على جبهته يستظل بها من وهج الغروب،
وهو يحدق إلى الأفق بعينين متعتين. هناك وسط الضباب الملون
بالحمرة، لمح شيئاً يتحرك... لا بل شخصين.

كانا يقتربان بثبات، يطآن الأرض بخطوات واثقة، وكأنهما يعرفان
الطريق وسط هذا التيه. يرتدي كل منهما سروالاً فضيًّا، وقميصاً أسود
يصل إلى أسفل الركبة، تتدلى على خصريهما جرابات لسيوف،
والعمامات فوق رأسيهما تتمايل مع كل هبة ريح، فتلمع خيوطها مع
خفوت الصوَّع.

وحين صارا على مسافة قريبة، توقف أحدهما فجأة، وحدق في
مصطفى وكأنه رأى طيفاً، ثم قال بنبرة تحمل الدهشة والتجليل معاً:

لماذا أنت هنا يا جلاله الملك؟ لقد تعبت الخيول وهي تجر العربات التي
تبث عنك. الشعب في حيرة والعيون تبكي ليل نهار في انتظار عودتك.
قوينا جفت وأراضينا غزاها الأغراب قطاع الطرق يتجلولون بلا
رادرع، والشر يخرج من الأرض ليملأ قلوبنا خوفاً! النفوس ترتعد،

وفزع الأطفال يملاً الأرجاء. لقد فاض الكيل واحتل الميزان والجميع
يتسائل... أين المفر؟

لم يستطع مصطفى الرد فوراً بقي صامتاً، لأن الكلمات هربت منه، ثم
قال بصوت متعدد وفي عينيه ارتباك عميق:

لست أنا من تقصدون... انظروا إلى ملابسي... هل هذه ملابس ملك؟

اقترب الغريب خطوة أخرى، وعيناه تبحثان في ملامح مصطفى عن
شيء يعرفه ثم قال :

إن لم تكن الملك... فمن أنت؟

ابتلى مصطفى ريقه، وشعر أن قلبه يضرب صدره بعنف، ثم همس
وكأنه يعترف بخطيئة:

لا أعلم... أنا... لا أعرف من أنا.

ارتسمت على وجه الغريب ابتسامة غامضة، ومال برأسه قليلاً وهو
يقول :

إذا كنت لا تذكر... دعني أذكرك.

صمت لحظة، ثم نطق بالكلمات التي جمدت الدم في عروق مصطفى:

أنت الملك... الملك الذي فقد ذاكرته.

سأله بصوت بالكاد خرج من حلقه:

إن كنت الملك... فما اسمي؟

اقرب الغريب أكثر، حتى صار ظله يغطي وجهه مصطفى، ثم أجاب بثبات:

تدعى الملك منسي ملك مملكة المنسيين.

ضحك مصطفى بمرارة وقال وكأن الكلمات لا تكاد تلامس عقله:

منسي؟ هل هذا اسمي أم صفتني؟

فجأة قام من مكانه متثاقل الخطوات، والقلق يعصر صدره كقبضة باردة لم تكن لديه القوة ليقول لا ولا حتى الشجاعة ليفلت من قبضتها كل ما استطاعه هو أن يسير معهما، لأن قدميه تتحركان بإرادة غير إرادته. كان كل شيء حوله بلا منطق، والضيق يتکاثر في داخله مع كل خطوة يخطوها.

لمح بعينيه عربه لم يرها منذ قليل وكأنها انبثقت من العدم ركبها مع الرجلين عجلاتها العريضة تصطك على الطريق، وخيولها تتقدم بنفـسـ حـارـ وبـخـارـ يـتطـاـيرـ من أفواهـهاـ. كانت العـربـةـ تـشـبـهـ العـربـاتـ المـنـقـوـشـةـ على جـدـرانـ المعـابـدـ الفـرعـونـيـةـ،ـ كـانـهاـ جـاءـتـ منـ زـمـنـ آخرـ لـتـحـمـلـهـ شـعـرـ وكـانـهـ عـالـقـ بـيـنـ التـارـيـخـ وـالـحـاضـرـ،ـ بـيـنـ أـرـضـ يـعـرـفـهـاـ وـعـالـمـ لـاـ يـعـرـفـهـ.

تقدمت العربة نحو جدار شاهق يطوق مملكة عظيمة، جدار كأنه يريد أن يبتلع ما في داخله ويعزلها عن الكون. وعندما لاحت البوابة أمامهم، صاح أحد الرجلين بصوتٍ يجلجل:

افتحوا البوابة لقد أحضرنا الملك!

تصدعت لحظة الصمت، وفتحت البوابة ببطء، ليندفع منها نور غريب، كأنهم يخطون من عالم إلى آخر. وما إن دخلوا حتى انكشفت أمامهم شوارع وأسواق متراصة الألوان، بيوت وقصور متقدة، كل شيء منظم لدرجة غير طبيعية، وكأنه حلم مصاغ بدقة، أو فتحٌ محكم.

كان جمال المكان خانقاً، نظافته المطلقة تُربكه بدل أن تريحه. عيون الناس تتجه نحوه، صفوفهم مصطفة على جانبي الطريق، يهتفون بصوت واحد لا يتغير ولا يلين:

يعيش الملك منسي.

الهتاف كان كالمطرقة، تضرب داخله وتزيد من ضياعه اقترب منه الحارس المرافق وهو يلهث بهدوء :

يجب عليك أن تحفي شعبك، يا جلاله الملك.

رفع مصطفى يده ببطء، كمن يختبر واقعاً لا يصدقه، فتضاعفت صيحات الناس كان المشهد أكبر من استيعابه، لكن إحساساً آخر بدأ يتسلل إلى أعماقه؛ إحساس غريب بالسلطة، بالانتماء، وكان هذا العرش له منذ الأزل.

فأشار بيده مرة أخرى، وقتها خيم الصمت التام وقال :

ـ شعبي العزيز، جئت إليكم بعد مشقة عظيمة، ربما لا أتذكر بعض التفاصيل من رحلتي الطويلة، ولكنني أعدكم أنني سأضرب بيد من حديد على كل من يخرق القانون. ومن يروع شعبنا العزيز فليتحمل العواقب.

تسارعت الهتافات أكثر من ذي قبل، وارتقت في الهواء حتى بدا وكأنها تلامس السحاب. كانت تلك الأصوات أشبه بوعود ثنقش في الفضاء، وكأنها وعود قادرة على تغيير مسار التاريخ التفت الشخص الذي بجانبه، وابتسم ابتسامة عريضة، كأنه كان ينتظر هذه اللحظة بالذات، اللحظة التي جعلت مصطفى يصدق أنه المأك.

دخل القصر، فتاه عقله للحظات أمام ما رأه فخامة لا توصف، رقي لا يصدق واتساع فاحش كانت التفاصيل الدقيقة تزين المعمار من الداخل والخارج جدران مرصعة، نوافذ عالية، وأرضيات تعكس الأضواء كالمرايا. الغرف تتبعقب والسلام ترتفع بهدوء نحو العرش في البداية

شعر براحة غريبة، لكن تلك الراحة سرعان ما انقلب إلى تقتل من الأسئلة العالقة، أسئلة تحاول الهروب، لكنها لا تجد منفذاً.

توقف ونظر إلى الرجل بجانبه قائلاً:

– أنت تتبعني من البداية، ولكن لم تخبرني من أنت؟

أجاب الرجل بهدوء وسکينة:

– أسمي مصطفى، وزيرك يا مولاي.

ارتبك الملك المزعوم وسأل مستغرباً:

– هل هذا اسمك؟

– نعم يا مولاي.

تأمل مصطفى ملامحه طويلاً ثم قال:

– أشعر أن هذا الاسم قريب جداً مني.

ابتسم الوزير ابتسامة غامضة وقال:

– مولاي قرب اسمي منك ليس محض صدفة. أنا لا أفارقك ولهذا تشعر أن الاسم يتعدد في أعماقك.

أطرق مصطفى قليلاً قبل أن يجيب بصوت هادئ:

– نعم... قد يكون ذلك صحيحًا.

قاد الوزير الملك المزعوم إلى غرفة الملابس الملكية، حيث ألبسه ثياباً فاخرة بنطلاً وقميصاً طويلاً يصل حتى قدميه، ثم وساحاً ذهبياً مرصعاً بالألماس وأخيراً، وضع التاج على رأسه. وقف مصطفى أمام المرأة يتأمل انعكاسه تتنقل عيناه ببطء على ملامحه، وكان شخصية جديدة تولد أمامه.

ابتسم بغرور، وهو يحدق في صورته بنشوة:

– هل هذا أنا؟ ما هذا الجمال! أكاد لا أصدق نفسي. أنا الحاكم ذو السلطان، أنا الأمر، أنا الناهي. أنا من علوت في الآفاق نظرت تحت قدمي فوجدت السحاب يحملني، ونظرت فوق السماء فلم أجد من يعلو عنِّي.

وقتها ابتسم الوزير ابتسامة غريبة من خلفه. كانت ابتسامة ممدودة أكثر مما ينبغي وفي لحظة، انزلقت الملامح المصطنعة عن وجهه الوزير، كأنها قشرة تتفتت، عيناه استعلتا بحمرة متوجهة، وظهر رأسه أصلع كأنه يبتلع الضوء، أذناه عريستان ومشوهةتان عند الحواف، ومن ذقنه نبتت سبعة أشواك غير متتسقة، رقبته تحمل عظمتين بارزتين كقوس مائل نحو الترقوة، ولسانه منقسم إلى شطرين يتحركان ببطء.

لكن مصطفى لم ير شيئاً... كان غارقاً في صورته، يمرر نظراته على ثوبه الملكي، وعلى التاج الذي يلمع فوق رأسه.

خرج السؤال من فمه في شرود:

ماذا سنفعل بعد ذلك، يا وزير؟

في تلك اللحظة، كانت ملامح الوزير قد عادت كما كانت، وجهه هادئ مطمئن، ابتسامة مطموسة الخطر. تقدم خطوة وقال بصوت هادئ كالماء الراكد:

جلس على عرشك، تأمر جندك بقتل قطاع الطرق، تستقبل الشكاوى، تنظم الحفلات... وبالطبع تقيم العدل.

وبعد أن انتهي من تجهيز نفسه دلف إلى قاعة الحكم الواسعة، تخطى السالم الفاخرة بخطوات واثقة ثم جلس على العرش كأنه يحيا حلماً، الأضواء تراقص حوله، وثقل التاج على رأسه يذكره بأن عليه أن يتصرف كملك.

في تلك اللحظة، دخل أحد الحراس بصوت رسمي صارم:

مولاي الملك تم القبض على القاضي الخائن 'نسين' وهو في الخارج مكبل بالأصفاد.

اشار الوزير وقال:

ادخله فوراً.

دخل رجل بملابس ممزقة، مكبل اليدين، حافي القدمين وجهه شاحب، لم يكد مصطفى يراه حتى شعر بوخزة في ذاكرته كأن باباً مغلقاً بدأ يفتح ببطء.

نهض من على العرش، عينيه تتسعان، وقلبه يخفق بعنف اقترب خطوة ثم قال بصوت مرتجف:

أعرفك... أنت ذاك الرجل الذي رأيته حين كنت لا أعلم من أكون... وأنكر معرفتي.

هنا انكشفت الحقيقة المروعة فهذا الرجل لم يكن سوى حمزة... صديقه الضائع في غياب عالم النسيان ذلك العالم الذي يتلعل الذكريات، ويمحو الوجوه من الذاكرة، حتى يغدو أصحابها غرباء لا يعترف بهم أحد.

الفصل: العاشر الملك المصطنع

لا تناديوني باسمي وأخبرني من أكون، نحن في عالم باهت تنتهش النفس كما لو كانت لا تحمل القيمة التي يجعلها في هذا الجسد، يخرج الإنسان على فطرته فيتأثر بطبعاع من حوله، ويلج البعض بنشر فكرة مصطنعة من تكبر وعدم اتزان.

.....
نظر مصطفى إلى حمزة وقال:

لماذا لم تناذيني باسمي وتخبرني من أكون حينها؟

رد حمزة بصوتٍ غامض:

كيف لي أن أكون ما ليس لي وأعرف من أنت؟

أردد الوزير بلهجة حادة :

الا تعلم عقوبة إنكار الملك؟

قال حمزة:

كيف لي أن أعرف أحداً لا أتذكره؟ إن كنت لا أعرف من أنا، فكيف لي أن أعرف من هو، تراني أنت فأكون أنا وتراني أنا فأكون أنت.

تعلمل مصطفى في مكانه، وارتسم الارتباك على وجهه، ثم قال بصوت مرتجف:

أنا لا أفهم ما تقول، فسر لي أيها القاضي.

ابتسم حمزة ابتسامة حزينة، ثم تابع:

إني لا أعلم من أنت، أو هو، أو حتى لا أعلم من أنا فكيف يمكنني أن تكون جزءاً من هذا العالم إذا كانت الذكريات قد ضاعت مني؟

صمت مصطفى للحظة، ثم نظر إلى الوزير بجدية:

يا وزيري ماذا فعل القاضي حتى يُكبل؟ إن كان لا يتذكرني فأنا لم أتذكرة من أنا. هو تعرض لما تعرّضت له، فلماذا يختلف مصيره؟

تجمدت ملامح الوزير، وانتفخت أوداجه كما لو أن النار قد اشتعلت داخله ثم رد بصرارة:

هذا الخائن وجدناه مع زوجتك في الفراش! وأنت حكمت عليه بالإعدام، وعندما اقتربنا من تنفيذ الحكم تآمر مع السجان، وفر هارباً مع الخائنة.

سارعت الدماء إلى وجه مصطفى وهو ينهض فجأة من على عرشه. واتسعت عيناه دهشة، ثم غطتها غيمة من الغضب العارم:

كيف تجرأت أيها الخائن الوضيع ... قال بصوت متقطع، يطاً الأرض بتسارع، كأنه يحاول إخراج غضبه في كل خطوة.

على تلطيخ ثوبي تالله لأقتلك في ساحة المملكة لتكون عبرة لأمثالك، ولمن تبقى من شرذمة شعب المنسوبين.

لكن حمزة، رغم تلك الاتهامات التي تساقط عليه كالرصاصات، لم يكن لديه ما يدافع به سوى صمته وهدوئه. رد بصوت بارد:

أنا لا أتذكر شيئاً فكيف تقدّمني بالزاني وأنت تعرف أنني لا أملك عقلي لرد عليك؟ ولكن إن كنت لا أتذكر، فأخلاقي تتذكرني، وأسلوبي يخبرني وأقسم لك أنا لم أفعل شيئاً كهذا.

مصطفى كان يلهث، قلبه ينبض بسرعة لا تعرف التوقف، بينما الوزير كان يراقب بحذر، كأنه يراقب لعبة شطرنج باردة، حيث لا أحد يعلم ما ستكون الخطوة التالية، لكن رده جاء مفاجئاً:

لماذا كنت تهرب إذًا؟؟

أجاب حمزة : مولاي لما تلك الأسئلة؟ قلت لك أنا لا أتذكر!

قرر مصطفى أن يضع حدأً لهذا الجدال الذي لا طائل منه، صرخ بقرار حاسم :

الفعل فعل وإن كنت تجهله والجهل فعل وإن كنت لا تعلمه، حكمي نافذ... ثم نادى بصوت مرتفع، يملؤه الحزم: يا حراس.

أجاب الحراس في ذات اللحظة : نعم يا سيدي.

أردف وهو يشير إلى حمزة:

ضعوا القاضي نسين في الحجز، سيتم تنفيذ حكم الإعدام غداً.

ثم التفت برأسه إلى الوزير الذي كان يقف بجانبه، قائلاً له بصوت منخفض ولكنه مليء بالسلطة:

وأين زوجتي ، أريد رؤيتها.

نظر الوزير الخبيث إلى الحراس، وأشار له بعينه، ففهم الحراس الإشارة على الفور وبعد لحظات دخلت هاتور، مكبلة هي الأخرى.

قال الوزير ببرود:

ها هي زوجتك ناسينه، الزوجة الخائنة.

مصطفى لم يتوانَ في مواجهتها، وقال لها بغضب:

أنتِ تلك المرأة التي رأيتَ هناك مع القاضي، وعندما سألتَ من أنا، فررتِ ولم تجيبي! هذه التهمة لم تُوجه لك عن ظلم، قُلْتِ هذا لأنكما كنتما تحاولان الهرب معاً.

أجبته هاتور، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة ساخرة:

اصمت أيها الأحمق أهرب من من؟ منك أنت؟ أنا لا يمكن أن أتزوجك. ترى نفسك يتحكم بك الوزير كما لو كنت دمية بين يديه يقول زوجتك خائنة إذاً زوجتي خائنة، يقول الوزير خائن إذاً الوزير خائن. أنا لا

أتذكر من أنا ولا كيف أنا هنا، لكن ما أراه أنت لا تقيم العدل. هل فكرت في عرضي أو عرض القاضي؟ من يحكم فيما تقول؟

نظر مصطفى إليها، وكان في عينيه بريق من الشك، ثم تمعن في حديثها لبرهة قبل أن يقول، وهو يوجه كلامه إلى الوزير:

أيها الوزير، ماذا تقول في قولها؟

أجاب الوزير دون تردد، :

القضاء يرجع إلى الحاكم، وخصوصاً إن كان المتهم هو القاضي بعينه. ثم تلا حديثه مكملاً بصوت أكثر حدة:

هل تحصل الزانية على حكم سوى الموت؟ وإن كانت ملكرة بالفعل، فما هو الحكم بعد أن أضاعت شرف المملكة، وليس شرف الملك فحسب.

الفت مصطفى نحو هاتور، كان يشعر بشيء داخله يتاجج شيء غريب يدفعه للغضب. الغيرة تتسلل إليه كما لو كانت تهز قلبه

هل تدئي حالي حتى تخونني زوجتي؟ هل أتركها؟ لا لن أفعل ثم تكلم بصوت عميق مشبع بالألم:

خذوها من أمامي... حكمي هو الإعدام بالمقصلة.

قال الوزير وهو يتبع هاتور تجر خارج القاعة وقد تلاغبت على
شفتيه نغمة من الإعجاب :

ـ عين الصواب يا مولاي أنت بهذا ستعلي شأنك، وتخبر العالم أجمع،
من جاء فوق طريقك فليستحق ما سيلقاه.

مصطفى بعد وقت طويل من جلوسه على العرش، وقد اختلطت أفكار
السلطة ورفعتها في عقله:

ـ يا وزيري، أريد أن أرى شعبي.

الوزير يراقب الملك بعينين مليئتين بالفخر والمكر، وأجاب بصوت
هادئ، يشوبه شيء من التوجس:

ـ بالطبع يا مولاي، سأتولى الأمر.

أخذ الملك معه في جولة تجول بين أزقة المدينة الضيقية، يتبعهم أربعة
من الحراس الذين يحمونهم كظالم. كان السوق يعج بالحركة، الأصوات
تتدخل، البائعون يصرخون لعرض بضائعهم والمشترون يتساومون في
الأسعار.

بينما كانوا يمشون وسط تلك الفوضى، جذب انتباهم صخب بعيد.
اقربوا ليجدوا مشهدًا يعكس صفو السوق، بائع يتشارج مع أحد الزبائن،
وكان كل واحد منها يتهم الآخر بخيانته.

نظر مصطفى إلى المشتري وفي وجهه شيء من الأستياء

لماذا أنت غاضب؟

رفع المشتري عينيه ورأسه يكاد ينفجر من الغضب ثم قال:

كيف لا أغضب يا مولاي؟ التفاح يباع بنصف بانكور، وهذا الرجل يعرضه بسعر بانكور كامل. كيف يمكن لهذا أن يكون عدلاً؟

قال مصطفى بصوت يملؤه تساؤل: ما حكم هذا؟

ابتسم الوزير ابتسامة خفية، وأجاب في برود:

ما يحكم به الملك هو عبرة للعامة، فتصرفاته هي المقياس.

رمق مصطفى البائع بنظرة نارية، وكأن السخط يخرج من عينيه، ثم نظر إلى أحد الحراس خلفه، وأشار له بإشارة سريعة سحب الحارس سيفه في لمح البصر، وما إن رفعه حتى كان مصطفى قد أمره، وفي لحظة، كان السيف قد طار في الهواء ليضرب عنق البائع، فتساقطت رأسه على الأرض، تتدحرج في صمت مفزع، والدماء تتناثر حولها كأنها لوحة من العنف.

بعدها وضع مصطفى قدمه اليمنى على جثة البائع، والدماء مازالت تخرج كالنافورة ، وقال بصوت لا يعلو عليه:

لم يعد وقت النعاس عن تلك الأفعال، لم يعد وقت النهب، لم يعد وقت الظلم والجور، هذا هو وقت العدل، من خالف خالفة، ومن جاوز حدوده قتلناه. عيننا على كل واحد منكم، أفعالكم تحدد مصيركم.

الوزير خلفه، يستمتع بكل كلمة ينطق بها مصطفى، ويرافق ردود أفعاله بدقة، وتلك الابتسامة الخبيثة لا تفارق شفتيه. كانت تلك الأفعال التي يقوم بها مصطفى هي بمثابة طاقة غير مرئية تغذي في ذاته روح القسوة، وتزيد الوزير قوة على قوة.

كان زيدان يقف في تلك الأثناء في أحد أركان السوق، يشتري رغيف خبز. لكنه لا يمتلك المال فطلب من البائع أن يعطف عليه ويعطيه خبراً ولحسن حظه، كان ذلك البائع كريم فرحب البائع أعطاه الخبز مطلبه.

بعد أن أخذ الرغيف دفعه إلى حقيبته. تأمله البائع وسأله:

من أنت أيها الغريب؟

لم يجب فأردف بنبرة متربدة:

كما تريده، لا تجيب.

استدار زيدان سائلاً:

من هو هذا الحاكم الذي قتل رجلاً لأنه خالف السعر؟

أجاب البائع بحذر شديد:

ابعد عن هذا الحديث و لا تسأل.

عقد حاجبيه وقال بتعجب: لماذا لا أستطيع السؤال؟ ماذًا يحدث هنا؟

أجاب وهو يغمز بعينيه باتجاه الحراس الذين كانوا يراقبون عن كثب:
لكي لا يقتلوك

قال زيدان بصوت يملؤه القلق: أجهل من أنا أليس هذا قتل ، أخبرني
ماذا يحدث فربما أتذكر شيئاً.

أخذ البائع نفساً طويلاً وكان تلك الكلمات التي على وشك أن يقولها هي
آخر ما قد يبوح به، نظر إلى زيدان بنظرة مليئة بالحزن، وبدأ في
الكلام بصوتٍ منخفض :

حسناً، بما أنك مصمم على معرفة الحقيقة، سأخبرك بما يحدث لكن لا
تنتظر مني أن أكرر ما سأقوله، الذي رأيته ليس الحاكم، الحاكم
ال حقيقي حبس في سجن الدولة المنسية، تحت الأرض حيث لا يستطيع
أحد أن يراه أو يذكره.

انطلق سؤال زيدان بحيرة أعمق: الدولة المنسية؟ لماذا هذا الاسم؟

أجاب البائع بنبرة ثقيلة:

الدولة المنسيّة... لأن الجميع هنا قد نسوا كل شيء فلا أحد يعرف شيئاً عن ماضيه كان ذلك عندما دخل وحش غريب إلى هذه المملكة منذ مئات السنين، وحينها بدأ يأكل الأفكار والذكريات من عقولنا. جعل الجميع يجهل من يكون، وفجأة أصبح هو الملك في أعيننا، وكل من خالقه أو اعترض على حكمه كان يُقتل.

أكمل وهو يلتقط حوله بحذر:

حتى تبدل حاله وأصبح في كل فترة، يحضر شخص ويوليه علينا ملك، ونحن نبایعه في طقس غريب، وإذا لم نفعل قتلنا جميعاً وفي اليوم السابع والعشرين من كل شهر، يظهر هذا الملك الذي صنعه الوحوش في الساحة العظيمة حيث تنفذ الأحكام هناك يتجمع الناس لكنهم في حالة غيوبة عقلية، لا يشعرون بشيء. ثم في منتصف الليل يضع الوحوش هذا الملك المدعى في وسط دائرة حجرية مزخرفة بمثلثات معكوسة، وأيضاً يتم وضع خمسة من الرجال المغيبين على خطوط هذه الدائرة، وبعدها يرجع الوحوش إلى هيئته الحقيقية. وعندما يأتي ضوء القمر على منطقة محددة في الدائرة يتحرك الحجر ويقطع أصابع أقدام الرجال المغيبين، ثم تخرج خراظيم لزجة تقوم بشفط دمائهم. فتملي نقوش الدائرة بالدم ثم يقطع الوحوش رؤوسهم، ويستخرج عقولهم بعد أن امتص كل دمائهم، ويجبر الملك المصطعن أكلها وبعدما، ينقض على جثمان الملك ويبتلعه كله دفعة واحدة، من رأسه إلى قدميه.

صمت الرجل للحظة، ثم همس بصوت يضج بالفزع:

وفي تلك اللحظة تصبح قوته أكبر من أي وقت مضى فهذا الطقس يمنه قوة ألف رجل. وكل ذلك يحدث في صمت تام، وفي غفلة من الجميع.

حدق في البائع كأنما لا يصدق ما يسمع فعقله يعجز عن استيعاب تلك الحقائق المروعة ثم انفجر قائلًا:

لماذا لا يأكل هو تلك العقول بدل أن يصنع ملك ويطعمه إياها؟؟؟

أجاب البائع مهمهمًا :

لا يحصل على القوة إلا من خلال شخص بث فيه التكبر، والظلم والجور على الغير فهو يبث في الملك الذي يصنعه تلك الصفات، وكلما ازداد الشخص بغضًا واستكبارًا، زادت فرصه الوحش في امتلاك القوة. الحقيقة أن هذه المملكة تدعى 'مملكة قدون' كان يحكمها الملك 'باندين القادون'، لكن الوحش حبسه تحت الأرض ولا أعلم إن كان قد قتله أم أنه لا يزال على قيد الحياة.

سؤال زيدان:

كيف تعرف كل هذا؟ ولماذا لم تنس مثل الآخرين؟

أجاب البائع وهو يمسك بقطعة معدنية صغيرة في يده، ثم أظهرها لزیدان:

ـ هذه القطعة التي في يدي من صنع أفراد الجن العظام من ارض حيدر تمنع أي أحد من العبث في عقلي أو مسح ذاكرتي.

قال زیدان :

ـ إن كانت تلك القطعة تمنعك من النسيان فلماذا لم تخبر الجميع بالحقيقة؟

رد البائع بصوت ضعيف يملؤه الحزن :

ـ لقد يئست كل يوم أخبرهم بالحقيقة، ولكنهم في اليوم التالي لا يتذكرون ما قلته فأكون حينها بين ضفاف مصفصف، أختبئ من عقلي، كما لو كنت مفقود الهوية، تعلم ما هو أصعب من النسيان؟ أن تتذكر من أنت في مجتمع يجهلك... أنا أريد أن أصبح مثلهم أن أنسى كل شيء.

قال زیدان :

ـ أنت المستقيم هنا يا أخي، إن تنازلت عما تعرفه فمن يخبر الناس بعدك؟

رد البائع :

ما القائدة إذا كنت أخالف، وأقول وهم لا يتذكرون... لا شيء سيتغير.

رفع البائع رأسه إلى السماء، وكأن روحًا مظلمة تخرج من أعماقه،
وقال في نبرة محطمة:

لماذا قُتل بائع التفاح وهو من أمره أن يبيع التفاح ببانكور، حتى أنه
لم يُمنح حق الرد، لأنّه نسي أن الحراس امرؤه بذلك.

ثم وضع البائع القطعة المعدنية في يد زيدان، وقال بصوت منخفض:
خذها لا أريدها أريد أن أصبح مثل الجميع ، ولكن نادني باسمي مرة
واحدة أن تذهب وقل قادع أريد أن أسمع هذا قبل أن أنسى.

أخذ زيدان القطعة من يده في حزن وقال: سأفعل كل ما بوسعي يا
قادع.

مسح البائع دموعه، ثم نظر إلى زيدان بتعجب، وكأن شيئاً غريباً بدأ
يتشكل في ذهنه: من أنت يا رجل؟

رد زيدان مبتسمًا : أنا قادع.

ثم تركه وهو يشعر بحزن عميق على ما ماربه البائع وبينما كان
يمشي، أخرج القطعة المعدنية من جيبه ليتفقدوها وفجأة تذكر كل شيء.
وعلم في تلك اللحظة أن الشخص الذي يقولون أنه الملك هو مصطفى.

التفت عندما سمع صوت المنادي في الأفق يقول:

الزاني والزانية يُقتلان بحكم الحاكم منسي.

هرع زيدان وتساءل في نفسه بقلق: من الذي حكم عليه مصطفى بالإعدام؟

استمر في التجوال بين شوارع المملكة المنسيّة، وهو يتقدّم وجوه الناس المغيبة وفجأة، وقع بصره على "ليث" الذي كان يجلس واضعاً يده على رأسه، في حالة من اليأس الواضح.

قال زيدان بصوت مليء بالحزن: أخي، ليث!

أجاب ليث بتساؤل:

من تقصد؟ أنا!!

قال زيدان وهو يقترب منه، يمد يده إليه:

نعم.

سأله ليث: هل تعرفي حقاً؟

ابتسم وقال: نعم أعرفك أنت صاحبي ونحن من بلدة واحدة كلامنا خرج لينقذ أهله، وكلانا تحملنا الهم والحزن معًا نحن أبناء العاقير، نحن أعداء النداهة.

الفصل الحادي عشر: تذكرت اسمي

في غرفة مظلمة تتلاًأ فيها أضواء خافتة يستلقي مصطفى على سرير مصنوع من الذهب ومزود بفرش من الحرير، محاطاً بوسائد دافئة. بينما كان يغمره النعاس ويتوجه نحو عالم الأحلام، سمع همساً من حوله يقول أخاف يا أبي من الموت. وأضاف بصوتٍ مرتجف ماذا لو جاءت النداهة؟ أخاف أن تقتلني.

تعرق على سريره وأخذ يتقلب يميناً ويساراً، ولامح وجهه تعكس معاناته. تحول لون وجهه إلى الأحمر. ثم نهض فجأة، محدثاً صرخة عالية :

بثنية لن تموتي، لا.

جلس على حافة السرير، وقدماه متخلذتان على الأرض ولا تزال آثار العرق تتلاًأ على جبينه بينما يتنفس بصعوبة تحدث بصوت منخفض: من هي التي ظهرت في حلمي؟ أشعر بارتياط عميق معها، لكن لماذا كان الخوف يعتريها؟ لقد نادتني أبي أنا لا أفهم شيئاً..

بدأت تتسلل إلى ذهنه شكوك عميقة، وما لبث أن طرح سلسلة من الأسئلة المتتابعة دون أن يجد أي إجابة.

في تلك اللحظة، سمع صوت شخص يناديء من زاوية الغرفة، حيث كان يجلس على كرسي هزار يتارجح ذهاباً وإياباً، ممسكاً بيده سيجاراً. كما أن مظهره يجسد الثراء من خلال ملابسه وأزيائه الفاخرة. أخرج من

جبيه ساعة دائيرية متسللة بسلسلة من الذهب، لقد كان هو الشخص نفسه الذي رأه في عالم الأموات، لكن لا تذكره.

سأل مصطفى:

من أنت ولماذا تناذيني بـ 'مصطفى'? فهذا ليس اسمي، ربما تعني وزيري.

أجاب الرجل قائلاً:

أنت الأعلم باسمك، فالأسماء تحمل معانٍ ودلائل عميقة، بينما يعكس العاقير هوية الوطن وفي الوقت ذاته، تظل النداهة تمثل تهديداً رئيسياً.

قال مصطفى: توقف عن الكلام الغامض وأخبرني من أنت.

أجاب الرجل قائلاً:

ارفع عنك غشاوة النسيان، وتذكر هويتك الحقيقة.

بأسلوب يعكس التعالي والاستخفاف، صرخ مصطفى قائلاً:

هويتي هي ملكي، فأنا الملك 'منسي' الذي يتولى السيادة على هذه الأرضي. وأي هوية أخرى لا تعدو كونها مجرد وهم مقارنة بهويتي

الحقيقة. انظر إلى مظهري وما أرتديه كيف يمكنني أن أكون شيئاً آخر غير ما تراه أعين الناس؟ ينبغي عليك التعامل معي وفقاً لهذه الحقيقة، وإلا فسأكون مضطراً لاتخاذ تدابير صارمة تجاه سلوكك الغير مقبول.

ابتسم الرجل بامتعاض ثم استكمل حديثه قائلاً:

وأين بثينة مما تقول؟ هل نسيت موضوع الثأر؟

تقاس قلبه حينما سمع اسم ابنته، وتقدم نحو الكرسي باندفاع مصحوب بالغضب، موجهاً حديثه بصوت مرتفع:

من هي بثينة؟ أجبني وإلا قتلتك من هي؟

لكن قبل أن يصل إليه، أضاء الخاتم الذي يلتف حول عنقه، ثم اختفى الرجل فجأة من أمامه.

توقف مصطفى لحظة أمام الكرسي الخالي، متأنلاً ذكريات الخاتم المعلق حول عنقه. تلاشت ملامح وجهه، وأحاط به شعور من القلق وضبابية الأفكار، بينما كانت عواطفه تشتعل وكان عقله يغلي بفوضى من المشاعر المتداخلة. في تلك اللحظة اقترب منه الوزير دون أن يشعر بوجوده، سائلاً: ما الذي يحدث يا مولاي؟

انفزع مصطفى ونظر إلى الوزير بعينين مليئتين بالشك، ثم كتم ألمه في أعماقه وأخفى الخاتم في السلسال وقال: لا شيء.

رد الوزير:

ـ حان الوقت لتنفيذ حكم الإعدام .

قال مصطفى بتزان:

ـ دعنا نذهب

تقدّم أمام الوزير لكن ملامحه تغيّرت لتعكس شعوراً بـ عدم الاطمئنان.

عند الساعة التاسعة صباحاً، دقت الطبول بإيقاع متسرّع على اقتراب وصول الملك، فرفع أحدهم صوته قائلاً:

ـ الملك منسي ملك مملكة المنسيين أتى'

دخل مصطفى إلى ساحة الإعدام ليواجه مشهدًا مروعًا من الجثث المصلوبة والرؤوس المقطوعة في كل زاوية. كانت الدماء تتساقط من المفصلة، فيما كانت الغربان تنهش الجثث المعلقة وفي هذه الأجواء الكئيبة، كانت الأطراف المقطوعة تتناثر، والدماء تغطي الأرض من كل ركن في الساحة كل هذا يحدث أمام أعين الناس، دون أن يُسمع همس من أي شخص.

ابتلع مصطفى ريقه في خضم الخوف، ثم نظر إلى الحشود المتجمعة، ورفع يده لتحيتهم قبل أن يجلس على الكرسي بقلق.

وقف الوزير في مكانه، ورفع صوته بكل حماسة، وكأنه يتلو شعراً،
محاولاً إثارة غضب مصطفى من جديد قال:

إن زوجة الملك منسي والوزير خانان، وقد وجدوا في وضع يُصدِّم له
أي إنسان عادي، ناهيك عن ملك وبناءً على ذلك، قام ملك مملكة
المنسيين بإصدار حكم الإعدام عليهما في الساحة العظيمة، ليكونا مثالاً
للخيانة التي ستظل خالدة في صفحات التاريخ. لكن التاريخ سيذكر
أيضاً أن الملك أدى واجبه، ورفع رأسه عالياً، وانتقم بأقصى درجات
الانتقام.

أشار بيده اليمنى، مشيراً إلى دخول السجينين، فدخلت هاتور إلى
الساحة حيث كانت حشود الشعب تتواجه. وتعدد صدى أصوات
المتظاهرين وهو يلقون التهم عليها وعلى الوزير، مرددين بصوت
موحد:

الموت للخائن والخائنة.

توقف الملك ثم أشار بيده فعم الصمت بين الحضور بعد ذلك بدأ قائلاً:
ابداً بالخائنة.

سُحبَت هاتور نحو المقلة ثم جُثِّت على ركبتيها، وُوضعت رأسها في
أداة الإعدام رفع مصطفى يده، وقبل أن ينزلها إشارة لتنفيذ الحكم،
انطلق زيدان من بين الحشود برفقة ليث قاطعاً اللحظة:

أوقف هذا الجنون! هل تريد حقاً أن تقتل أخاك والمرأة التي ساعدتنا؟
يا لك من أحمق، ماذا تفعل؟ انظر إلى حالك لقد خذلتني يا أخي.
خذلتني، يا أبي بثينة خذلتني يا ابن العاقير

قال مصطفى:

من أنت وما هي تلك الأسماء التي تثير تساؤلاتي قبل أن تتفوه بها؟

أجاب:

أنا زيدان وهذا صديقي ليث، أما من ستتصدر حكمك عليهما بالإعدام
فهمما حمزة وهاتور.

نحن جميعاً من بلدة واحدة، خرجنا للثأر من النداهة هل نسيت؟ هل
نسيت أن زوجتك درية بانتظار عودتك، وأن ابنته رغدة تحتاج إليك؟
هل غابت عن ذاكرتك كل تلك الأمور؟

توقف مصطفى ممسكاً برأسه وهو يصرخ بصوت مدوٍ: ابنتي، بينما
تزامن صراخه مع أنين وزفرات تعبّر عن مشاعر شخص عالق عند
حافة منحدر، غير قادر على المضي قدماً أو العودة إلى الوراء. في تلك
اللحظة نظر زيدان إلى هاتور، التي كانت خائفة وقال:

يا ابنة الجن هل لا زالت لديك ذكريات تعيد إليك قوتك؟ أنت ابنة الملك
تهان ووريثة عرش مملكة العوالم. لقد علمتني معنى الحب، وكانت

عيناكِ تداوي جراحي ومشاعركِ تخفف آلامي. أرجوكِ عودي إلى
فإن قلبي لا يتحمل الفراق مجدداً فأتِ ملادي وأملي، كيف يمكن نسيان
كل هذا؟ عودي إلى نفسك الماضية فلا أستطيع العيش بدونك. إذا متِ
ساموت من أجلك، لأنني أكون قد فقدت كل شيء.

ابتسمت هاتور لدى سمعها ما جرى، لكن الوزير انفجر غضباً وكشف
النيل عن وجهه الحقيقى.

ثم عاد إلى ظلام قلبه واستخرج من جوفه ثعابين ضخمة التفت حول
زيدان وليث. ثم أشار للجندى لخوض المقصلة، فقام الحراس بتحريك
ذراعه، بينما كان زيدان ينادي ويصرخ:

ـ عودي إلىـ

انزلقت الآلة الحادة نحو رقبتها لكن في لحظة من التألق، تحررت
هاتور من قيودها واندفعت نحو الوحش قائلة:

ـ مرحباً يا ظلاميوس لقد تذكرتـ ثم نفخت في وجههـ مما جعلهـ
يسقط بفعل قوة الهواء حتى ارتطم بالجدار.

ففرز ظلاميوس مظهراً انزعاجه، وكانت ملامح وجهه تعكس الدهشةـ
ـ كيف استطعتـ تذكر تلك الأفكار والتخلص من تأثيرها؟ ما الذي فعلتهـ؟

لم ترد و انطلاقت مستخدمة أظافرها للدفاع عن زيدان وليث من الثعابين الملتوية حتى قامت بشقهم شقاً ثم أكدت بنبرة حازمة:

عندما يتوقف العقل عن التفكير يذكرك القلب بنبضه.

كانت الأحداث تتسرّع وانطلق الوحوش على أربع حركة الحيوانات.

ثم فتح فمه فأطلق كميات هائلة من الذباب نحوهم بدأت هاتور تدور في حالة من الفوضى، لکنها سرعان ما وجدت نفسها محاصرة بالذباب الذي لم يتوقف عن ملاحقتها، ليتشكل في صورة قيود فضية تجمد حركتها.

قال صاحكاً:

أنا أعلم جيداً كيفية التعامل مع الجن، ومعي ما يضعفهم.

سقطت هاتور، ثم قام ظلاموس بنقلهم جميعاً إلى دائرة القرابين. خرجت سلاسل من الأرض والتفت حول اقدام الخمسة وقيد ايدهم ايضاً وقال في القمر ستكونوا القرابين.

ثم تقدم ا نحو مصطفى قائلاً:

لم يتبقَّ سوى بضع ساعات وستكون طعامي يا مولاي.

تجلى الضحك المدوي من مصطفى، مما جعل الوحش يتراجع خطوة إلى الوراء متسللاً: ما بك؟.

توهج بريق الخاتم الذي يرتديه حتى غمر نوره المملكة بأسرها.

قال ظلاموس بخوف:

ما هذه القوة؟.

فأجابه مصطفى: إنه خاتم سندان ثم رفع يده بالقيود نحو السماء ونادى:

يا سندان أعطني سيفك.

اندلع برق أمامه ممزقاً الفضاء، وأنشأ سيفاً مفعماً بالقوة فشعر بتدفق قوة خارقة تجري في عروقه، وفي حركة خاطفة انكسرت القيود وتمكن من قطع رأس ظلاموس تدرجت الرأس ولم تكن الابتسامات ترسم على وجوههم حتى عادت رأس الوحش إلى مكانها، مما دفع مصطفى إلى قطعها مرة أخرى، ثم للمرة الثالثة وفي تلك اللحظة، انتاب الوحش شعور بالفزع وببدأ يركض مبتعداً، حتى تمكن من الانقضاض على أحد أفراد شعب المملكة وابتلعه بطريقة مفزعة ليزداد قوته. وفي تلك الأثناء نادت هاتور:

القلب هو نقطته الضعف.

أخذ لحظة في تفكير، ثم أمسك بسيفه وألقاه نحو ظلاموس ، فانغز مباشرة في قلبه، مما أدى إلى تمزق جسده كما يتمزق الفضاء الجاف وتحطم كما يتحطم الحجر الهش حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

الفصل الثاني عشر: خاتم الدمار

سكتت أصوات الرياح الغربية التي كانت تحاصرهم منذ أن وطأت أقدامهم مملكة المنسين و بدأ شيء يتغير في الهواء. كان الغشاوة التي كانت تحجب عقولهم بدأت تتلاشى ببطء تاركة خلفها بريقاً من صور ووجوه وذكريات قديمة كانت مدفونة في أعماق النسيان.

تبادل أهل قدوان نظرات طويلة، نظرات لم تكن فارغة كما كانت منذ قليل بل مليئة بوهج المشاعر التي اشتغلت فجأة... نظرات حملت بين طياتها وجوه الأحبة، ضحكات الطفولة و ليالي السهر ، وحتى راحة خبز الأمهات في الصباح كانت تلك اللحظات أشبه بانفجار داخلي للذاكرة، موجة من الصور والأصوات اجتاحت عقولهم دفعة واحدة.

وكان أحداً أزاح ستاراً ثقيلاً، وجدوا أنفسهم يقفون وسط ساحة مملكة قدوان... لا ذلك الفراغ الرمادي الباهت الذي كان يلفهم في مملكة المنسين، بل أرضهم بسمائها الزرقاء الصافية ونسيمها الدافئ كان الأمر كما لو أن العالم أعاد رسم ملامحه من حولهم.

لم يتمالكوا أنفسهم، فاندفعوا نحو بعضهم البعض، يعانون ويشدون على الأكتاف، والدموع تتلاأ في العيون كل حضن منهم كان يختصر سنوات من الغياب، وكل نفس كان يحمل بين طياته قصة لم تُرَ.

وسط هذه المشاعر التفت حمزة إلى مصطفى، وصوته يقطر مزاحاً:

لقد كدت أن تتسبب في موتي أيها الأحمق.

خفض مصطفى رأسه، وكأن ثقل ذنبه يوشك أن يحنيه للأرض، وقال بصوت متحسرج بالحزن:

لم أكن أدرك ما أفعله... أرجوك سامحني يا أخي.

ثم استدار نحو هاتور، وعيناه تحاولان التماسك:

سامحني... وسامحوني جميعاً. كان ظلاميوس يحركني كما يحرك طفل دميته ولم أكن أعلم.

ضحك ليث بخفة رغم أن صوته حمل ظل الدهشة:

ولكن يا أخي، كيف استطعت قتل الوحش؟ من أين لك هذه القوة؟

ارتسمت على وجهه مصطفى ابتسامة واثقة، امتزج فيها الفخر بشيء من الغموض:

لقد ساعدني الخاتم .

أي خاتم؟ سأل ليث بعينين متسعتين.

خاتم الدمار... مَدْ مصطفى يده مظهراً الخاتم الذي لمع بوميض غامض. هذا الذي حصلت عليه من سندان عند بوابة أرض الجن اتضح لي أنه يمنح حامله قوَّة تجمع بين السحر والقوة البدنية... ويتجسد أحياناً في هيئة رجل يُدعى ثوكليد، يرشدني كلما اضلت الطريق. لقد رأيته في عالم الأموات، وهناك أخبرني أنه يجب أن نجتمع لننجو جميعاً ورأيته مرة أخرى حين كنت تائهاً بلا ذكرة... وذكرني بيثنية وبالثار.

قالت هاتور وهي تتأمل ذلك الخاتم:

لقد قضيت أسابيع في مكتبة العوالم، أبحث بين آلاف الوثائق والسجلات عن معلومات تدلني على هذا الخاتم... هو ليس خاتماً عادياً. إنه واحد من ثلاثة خواتم عظيمة تُعرف باسم خاتم الدمار، خاتم اليأس، وخاتم الموت. كل خاتم من هذه الخواتم يحمل قوة فريدة.

تهدت للحظة، ثم تابعت بنبرة أكثر حدة:

هذه الخواتم أبدعها الجني قادر، الذي ينتمي إلى أرض نيدر الفانية... هناك لجأ إليه بعض البشر وطلبوا منه صنع هذه الخواتم ليمنحهم قوة توازي قوة الجن... قوة يمكن أن تغير مجرى التاريخ، ليكونوا أنداداً لهم. لكل خاتم سرٌ يميّزه عن الآخر من يفهم هذا السر يصبح له قوّة لا يُقهر لها نظير.

ابتسم حمزة، وعيناه تتأملان مصطفى يا عجب:

هنيئاً لك يا أخي... معرفتك بهذه الأسرار زادت من قوتك، لقد أنقذت أرواحنا جميعاً.

تقدمت هاتور نحو زيدان وقالت :

كيف تذكرتني .

تذكري بقلبي قبل عقلي... كما أن هذه القطعة أضاءت ذاكرتي، وأجبرت عقلي على الاعتراف بما يعرفه قلبي منذ البداية.

هزّت رأسها وأخذت تتأملها في راحة يدها :

إنها من رموز الفكر العميق... من يمتلكها يتحكم بعقله ولا يستطيع أحد العبث به.

سأته:

ومن أين حصلت عليها؟

أجاب :

من شخص يُدعى قادع.

اقربت أكثر:

وماذا كنت تقول عندما كنت مهدده بالإعدام؟ هل كنت حَقًّا تحمل كل
هذا الإحساس بداخلك؟

لا... هذا جزء من الكل فلو كانت السماء واسعة بما يكفي لتحتوي
الأرض، ما استطاعت احتواء حبي لك.

حدقت ه فيه لوهلة:

أحبك.

ارتجم قلبه:

لم أسمعك جيداً... كرري.

قالت

لو كنت أستطيع وصف حبي لأمرت الشمس أن تغرب... فحبك أشعل
ظلامي وأشبع روحي بالنور.

تابعت بنبرة صلبة:

تدرك يا زيدان الدنيا تحاول سحبي إلى أعماق اليأس والوحدة لكنك
أطفلت شعلة وحدتي.

دنيانا أصبحت واحدة... وما قدره الله لنا، مقسم جزء لك وجزء
لي... ولن يفرقنا شيء.

اقرب شخص وضع يده على كتف زيدان. التفت وابتسم حين راءاه
قادع قالها في دهشه فقال قادع:

لقد فعلت ما عجزت عنه... أعدت الذكريات إلى المستقبل وأعلمته
الحاضر ب الماضي.

تقدم مصطفى من خلف زيدان وقاطعهم :

نرحب في مفتاح وباب العالم الثالث.

ابتسم قادع ابتسامة مريرة:

المفتاح مع الملك بندين.

أين هو؟؟

أسير منذ قرون في أعمق زنزانة بالسجن السفلي.

خطت هاتور للأمام ثم انحنت قليلاً، وبدأت برسم رموز غامضة على الأرض بخطوط متوجة من نور أزرق وذهبي كانت دوائر متعاكسة تتحرّك ببطء، تتقطّع وتتفصل كأنها ترسم مدارات النجوم وسط كل هذا كانت تهمس بكلمات قديمة حتى اهتزت الأرض تحت أقدامهم، فجأة انبعث من مركز الدوائر عمود من الضوء اخترق السماء ومنه تشكلت ملامح رجل... طويل القامة، عريض الكتفين، عيناه الزرقاءان تقدحان نوراً حاداً كوميض البرق لحيته الفضية تتدلى على صدره، وشعره ينحدر كسيل من خيوط القمر.

انحنى قادع قليلاً وهو يقول بصوت مهيب:

هذا... هو الملك بندين.

تجمع الحضور حوله ورؤوسهم تنحني بإجلال تقدم مصطفى وأخرج التاج من بين يديه وضعه برفق على رأس الملك وقال:

هذا حقك يا مولاي.

رفع الملك بندين رأسه:

أنتم من كسر أغلاي وأيقظني من ظلمتي. قولوا ماذا تطلبون فلقد
منحتم شعبي أملأً بعد أن ابتلعم النسيان.

قالت هاتور:

نريد أن نذهب للعالم الثالث.

لكِ ما تريدين يا بنت تهان.

مد يده إلى لحيته وانتزع منها شعيرات قليلة، ثم نفخ فيها، فتوهجت
وتحولت إلى بوابة من نور تتدلى في الهواء. تحرك بخطوات طقسية
نحو الأمام والخلف، ثم إلى الجانبين حتى انشق باطن الأرض وارتفع
منه قالب من الكريستال بداخله مفتاح ذهبي وورقة قديمة.

ناول القالب إلى هاتور فأدخلت المفتاح بالباب وفتحت الورقة وقرأت
بصوت ثابت:

لا تبعد عن المنافسة. فإن المغالبة هي بداية الفوز.

وما إن انتهت كلماتها حتى انفتح الباب الثالث ببطء وانفجر منه نور
ذهبي خافت.

الفصل الثالث عشر: إنى في فينتيريا

يتوارى الغموض المحيط أمام أعين الحقيقة المدهشة، لكن ما ينكشف لا يشبه الوعد الذي رسمته مخيلتي. الجمال الذي كنت أظنه خلاصاً، لم يكن إلا ستاراً حريريًّا يخفي وراءه حقداً متجذراً في قلب صاحبه. إنهم هنا يسبحون في بحرٍ من التمجيد الذاتي، يتحدثون عن نقاء نفوسهم وكأنهم لم يخطئوا قط ولكن... حين تتمزق أقنعتهم ترى ندوباً لا تلتئم، وملامح مشوهة لا تصلحها أي صلاة ولا أي توبة.

أدركت أن الضوء ليس صديقاً دائماً أحياناً يعرّي أكثر مما يكشف، ويُسلط على ما كانت أفضل تجاهله. لذا أغضبت عيني لا هروباً، بل بحثاً عن البصيرة في الظلام، ففي غياب الضوء تنبع الحواس الأخرى بوضوح أكبر....

قالت هاتور:

هل هذا العالم الثالث يبدو لي من هذا الارتفاع أنا في مدينة طائرة الصخور والجبال تسبح في الهواء، وكان الأرض لا ترغب في الانفصال عن سمائها، فارتقت لتحتضنها.

تساءل حمزة، متأنلاً بإندهاش:

هل هذه سفينة طائرة، أم أنتي في حلم؟

هبطت هاتور إلى الأرض:

لا تحلم يا حمزة فنحن في عالم فينتيريا، حيث يعيش الفنتريون
سحرة الهواء.

سأل زيدان بفضول: من هم الفنتريون؟

أجابت:

يعتبر الفنتريون نوع من الجن وهم من أقوى شعوب العوالم، يركبون السفن الطائرة ويلقبون 'سادة الهواء' نظراً لقوتهم السحرية التي تمكّنهم من السيطرة على العواصف الهوائية. ومع ذلك، يقفون عاجزين أمام جبروت أفيارا، حيث يعتبر 'البطش' هو حاكمهم والظلم هو سيدهم. وقبل أن تسألوا عن أفيارا، فإن اسم أفيارا يعني 'الطائر' بلغة اللاتينية، وقد سميت بذلك لأنها ولدت بجناحين على خلاف شعبها، واستطاعت بقوتها... أن تحكم بيد من حديد ولكن مع هذه القوة بدت وتجبرت واعلنت ان كل من لا ينساغ لشرها اهلكته واهلكت اهله.

سأل مصطفى:

أين نجد الباب الرابع هنا؟

فقط أفيارا تعرف مكانه.

قال ليث:

فنذهب إليها.

قالت هاتور:

لا تستعجل في السعي نحو الموت فإذا كان للموت صوت لسمعته يحذرنا من أفيارا.

قال مصطفى:

إذا لم أكن أعرفك جيداً، لاعتقدت أنك تخافين، اعلمي أن الخوف لا يلاحق أحداً نحن من نبحث عنه حتى نصير له أتباع فيجعلنا خاضعين لسلوكي المهين.

اردف والبريق في عينيه

روحى ثباع للموت، لكنني لن أبيعها للخوف.

ذكرت أن الله تعالى قال:

ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وكنت أود أن أقول لا داعي للخوف ولكن يجب عليكم الحذر، فالاحتياط لا يقلل من إمكانية المواجهة بل يعمل على زيادة فرص النجاة.

زيдан:

ـ حديثك في محله ولكن كيف يمكننا التنقل في هذه الأماكن المرتفعة؟
ـ لولم نترك خلفاً زعير في العالم الأول، وكانت مسألة الترحال أسهل بكثير.

ـ كان من الضروري أن نترك زعير، لأن قدرته على التحمل تقتصر على العالم الأول، وقد يواجه خطراً كبيراً إذا حاول التسلل إلى العالم الثاني.

أضافت بتأمل :

ـ ولكن لدي فكرة مختلفة.

ـ سأل مصطفى: ما هي ؟

ـ انتظروني وستعلمون ما هي.

حلقت نحو مركب من المراكب الطائر بدا من بعيد كطائر أسطوري يحلق فوق الغيوم جناحاً ممتداً من أشرعة شفافة تشع بخيوط ضوء عندما اقتربت أكثر، ظهر البدن الخشبي بلونه الداكن المائل إلى الحمرة، محفور عليه نقوش متشابكة لزهور وأمواج وكأن البحر والسماء النقيا في جسده.

الدرازيات النحاسية تلمع تحت الشمس والحبال المجدولة تمتد على جانبيه بإحكام، أما المقدمة فكانت تحمل رأساً منحوتاً على شكل زهرة معدنية ضخمة، بيتلات فضية توحي بأنها تشق الهواء كما تشهي الرياح.

هبطت على السطح الخشبي للمركب، الذي بدا متيناً وواسعاً كأرضية مسرح،

وفور أن لامست قدمها السطح خرج منها رجل ذو وجه أحمر وعين واحدة يرتدي بنطالاً وقميصاً فضفاضين، وعلى خصره يتدلّى غمد سيف طويل. كانت ملامحه مشدودة وعينه الوحيدة تتقدّ بغضب مكتوم،

استل سيفه بخفة وقال بصوت غليظ:

ـ كيف لكِ أيتها الجنية أن تطئي بقدميكِ سطح مرکبِي الثمين؟ هل هو ملك للعموم ليس قبل زواراً لا أحد لهم أي أثر في ذاكرتي.

ـ حاولت تهدئة الموقف:

ـ نواياي لم تكن سيئة، ولا أعتزم إلحاق الأذى بأحد أنا هنا لطلب مساعدتك، وسأدفع مقابل ذلك.

ـ تدفعين؟؟

ـ نعم... لنفترض أنتي سأعطيك عشرة "بانكور".

قطب حاجبه باستنكار:

وماذا تريدين مني؟

أسعى للذهاب إلى قصر أفيارا، أنا وأصدقائي.

ارتباك وجهه:

لن أذهب إلى أي مكان، خصوصاً إلى هذا القصر المرعب.

اقتربت منه خطوة:

سنتوقف قبل الاقتراب من القصر...انا لا أطلب منك الدخول معنا.

ارتسمت ابتسامة على شفتيه كاشفة عن سن ذهبية :

أريد خمسين بانكور.

رمّت ه شفتيها بانزعاج:

خمسين ؟؟؟ لم أطلب منك أن تأخذنا إلى القمر، بل فقط إلى قصر أفيارا.

لو كنت سأخذكم إلى القمر، لطلبت أربعين فقط. لكن أفيارا تعني أنني أضع رقبتي تحت المقصة. لن أقبل بأقل من خمسين وإذا لم يعجبك فابحثي عن شخص آخر.

عضّت شفتها السفلی قليلاً ثم قالت باستسلام:
حسنًا، موافقة ها هو نصف المبلغ، وعند الوصول ستحصل على
الباقي.

ألقت إليه سرة بها نصف المبلغ المعدني المصنوع من النيكساريون،
فالتحققه وأخذ يده واحداً واحداً، ثم دسّه داخل قميصه.

بعد ذلك أنزل شراع القارب، والبلورات أسفل الهيكل بدأت تدور بسرعة
أكبر لينحنى المركب تدريجياً نحو الأرض. وبينما كان يهبط ربت على
الدرابزين النحاسي وقال بنبرة حنونة:

— هيا يا بيليسان... يبدو أننا سنقوم برحلة يا زهرتي.

ركب الجميع القارب، ثم وقف الرجل أمامهم واضعاً يده على عجلة
القيادة الخشبية :

— أنا نبار وما ترونـه أمامكم هو زهرتي بيليسان... هي ابنتي وشقيقتي
وزوجتي وكل شيء عزيز على قبـي، أرجو معاملتها بروح المودة
وعدم اعتبارها جماداً.

ثم أردد وكأنه يلقي بياناً رسمياً:

إليكم القواعد الأساسية...

هاتور:

قواعد!!

نعم قواعد، أولاً يمنع التجول بكثرة فوق سطحها ثانياً هناك غرفة واحدة فقط، لذا يرجى عدم مغادرتها إلا للضرورة، ثالثاً إذا اضطر أحدكم للخروج من الغرفة بهذه الزاوية على السطح هي المكان المخصص لجلوسكم، رابعاً هذه أدوات التنظيف... ممسحة، مكنسة، وغيرها، أتوقع منكم أن تعتنوا ببابتي كما يليق بها. أريد أن أرى انعكاسي على الألواح الخشبية.

رفعت هاتور رأسها:

لم نتفق على أن نكون خدمًا، نحن هنا كركاب، ولسنا طاقمًا تحت أمرك.

ابتسم بسخرية قصيرة وقال وهو يبتعد نحو غرفة القيادة:

ولم نتفق على العكس أيضًا، على أي حال... تأكدوا أن المكان سيظل نظيفًا.

أعرب زيدان عن امتعاضه وهو يراقب نبار يبتعد نحو غرفة القيادة:

هذا الرجل يتعامل معنا وكأننا تابعون في بلاطه... يوزع الأوامر كما
يشاء، وكأننا مدینون له بولاء لم نعاوه عليه.

قالت هاتور :

الكثرياء الزائد يا زيدان لا يغير من جوهرنا ما لم نسمح له بذلك. لسنا
هنا لقياس كرامتنا في جدال مع نبار، بل لنعبر هذه المرحلة بسلام.
أحياناً الصبر ليس خضوعاً... بل اختياراً للحفاظ على قوتنا من التبديد.

أنتِ ترين الأمور بوضوح... أما أنا فأجد صعوبة في التزام الصمت
أمام من يتجاوز حدوده.

هاتور

الصمت أحياناً أبلغ من الرد، حين نصل إلى وجهتنا سيكون الوقت في
صفنا، لا في صفه.

أخذ زيدان المكنسة بين يديه وقال وهو ينظر إليها باحترام:

إذن فلنجعل هذا العمل رسالة... أن كرامتنا لا تمس حتى ونحن نؤدي
مهام لا تليق بمقامنا.

اقربت من الممسحة وبدأت تعمل بجانبه بخطوات ثابتة، تحافظ على
ايقاع واحد معه. لم يكن في الأمر أي عبث أو حركات طائشة، بل كان
عملهما متناسقاً أشبه بمناورة مدروسة بين شخصين يعرف كل منهما

كيف يحفظ إيقاع الآخر. كان الصمت بينهما ممتنعاً باتفاق غير منطوق، وإدراك مشترك بأن ما يفعلانه الآن، مهما بدا بسيطاً، هو جزء من معركة أكبر ينتظران وقتها.

فجأة افتح باب الغرفة مجدداً وخرج منه رجل قصير القامة، متين الجسد، يستند على قدمٍ واحدة بينما الأخرى ساق خشبية تضرب كان يصفق ببطء، تصفيقاً غريباً يختلط فيه الإعجاب بالسخرية، وكلما تقدم خيم الصمت على المكان، حتى توقفت الأيدي عن العمل والأنظار التفت نحوه في تعجب:

سأله ليث وهو يضيق عينيه:

- من أنت؟

ـ أنا تبار شقيق نبار الأكبر لقد أخبرني أن هناك أغراياً على مركباً المتواضع لكن لم أكن أعلم أنكم مميزون بهذا القدر.

اقترب أكثر يمسحهم بنظرة فاحصة ثم تابع:

- قولوا لي لماذا ترغبون بلقاء أفيار؟

قالت هاتور :

ـ نريد دخول العالم الرابع.

ارتقت ضحكت:

العالم الرابع؟ أتظنون أن أفيارا سيدة الريح والعواصف، ستسلمكم المفتاح وتبوح لكم بمكان الباب؟ أنتم تحلمون.

ردت هاتور :

- لسنا نحلم ولا نملك خيارا آخر.

أطرق لحظة ثم رفع عينيه وقال ببطء :

هناك سبيل واحد فقط.

ما هو ... سأل مصطفى؟

أفيارا لا تسمح بالعبور إلا بعد اجتياز مسابقة الأموات على حافة الفوز.

ارتبك الجمع للحظة، بينما قالت هاتور:

وما طبيعة هذه المسابقة؟

أجاب :

مسابقة تقيمها كل عامين يحق لأي مخلوق أن يشارك، والفائز فيها يمكنه أن يطلب منها أي شيء حتى عرشها ذاته.

تبادلـت المجموعة نظرات حماس لكن تبار رفع يده ملـوحـاً:

ـ لا تفرحوا فهذه ليست مسابقة بل مشـنـقة كل من دخلـها من قبل قـتـلـ قبل أن يجـتـازـ المرحلة الأولى.

ـ هـمـهـمـ زـيـدانـ مـتـسـائـلاً:

ـ مـراـحـلـ؟؟

ـ نـعـمـ مـرـاحـلـ أولـهـاـ المـرـورـ عـبـرـ الشـقـ المـظـلـمـ، وـثـانـيهـاـ إـحـضـارـ خـتـمـ هـاكـورـ الـمـلـوـنـ، وـثـالـثـاهـاـ مـوـاجـهـةـ التـنـينـ شـكـالـ.

ـ تـأـمـلـتـ هـاـتـورـ عـيـنـيهـ الغـامـضـتـينـ:

ـ تـتـنـاـوـلـ الـحـدـيـثـ عـنـ الـمـسـابـقـةـ وـكـاـنـهـاـ نـذـيرـ شـوـئـ أوـ قـضـاءـ مـحـتـومـ، كـمـاـ لـوـ أـنـهـاـ قـدـ أـحـقـتـ بـكـ ضـرـرـاـ أوـ أـذـىـ فـهـلـ شـارـكـتـ مـنـ قـبـلـ فـيـ تـلـكـ مـسـابـقـةـ؟؟

ـ اـسـتـخـرـ خـنـجـرـاـ تـتـعـطـرـ نـفـحـاتـهـ بـعـقـ ذـكـرـيـاتـ الـمـاضـيـ، مـاـ أـثـارـ فـيـ قـلـبـهـ مشـاعـرـ الحـنـينـ لـهـذـهـ الذـكـرـيـاتـ:

ـ كـثـ أـنـاـ وـزـوجـتـيـ مـنـ صـائـدـيـ وـحـوشـ الـمـلـكـةـ. تـنـهـدـ تـنـهـيـدـةـ مـؤـلـمـةـ ثـقـيلـةـ بـحـبـ عـمـيقـ وـنـدـمـ دـفـينـ قـبـلـ أـنـ يـوـاـصـلـ حـدـيـثـهـ:

لقد تعرفت على هند في وقت كانت هناك مكافأة ضخمة لمن يصطاد وحش كنتاد ولحسن حظي، كانت هي أيضاً تبحث عن الوحش ذاته. وعند لقائنا أول مرة أمام وكر "كنتاد" نشأت بيننا مشاحنات لطيفة، كانت تقول لي اذهب فإنه لا تستطيع تحمل الأمر يا صغيري بينما كنت أجيبيها بلا جدوى لماذا جئت وتركت الأواني دون غسيل؟

تجلى التنافس بيننا في لحظة استفافة الوحش، حينها هجم علينا بلا رحمة وفي خضم المعركة سقطت هند ضحية على وشك أن يُزهق روحها. لكن ما تبقى لدي من شجاعة وبضع خطوات مدرستة من الخلف، مكتنني من قطع رأس الوحش وإنقاذها من الموت المحتم.

مدثت يدي لأرفعها، وفي تلك اللحظة لم أدرك كيف تسلل الحب إلى قلوبنا. بدا لي أنني أراها لأول مرة، أشبه بالبدر المتلائى وسط الليل الداكن لم يكن جمالها وحده ما أسريني، بل كل تفاصيلها حتى الدماء التي لطخت وجهها أضفت على حضورها قوة مدهشة.

بعد أن حصلت على رأس الوحش طلبت منها أن ترافقتني إلى أفيارا. لكنها رفضت بلطف قائلة الجائزة من حرك فأنالم أقتل الوحش. لم أستطع قبول ذلك فقلت لها بل لم أقتلته بمفردي ولن أستقبل النقود وحدي أيضاً.

توجهت معي إلى أفيارا التي تسلمت الرأس ومنحتها 100 بانكور. عرضت على هند الزواج، ورغم أن قاماتنا لم تكن متناسبة إلا أن قلبها وافق، فكانت ملادي في هذا العالم. شاركتنا معاً في مواجهة آلاف الوحوش حتى أصبح عددها يفوق قدراتي على العد.

انتشر صيتنا في مدينة فينتيريا، حتى جاء اليوم الذي عبرت فيه هند عن رغبتهما في إنجاب طفل والتمتع بحياة مستقرة، بعيداً عن المخاطر. وافقت على رغبتهما، مرحباً بها لكنها شدت على ضرورة تأمين مستقبل الطفل قبل أن تحمل. اقترحت المشاركة في مسابقة أفيارا فأشار ذلك قلقى الشديد على حياتها رفضت الفكرة في البداية مؤكدًا أن سلامتها تأتي أولاً وأنني من سيتحمل المخاطر لكن إصرارها كان أقوى من أي مقاومة أرادت أن تكون معاً في كل شيء حتى النهاية.

شاركتنا في المسابقة وكنا في الصدارة، اجتزنا التحديات الكبرى معاً، وأحضرنا السوار الملعون لكن المواجهة مع "أم التنانين" فجرت أحاداثاً لم تكن في الحسبان وفي المرحلة الأخيرة، فقدت قدمي اليسرى، وهو أمر صغير مقارنة بما فقدته حقاً... فقدان هند، زوجتي.

أتحمل المسؤولية وحدي، فانا من منحتها الفرصة لذلك أسأل نفسي كل يوم لماذا لم يكن مصيري الموت بدلاً منها؟ لماذا؟

ظهر «نبار» وقد غمره الغضب:

أيها الحمقى، أسعى لإخراج أخي من دوامة الحزن والاكتئاب، ثم تأتون لتعيدوه إلى نقطة البداية في نصف ساعه.

قال مصطفى:

لم نطلب منه أن يتحدث عن كل هذا...

انفجر نبار بغضب أعنف:

ولكنكم من سألتموه كيف تجرؤون الآن على المراوغة؟

مصطفى:

لم نكن نعرف ما تدور به تلميحاته... وهو ليس صغيراً، لو لم ير غب في الكلام، كان من الأفضل أن يتلزم الصمت.

ارتفعت نبرة نبار بشكل حاد:

أنتم لن تظلووا دقيقه أخرى على مرکبي!

هنا رفع «تبار» يده سريعاً و بصراحته:

توقفوا!

احس نبار بالضغط لكنه صمت احتراماً لي أخيه.

مصطفى:

سنلتزم الصمت إلى أن نصل وجهتنا.

في صباح اليوم التالي، كانت ملامح فنطريا تلوح أمامهم، ولم يبق على قصر «أفيارا» سوى مسافة يسيرة. سلّمت «هاتور» المبلغ المتفق عليه إلى «نبار» ثم نزل الجميع من المركب في صمت ثقيل.

وفجأة، اخترق «تبار» هدوء اللحظة :

سأذهب معكم.

ارتجمف «نبار» بدهشة واتسعت عيناه وهو يصرخ:

لن أسمح بذلك!

لكن «تبار» شدّد قبضته على قلبه :

دعني أحقق ما كانت تتمناه «هند».

«هند» لم تكن لتتمنى أن يصيّبك أذى!

وأنا لن أهدأ حتى أفعل آخر ما تمنته في هذه الحياة.

أما تفكّر بما سيحدث لي إن فقدتك؟

أنت لست وحدك، معك قاربك «بليسيان»... ولن تدعك تفرق في الوحدة.

انحنى «نبار» حتى وازى طوله، والتقت عيناهما في لحظة مشحونة بالعاطفة ثم ابتسم بغمزة حنونة، وهمس:

اعتنِ بنفسك.

احتضنه بقوّة وانسكت من عينيه دمعتان ارتجفتا على وجنتيه قبل أن يمسحهما مسرعاً كي لا يلحظه أحد. ثم وقف ومدّ يده وأخرج الخمسين «بنكور» ليعيدها إلى «هاتور».

ما هذا؟ سألت متعجبة.

نقوذك.

أعلم... ولكنها حرقك.

أنا لا أريد شيئاً، فقط لا تدعني أخي يؤذني نفسه.

أومأت برأسها بابتسامة خفيفة، وقالت بهدوء:

أعدك بذلك.

دخلوا الى المدينة التي كانت تمتد بلا نهاية واضحة ابراج خشبية ترتفع طبقة فوق أخرى بينما الأسقف المزخرفة تتشابك في خطوط حادة والطراقات ضيقة لكنها تعج بحشود لا تهدأ.

هناك الوجوه التي مرت بهم لم تكشف ملامحها فكانت إما مغطاة بالاقنعة، أو مخفية في عمق الظلل الحركة سريعة متواترة لا أحد يتوقف، ولا أحد يتكلم. من بعيد دق الطبول بدأ يتصاعد ببطء وايضاً صوت ثقيل يملأ الأزقة، يقترب ثم يخفت، ثم يعود من جديد.

الطيور تحلق على ارتفاع منخفض تماماً السماء بصيحات قصيرة وفي الشرفات العالية، ظلال ساكنة ترافق من خلف النوافذ المغلقة.

كان الجميع يشيرون بأصابعهم نحو الأبراج الغريبة، يلتقطون بوجوههم المندھشة كأنهم في نزهة عائلية، يتعجبون من كل شيء وهذه مصطفى ظل ساكناً، كأن المنظر أمامه أمر اعتاد عليه.

اقترب منه زيدان ومال برأسه يسأله:

ماذا بك؟؟

أجاب مصطفى ببرود متعدد:

لا شيء.

أعرفك جيداً... فلا تكذب.

ابتسم مصطفى بمرارة:

أفقد زوجتي دُرَيْة... وابنتي لا أعلم كيف تركتهما وحيدتين.

قال زيدان وهو يضع يده على كتفه:

لكنك فعلت ذلك لتنقذهما. نحن جميعاً تركنا أحبتنا لأجل سلامتهم.

أنا فعلت ذلك ثاراً لبتشينة... لكن ماذا لو عدت فلم أجد زوجتي وابنتي الأخرى؟ ماذا لو...

قطّعه بصوت ممتنٍ بالرجاء:

لا تستبشر السوء بإذن الله سيكونون بخير.

رفع مصطفى رأسه نحو السماء وهو يهمس:

يا رب... لا أعلم ما يحدث لنا. أشعر أننا انحرفنا عن مهمتنا الأساسية من عالم إلى عالم ومن أرض إلى أرض... حتى أننا لم نعد نذكر العاقير نفسها.

تهجد زيدان ثم قال :

من عالم إلى عالم ومن أرض إلى أرض... كل ذلك من أجل العاقير.
وما سنفعله هنا هو لأجلها . أعلم أن الأمر ليس سهلاً لكن إن استسلمنا
الآن سنعود إليهم خالي الوفاض وسنحطم أحلامهم.

ابتسم مصطفى بضعف وقال:

معك حق... إما أن نعود ومعنا الحل... أو نموت مثل لبيد.

سال حمزة تبار :

إلى أين نحن ذاهبون ؟؟

أجاب: سنمر بصديقي طائع اولاً.

وقف «تبار» أمام باب خشبي، طرقه مرات متتالية لم يأته رد فاقترب
أكثر وهمس باسم مألف فجأة اندفع طائر من عشه تاركاً قشر البيض
متنااثراً، ثم انفتح الباب ليظهر رجل ضخم الجثة ابتسם وهو يفتح
ذراعيه ليحتضنه:

كيف حالك يا صديقي؟ لقد طال الغياب...

وبعد أن ترك تبار من بين ذراعيه، ألقى نظرة متحفصة على الغرباء
الواقفين خلفه وقال بلهجة حذرة:

من هؤلاء؟

أحابه تبار بابتسامة قصيرة:

سأخبرك في الداخل.

أفسح طابع لهم الطريق فدخلوا البيت ثم أغلق الباب بإحكام، وجلسوا جميعاً حول المنضدة وبعد لحظة صمت رفع طابع نظره إلى صديقه وقال:

والآن أخبرني... ما الذي جاء بك ومعك هؤلاء.

تحنح وقال:

إنهم رفافي جاؤوا معي إلى هنا لغاية واحدة.

وماهي... سأل طابع بفضول.

المشاركة في مسابقة أفيارا.

تجمدت ملامح طابع وارتسمت على وجهه علامات الغضب والخوف معًا:

المسابقة! ألم يكفى ما حدث في المرة السابقة فقدت قدمك وقتها...

هل تريد أن تفقد حياتك هذه المرة؟

قال تبار :

لا تكن متثنائماً أنت تعرف أن هذا ما كانت تتمناه «هند».

ارتفعت نبرة طابع وهو يضرب الطاولة بيده:

كاذب! لقد كنت بجوارها حين لفظت أنفاسها الأخيرة قالت لك
بوضوح أنقد نفسك.

كان الرفاق ينظرون إلى تبار بانتظار رده فرفع رأسه في الأخير وقال:

قالت ذلك... لا يهم ما قالته بل ما كانت تريده.

ما قالته هي ما ارادته لماذا لا تفهم!!

لكن لماذا عن ما اريده انا... أنا اريد أن أنتقم من التنين ولاثبت أن
موتها لم يكن بلا معنى.

اقرب طابع منه بوجه متصلب يحمل المرارة:

رأسك أصلب من الصخر يا تبار... تماماً مثل رأس أخي هند. لكن
اعلم لن أتركك تخوض هذا وحدي.

ثم اعتدل في جلسته بينما صوته أصبح أكثر هدوءاً:

المسابقة ستبدأ الليلة... عند سقوط الظلام ستفتح البوابة ويسمح لكل
من يملك الجرأة أن يشارك.

نهض ودخل غرفته ليعود بعد دقائق يحمل صندوقاً خشبياً ثقيلاً وضعه على الطاولة وفتحه، فانكشفت أسلحة لامعة سيف، رماح، أقواس وسهام دفعها نحوهم وقال:

استعدوا... ما ينتظركم ليس مجرد مسابقة بل امتحان حياة أو موت.

الفصل الرابع عشر: عبور الشق المظلم

في الليل تجمّع الجميع أمام القصر، حيث قام الحراس بفتح البوابة للمشترkin ثم ساقوهم عبر بوابة أخرى مطلة على ساحة واسعة،

همس مصطفى وهو يتلفت في قلق:

أين نحن؟

أجا به تبار بصوت خافت وهو يرمي الساحة :

في الساحة التي ستبدأ منها المسابقة.

على قمة الدرجات وسط الضباب الكثيف، ظهرت شخصية مغطاة بعباءة سوداء كانت حركتها بالكاد مرئية، لكن حضورها كان طاغياً، جعل الجميع يشعر أن مصيرهم معلق بخيوط يديها.

فجأة انكشفت الغيوم وظهر القر... لم يكن كرم سماوي عادي، بل أشبه بعين غامضة تراقب المكان .

سأل زيدان متوجساً:

من الذي يقف في الأعلى؟

أجاب تبار:

أفيارا ملكة فينتيريا.

رفعت المرأة الحجاب عن وجهها لتكتشف ملامحها... بشرة داكنة كالليل، وعينان سوداوان عميقان وشعرها كثيف لكنه ليس بطويل يغمره القلط. ترتدي ثوباً حريريَا قاتماً، يزيّنه خيط من نقوش ذهبية. قلادة ضخمة تتدلى من عنقها، منقوشة بطلasm غامضة، وأساور برونزية تصدر رنيناً خافتًا تلف حول معصميها.

وفي يديها عصا سوداء ثقيلة، يعلوها طرف مدورو حولها دار سرب من الغربان، ينبع في فوضى وكأنهم رسل العالم الأخرى.

تكلمت بصوتٍ رخيم مليء الأرجاء:

مرحباً بأبناء شعبي... وكذلك بالغرباء. إنَّ هذه المسابقة لن تكون كسائر المسابقات السابقة فلن يقتصر الميدان على الفنترين وحدهم بل أرى وجوهاً جديدة من البشر... وابنةٌ ملكِ العالم بينهم.

ستبدأ مسابقة أموات على حافة الفوز، من استطاع أن يصنع المستحيل ويظفر بالفوز فله عندي أمنية واحدة... ولو كانت عرضي نفسه.

هلل الجميع بحماس فرفعت يديها نحو السماء وفي لحظٍ ، تحول القمر من زرقةٍ هادئةٍ إلى كرةٍ ملتهبةٍ تتأجج كالجحيم.

ثم التفتت نحو المتنافسين الست وخمسين فرد وقالت بصوت يجلجل في الصدور:

ستظهر أشباح الظلام... فابحثوا عما في داخلكم من نور.

وبضربة واحدة من عصاها، انشقت الأرض تحت أقدامهم، فبان عالم آخر يتنفس من أعماقه صاحت فيهـم:

اقفزوا إلى الشق المظلم لكن تذكروا... لا توجد فرصة ثانية.

قفزوا جميعاً واحداً تلو الآخر، فسقطوا في هوة غارقة بالسواد، تملأها أصوات خامضة ونفس ثقيل يضغط على الصدور اصطدموا بالأرض بقسوة ورفعوا رؤوسهم ليجدوا السماء ملبدة بغيوم سوداء، والقمر المكتمل يتوهج بضياء ضعيف

دوى زئير عميق عبر السهل، فارتجمت الأرض تحت أقدامهم. وحـش هائل خرج من الظلال، عيناه تتـوهـجـان بدموع حمراء، قرونه تمتد متشابكة للأعلى، وفمه العريض يفيض بأسنان حادة تقطـرـ صـديـاـ. خطـوـتهـ الأولى نـشـرتـ هـوـاءـ جـليـديـاـ مـسـمـوـماـ، فـارتـجـفـ المـتـنـافـسـونـ وـهـمـ يـثـبـتونـ أـقـدـامـهـمـ استـعـداـدـاـ لأـلـأـخـتـبـارـ حـقـيـقيـيـ.

قال تبار، وعيناه معلقتان على الكتلة السوداء التي تقترب:

هذا الوحوش يُعرف باسم «ثريندار»... وحش الشق المظلم.

الكلمات أثقلت الصدور، وسرى الصمت بين المتسابقين فارتजف الخوف في أعماقهم رغم ما يحملونه من شجاعة فكل واحد منهم أدرك أن هذه المواجهة قد تنهي حياته. خلف ثريندار تحركت أشكال مظلمة أخرى تراقبهم متأهة للهجوم.

وفجأة اندفعت الوحوش دفعة واحدة فتحول الميدان إلى جحيم بعض المتسابقين استدعوا إعصاراً هائلاً من قوى فينتيريا اجتاح الأعصار الصفوف الأولى وأسقط الكثير منها، لكن أفواج الوحوش لم تتوقف. تبار وطابع وقفًا جنبًا إلى جنب، سيفهما ترتطم بأجساد لا تحصى، والعرق يقطر منهما مع كل ضربة.

وفي لحظة حاسمة رفع مصطفى يده نحو السماء وصاح:

سندان... أعطني سيفك!

السماء انفتحت بضوء خاطف ونزل منها السيف المتقد بالبرق قبض عليه واندفع للأمام، يضرب الوحوش بلا توقف. لكن سرعان ما انكشفت الحقيقة كلما سقط واحد من تلك الوحوش خرج من الظلام عشرة جدد.

ليث وقف يحمي ظهر حمزة، يتبدلان الضربات معاً. هاتور طارت فوقهما، تهوي على كل يد أو مخلب يحاول الوصول إليهما. في الطرف الآخر، ثبت زيدان قوسه الذي لا يهدأ بينما وسهامه كانت لا تخطي هدفها.

اهتز الميدان كله، ثريندار ضرب الأرض بقدميه فانشققت الصخور، ثم رفع قبضتيه وقرع صدره بعنف، وزأر حتى اهتز الهواء. تقدم بخطوات ثقيلة، أمسك أحد المقاتلين بيديه، مزقه بقوة حتى تناشرت دمائه على التراب.

ساد الذعر وارتفعت الصرخات حتى كاد الميدان ينهاز تحت وطأة الرعب لكن صوت تبار علا وسط الفوضى:

أنتم تلوّحون بالسيوف والسياه، لكن الباب الذي نبحث عنه لن ينفتح إلا بما هو أعمق ... الفوز بهذه المرحلة يعتمد على أعمالكم التي لم يشهدها أحد، صدقكم حين لم يركم بشر تلك هي مفاتيح الخلاص. من أراد أن يحيا، فليستدع ما فعله في الخفاء ولينطقه الآن.

قال مصطفى:

تذكّري كلماتك بحكاية سمعتها من الشيوخ... رجال حُبسوا في غار أغلقته عليهم صخرة لا ثراوح. لم يكن لهم من حيلة، إلا أن كلّ منهم

استدعى عملاً طاهراً فعلاه في حياته، وناجي ربّه به ومع كل مناجاة،
نزلزل الحجر حتى تنفس الغار وخرجوا أحياء.

قال تبار: نعم هو شيء من هذا القبيل.

نظر حمزة بتردد ثم قال بصوت خافت:

سأشاركم قصتي...

تكون حوله جدار من السيوف والسيهام، إذ اصطط رفاقه في مواجهة الوحش ليمنحوه فرصة البوح استجمع أنفاسه ثم تابع:

في يوم من الأيام خرجت إلى الأرض لأقوم ببريها، ولم يكن بجواري أحد كنت وحيداً تماماً. أثناء قيامي بتشغيل الساقية سمعت صوتاً قادماً من إحدى حقول الكتان كان صوت امرأة تصرخ في البداية اعتقدت أنني أسمع نداءً غامضاً، مما أثار في نفسي قلقاً شديداً لأنني ظننتها «النداهة» ولكن سرعان ما أقتنعت نفسي بأن تكون هناك امرأة حقيقة تحتاج إلى المساعدة أدركت أنني أمام فرصة لا تعوض وأن وجودي هنا في هذا الوقت ليس بمحض صدفة إذا كانت الفتاة بحاجة حقيقة للمساعدة فإن الله هو من قادني إليها.

ركضت بدون أن التفت خلفي حتى وصلت إلى مصدر الصوت، هناك رأيت فتاة مقيدة واثنين يقumen بمحاولة الاعتداء عليها تصرفت بدافع

غريزي دون أن أعي مجريات الأحداث، فكان شعوري بالغضب هو المحرك الوحيد لي وانتهى الأمر بمقتل أحدهما بينما فر الآخر ثم قمت بفك قيود الفتاة وأوصلتها إلى عائلتها، والحمد لله أني استطعت حمايتها من الأذى إن شرف الفتيات كخيوط الحرير لا يتحمل الشد أو التلوث، فمن تفقد عفتها كمن فقدت روحها ويصبح جسدها كجثة تحركها الأيام دون إرادة.

أشار بابتسامة قائلًا:

في تلك اللحظة انتابني شعور عميق بالفرح وأشهد الله أني لم أقم بذلك إلا طلباً لرضاه.

في تلك اللحظة، انبعثت إنارة غامضة أمامهم، فارتسم الطريق بخطوط من نور وتلاشت الوحوش فجأة دون أثر التفت مصطفى وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة وقال:

الشيخ لم يخطئوا حين اختاروك..

وأصلوا السير نصف ساعة تحت الضوء المرسوم أمامهم، حتى بدأ الظلام يعود تدريجياً ويبتلع المسار. تعللت أصوات الوحوش من كل صوب، وانطلقت الخفافيش في الهواء، بينما أخذت خطوات غريبة تقترب، يردد أصحابها كلمة واحدة:

الموت.

قال تبار بصوت ثابت:

لِيَقُمُ الْشَّخْصُ التَّالِيٌ وَيَذْكُرُ فَعْلًا نَبِيلًا قَدْ أَنْجَزَهُ.

نظر ليث إليهم وصوته خرج مثقلًا بذكرى ثقيلة:

كُنْتُ قاطع طريق لا تعجبوا... نعم أزهقت أرواحًا بريئة وزرعت
الخوف في القلوب كُنْتُ أسير وراء شهوة السلطة، أسيراً لـوهم القوة
حتى صار شيطاني قائدِي لكن حين قُتل ابني انكشفت لي الحقيقة،
وتجزعت من الكأس التي سقيتها للآخرين.

سكت لحظة ثم تابع بنبرة مختلفة:

قررت أن أعود إلى الله، تبت بصدق وعاهدت نفسي إلا أكرر خطيئة
أحرقتني قبل أن تحرق غيري. وأقسمت أن أقف في وجه كل من يحاول
نشر الرعب بين الأبرياء وعندما علمت أن الشيوخ اختاروني لمهمة
إنقاذ العاقير لم أتردد لأنني رأيت في ذلك طريقاً للتكفير، ولو كان ثمنه
حياتي لقد قال الله على لسان رسوله (أنا عند ظن عبدي بي)، وأنا
أحسن الظن برببي وأرجو مغفرته.

عندها سأله حمزة :

وأين الخير في كل هذا؟

أحابه زيدان وقد غلبه التأمل:

الخير الذي فعله ليث أنه واجه أشرس عدو يمكن أن يواجهه إنسان وهو نفسه أن ينتصر المرء على شهواته، أن يروض نزواته، هذا أعظم من أي سيف أو معركة فالنفس ثغرى الفقير بالقصور، وتشعل في قلب المريض نار الحقد على الأصحاء، وتفتح للعبد أبواب المحرم وإن كان بين يديه الحال هي حرب خفية والانتصار فيها هو النصر الحق.

حين أنهى زيدان كلامه انبعض الضوء من جديد ورسم لهم طريق واضح وسط العتمة اختفت الوحوش وتبدلت الأصوات الموحشة، فتابعوا السير.

فجأة التفت حمزة بهدوء :

— ليث... تقول إنك كنت من قطاع الطرق؟

أجاب ليث بصوت متهدج :

— نعم... لكن الحمد لله لقد استعدت عقلي ورجعت إلى الله.

تصلبت يداه ثم اردد بنبرة يغلي فيها الحزن:

— منذ سبع سنوات كان أخي عائداً من اليمن وقبل أن يدخل العاقير بقتيل هاجمه عصابة من قطاع الطرق. قتل وسرق ما حمله من تعب غربته وما ثمرة عمره.

توقف لحظة ثم صوب عينيه نحو ليث مباشرة:

– هل تعرف من فعل ذلك؟

خفض ليث رأسه وارتسمت على وجهه علامات من المُدمِّر فكرر حمزة بصوتٍ أشد:

– هل تعرف؟

لم يرد وظل صامتاً فأردد حمزة :

– أنت من قتله، أليس كذلك قُلها.

رفع ليث عينيه للحظة ثم هبط بهما من جديد، كأنهما لا تتحملان ضوء الحقيقة. تتم بصوتٍ مبحوح:

– شيطاني...

و قبل أن يكمل انفجر حمزة واندفع نحوه وانهال عليه بالضربات كان أشبه ببركان انفجر بعد كتمان طويل. لم يعد يرى أمامه إلا صورة أخيه الغارق في دمائه حاول مصطفى جذبه من الخلف، بينما كان حمزة يصرخ بانفعالٍ مجنون:

– لماذا قتله، لماذا لم تكتف بما معه؟ أي قلبٍ هذا الذي حمله على قتله؟

اقرب زيدان بسرعة واحتضنه من الأمام ليكبح ثورته. رفع ليث جسده ببطء من على الأرض، ثم مسح بيده أثر الدم عن ذقنه وقال بصوتٍ منكسرٍ:

– أستحق أكثر من هذا كل يوم يقتلني ضميري كل وجهٍ من وجوده
ضحاياي يطاردني لم أعد أحتمل نفسي.

ثم جثا على ركبتيه مطأطئ الرأس، وقال برجاءٍ يائساً:

– اقتلني يا حمزة خلصني من عذابي استخلفك بالله... لطالما فكرت في
إنهاء حياتي لكنني خشيت أن ألقى الله كافراً الآن أنا بين يديك أضربني
بسيفك وحررني.

قاطعهم زيدان :

سامحه يا حمزة إنه قد تاب بصدق وندم على أفعاله والدليل أن الله
سبحانه وتعالى قد غفر له وأضاء الطريق أمامه.

التفت حمزة إلى ليث بننظرة تعكس اشمئزازه:

ـ لكن هذا هو الله أما أنا ف مجرد إنسان. بعدها استأنف السير دون أن
ينبئ بكلمة أخرى.

تبعد المجموعة بخطوات متسرعة، بعد لحظات قصيرة انطفأت الأضواء التي كانوا يسيرون فيعدها مجدداً ففرق المكان في عتمة خانقة شد حمزة على مقبض خنجره بقوة، وأحس ببرودته في يده تدفعه للانقضاض. كان وجه شقيقه يطارد مخيلته لا يرى شيئاً غيره.

تحرك خلف ليث بهدوء وعيناه لا تفارقان ظهره. رفع الخنجر وذراعه ترتجف من شدة الغضب والحنق. لكن قبل أن يغرسه في ظهره، اندفع مصطفى من الجانب ودفعه بكتفه بقوة ترجم حمزة نصف خطوة إلى الوراء، والتفت بعينين يملؤهما الشرر وصاح :

- ابتعد... وإلا قلتاك أنت أيضاً!

وقف مصطفى أمامه ورفع يده قليلاً يحاول تهدئته :

- سأقدر ما تمر به... ولن أحاسبك على تلك الكلمات.

لم تمهلهم اللحظة أكثر من بين الظلام، ظهر "ثريندار" مرة أخرى، زئيره يخترق الهواء وهو يندفع بجسده الضخم نحو حمزة. في طرفة عين انطلق ليث من مكانه ودفع حمزة بكل قوته بساعديه حتى سقط أرضاً على جانبه. ارتفع صوت ارتطام جسد حمزة بالأرض، وفي اللحظة نفسها اخترق هجوم الوحش جسد ليث.

انحنى ظهر ليث إلى الوراء من شدة الضربة، ثم وقع على الأرض.
ركض حمزة نحوه، انزلق على ركبتيه بجانبه ثم رفع رأسه ووضعه
على فخذه، ويداه ترتعشان وهو يضغط على جرحه الذي ينزف بغزاره.

فتح ليث عينيه بصعوبة، نظر إلى حمزة نظرة مثقلة، وقال بصوت متقطع:

- أرجوك... سامحني... لم أستحق الحياة.

ارتجمف فك حمزة وشفتاه ترتعشان، قطرات الدموع تساقطت على وجهه
ليث وصوته خرج متهدجاً:

- أنا قد سامحتك... ولكن لا تقل ذلك.

مد ليث يده المرتجفة، أمسك بذراع حمزة بقوة ضعيفة، وتابع بصوت يخفت شيئاً فشيئاً:

ـ شقيقك مات بسبيبي أنا قتله و ليس لي أن استولي على الغيمة فقط
بل ايضاً بداع الغيرة... الغيرة من أن يكون له أخ مثلك، لقد تمنيت أن تكون أخي وعندما رأيته امامي فكرت أن بعد موته لن تجد من تلجأ إليه
سواءي... أرجوك سامحني.

تساقطت دموعه وهو يرفع بصره إلى السماء، شفتيه ترتجفان:

ـ وداعاً يا حمزة... وداعاً..

انفلتت يده من ذراع حمزة وسقطت على الأرض بينما ابتسامة باهتة
ارتسمت على وجهه ثم غاب صوته إلى الأبد.

صرخ حمزة :

لَا... لا تمت يا ليث... لا تمت يا أخي!

شد جسده إلى صدره ورأس ليث مثبت على حجره، ودموعه تنهر
بلا توقف أصوات البكاء ارتفعت من المجموعة حوله كل شيء
ارتجف بوقع الفقد.

لكن لم تُتح لهم الوحوش وقت للحزن، مدت هاتور ذراعيها إلى الأمام
فانطلق من يديها وهج ناري فأضاء العتمة.

كان في الخلف تبار وصديقه طائع ، ثبّتوا أقدامهم وبدأت دوامة هائلة
من الرياح تدور حولهم لقد أطلقوا إعصار لم يسبق للفينتريين أن
أطلقوه من قبل.

صرخت هاتور بصوت يملؤه الذعر مشيرة إلى زيدان:

قل فعلًا حسناً فعلته... أسرع الوحوش تعود!

تجمد زيدان في مكانه، عيناه تدوران في فراغ مليء بالتشويش:

لا أذكر شيئاً... عقلي فارغ!

تابعت:

ـ نحن نعتمد عليك تذكر قلبك ليس فارغاً.

ـ تبار وضع يده على كتفه صوته يتولّس:

ـ أرجوك... قل أي شيء الآن.

رفع زيدان رأسه فجأة عيناه تلمعان بدموع متجردة، وصوته متهدج:

ـ قبل خمس سنوات... ترك جاري خلفه أرملة وأربعة أطفال يتضورون جوعاً... كنت أسمع بكاءهم يخترق ليلى، فأقسمت أن أرعاهم.

اهنّذت المكان والوحوش توقفت لحظة كان شيئاً غير مرئي شدها.

واصل حديثه بصوتٍ يعلو:

ـ كنت أترك الطعام عند بابهم في الليل، أهرب قبل أن يراني أحد. ثلاثة أشهر كاملة فعلت هذا... حتى انكشف أمري. اتهمني رجل خسيس بأنني أعاشر الأرملة!

ضرب زيدان صدره بقبضته، وصاح من الأعماق:

ـ حينها... قلت أمام الجميع هذه المرأة زوجتي على سنة الله ورسوله وقبل أن ينكشف أمري تزوجتها فعلاً و لكنني لم المسها، أشهد الله أنني ما أردت بها إلا ستراً ورحمة، وأن أبناءها صاروا أبنائي !

تصدعت الأرض تحت أقدامهم، واندفع نور هائل من جسد زيدان، ارتجفت الوحوش وتراجعت، تصرخ بصوت غريب وهي تحاول الاحتماء من النور.

رفع زيدان يديه نحو السماء:

ـ يا رب أنت تعلم أنني فعلت ذلك لوجهك الكريم... فارحمنهم كما رحمتني!

في تلك اللحظة غمر الضوء المكان، وتكسرت سلاسل الظلم، والوحوش صارت رماداً يتطاير في الهواء.

الفصل الخامس عشر «سوار هاكور الملعون»

ارتفعت رفرفة الأجنحة خلفهم وانشق الهواء بصوت جاف يجرح السمع. ظهرت أفيارا عيناهَا تلمعان ببرودة لا حياة فيها، وصوتها اندفع من أعماق الشق المظلم قائلاً:

ـ انتهت المرحلة الأولى حان وقت الثانية. موعدكم على أرض البشر... ولن يفتح لكم الباب الأخير إلا بسوار هاكور. أحضروه وإلا سيدفن كل ما تبقى منكم.

هبطت بخطوة ثابتة ثم غرست عصاها في الأرض. ارتجت التربة، وانبعث نور قاسي من الشقوق أسفل أقدامهم، التف حول أجسادهم يقتادهم قسراً.

حمرة كان يضغط على جسد ليث الملقي بين يديه، صرخ صرخة يائسة:

- دعوني أبقى معه لن أرحل!

لكن النور انتزع ذراعيه وانتشر صوته، وجذبه بعيداً عن صديقه، تاركاً صدره يختنق بالخذلان.

انغمس الجميع في دوامة الضوء، واندفعوا نحو الأرض الجديدة. بما فيهم الفرسان المتبقين من فينتيريا.

نظر تبار إليهم، ثم أخرج كتيباً من جراب ملابسه، كان قد احتفظ به طويلاً من أجل هذه المواجهة وقال بصوت متهدج بالجدية:

علينا أن نحذر من لعنة الساحر... الأمر أعقد مما تخيلون.

فتح الكتاب وتقلبت الصفحات تحت أنامله المرتجفة، حتى توقفت عند قصة الملك هاكور.

قرأ بصوت مرتفع:

في الأزمنة البعيدة، حين كانت الأرض تحت حكم الظلال والملوك يغذون جشعهم بالدماء، حكم الملك هاكور بكل طمع وجبروت لم يكتف بعرشه، ولا بكنوز أرضه، بل سعى خلف الكنز الأسطوري المحمي بأقوى اللغات القديمة... كنز يقال إن من يمتلكه يمسك بمفتاح الخلود لكن الكنز لم يكن مهجوراً في أعماق كهف منسي، كان الساحر نيرمينوس يقف حارساً له رجلاً لم يعد بشراً، قلبه ينبض بلعنت خالدة تتجسد فيها الفوضى والموت.

وحين جاء هاكور بجيشه العظيم مدججاً بالجنود والسحرة، أدرك نيرمينوس أن الساعة قد حانت فوقف في قلب الكهف وبدأ يتلو أول تعويذة:

إسفار نٌت دوات جِم نٌت خِب إنت إري إيب نحب كِنْت آم نبح، جِم إنت إيميو إير.

(أيها الحرّاس العظام للعالم السفلي، احشدوا قواكم، وامزجووا الظلم بالحياة دعوا الفوضى تسود، ولتسقط الأرواح في ظلال الموت).

الأرض اهتزت، والهواء امتلأ بصراخ آلاف الأرواح. ومن قلب هذه الظلمات ولد أول وحش:

آم ميت وحش الانتقام، جسده خليط بين الأسد والتمساح، يلفه لهيب أسود. نفث النار ومزق الجنود بأسنانه، وكل من لمسه احترق جسده وتحول إلى رماد، بينما روحه انسحب إلى العالم السفلي.

صرخ بصوت مدوّ:

إير حِبِّت آم ميت! ستكونون جميًعا عبيداً للانتقام
لكن هذه لم تكن سوى البداية... فما إن فتحت البوابة بآم ميت حتى
تدفقت منها بقية اللعنات.

من ظلال الأرض خرجت لغة حِكت، تتلوى كثعبان يبتلع الأرواح في
العدم.

ومن العاصفة الرملية ولد ست، عملاق الفوضى، يحطم كل ما يلمسه.
ثم ارتجت الكهوف حين ظهر أنوبيس، سيد الموت، عيونه كاللهب،
يخطو فتسقط الأرواح قبل أن يلمسها.

وأخيراً... من اتحاد كل هذه اللعنات ولد الخامس وحش الخلود لم يكن له شكل محدد، كان كتلة من العتمة والدم وجهه يتغير كل لحظة بين وجوه الضحايا هذا الكيان لم يُخلق ليقتل فقط، بل ليأسر الأرواح في سوارٍ واحد... سوار هاكور.

حاول هاكور أن يقاتل، أن يستخدم السحر ليكسر القيود، لكنه كلما صرخ، امتص الوحش جزءاً من حياته وحين لمس أنوبيس روحه، لم يعد يملك سوى السوار في يده عندها اندمجت كل اللغات في ذلك السوار لتجعله الوعاء الأبدي... سقط هاكور جسده تحول إلى غبار وصوته ظل يتتردد داخل السوار إلى الأبد، يهمس لمن يقترب منه:

من يلبسني... يرث لعاتي.

حمزة كان يسمع، ودموعه تتراقص بلا توقف فلاحظ مصطفى ذلك فوضع يده على رأسه برفق:

الراحلون قد رحلوا لكن أثرهم يبقى محفوراً فينا... في قلوبنا وفي كل لحظة نعيشها.

حمزة:

لماذا يحدث هذا معك الألم لا يتركني، وجسمي منهك والبرد ينهاش يدي والأمل يخف... لأن العالم لا يحتاجني.

مصطفى:

دع قدميك تلامس الأرض... هل تشعر بحرارة الرمال تحتك؟

حمزة:

نعم... إنها حارة.

تابع :

إذا قمت بما فعلته في منتصف الليل... هل ستشعر بالبرودة؟

حمرة:

نعم... شديدة.

انظر يا حمرة لكل لحظة شعورها... ولا يمكننا تقدير دفء الشمس إلا بعد تجربة برد الليل، ولا يمكننا إدراك قيمة الحياة إلا بعد مواجهة الألم. كل شعور يحمل معنى، وكل ألم يعلمنا شيئاً عن أنفسنا.

ثم مد يده لمسح دموع حمرة الدافئة وأضاف:

دموع الرجال ليست ضعفاً، لكنها إعلان عن القدرة على الشعور... القوة الحقيقية ليست في اختفاء الألم بل في قدرتنا على الاستمرار رغم وجوده.

قطعتهم هاتور عندما سألت تبار:

لقد أخبرتـا عن اللعنات وما حدث لهاكور ولكن كيف تمكنت من الحصول على السوار خلال مواجهتك السابقة؟ لقد ذكرت أنه وصلت إلى المرحلة الثالثة.

ابتسם تبار وقال:

كل من يستطيع تخطي تحدي تغييره أفيارا في العام التالي، وقد حصلت على تفاصيل المسابقة من الإعلان الذي نشرته على الفينتيرين.

تابعت بدهشة:

ولكن من أين لك هذا الكتاب؟

أجاب :

بحث طويلاً عن كتاب يتناول موضوع هاكور، ولم أتمكن من العثور عليه حتى ساعدني طائع. أخبرني أن اسم الكتاب هو دم الطلاسم وأن جدته كانت تمتلكه.

لكن كيف سجد ذلك السوار؟؟

نظر إليها ثم إلى الكتاب وبدأ يتصفح الصفحات التي تلت اللعنة، حتى انغمس في القراءة قائلًا:

«إلى من يبحث عن سر الزمن الذي لا يتغير، اعلم أنك في طريق طويل وعسير. ابدأ من حيث يلتقي الجبل بالشمس في جبوتي ثم اعبر حيث يتحدث الماء ولا يجري في شدت واصل طريقك عبر أعمدة الأبدية في واسط ولا تتوقف حتى تصل إلى جبل العتمة، حيث لا تشرق الشمس أبداً، لكن القمر وحده هو الذي يحمل الحقيقة.»

سأله زيدان باستفسار:

ماذا تعني كلماتك؟؟

أجاب تبار جيبوتي تعني (الجيزة) شدت(الفيوم) بينما واسط تكون
(الأقصر) تأملوا هذه الجزئية من الكتاب إنها تحتوي على خريطة
تُرشدنا إلى كيفية العثور على الكنز الملعون.

تشير الواقع المحددة في الكتاب إلى موقع فرعونية ينبغي علينا
استكشافها لكشف أسرار الكنز إذا اكتشفنا سر كل مكان نستطيع فك
اللغة التي تنتظرنا في السوار لكن يتطلب استكشاف كل موقع مواجهة
لغة معينة، تمهدًا لفك جميع اللغات.

سأله مصطفى:

كيف ستتوجه إلى الجيزة؟

ابتسم تبار ثم غمز لطائع ورفع يده أمامه فتحركت الرياح بشكل غريب،
بدأت دوامة تتشكل حولهم، تحبس كل ذرة هواء في مسار محدد.
أصابتهم قوة دفع فجائية، كل منهم شعر بثقل جسده يتغير مصطفى شد
قبضتيه، وثبت قدميه على الأرض ليتوازن زيدان ثنى ركبتيه ورفع
ذراعيه ليقاوم السحب حمزة انحني قليلاً، متاهباً لأي تغير مفاجئ،
بينما هاتور تركت يديها أمامها .

ارتفعوا تدريجياً مع الإعصار. تبار كان مركز التحكم يوجه الدوامة بحركة يده، وببطء بدأ الإعصار ينقلهم إلى المكان المستهدف بعد لحظات، بدأت الدوامة تتفكك، وانفتح المشهد أمامهم كاشفاً عن الأهرامات الثلاثة

تأمل مصطفى المشهد :

أين يكمن السر هنا؟

تبار رفع يده إلى الهرم الأكبر مشيراً إلى خطوات الهرم الأولى، وقال:

ابدوا بالفحص الدقيق لكل حجر فكل نقش تجدوه وكل خط محفور. قد يكون فيه المفتاح لأنه ليس في القوة بل في الملاحظة وفهم الزمن كما هو مكتوب في الكتاب.

بدأ الجميع بتحرك يلمسون الحجارة يتحسسون الحواف يحاولون ايجاد النقوش كل حركة منهم كانت محسوبة وكل خطوة كانت مدروسة، لأن أي خطأ قد يفقدهم فرصة الحل.

بعد ثلاثة ساعات من البحث نفذ صبرهم فالتفت زيدان إلى تبار وقال نحن نبحث منذ ساعات ولا يوجد أي نقوش هل أنت متأكد أنه المكان الصحيح .

تبار :

نعم ولكن انا لا افهم شيء... مكتوب في الكتاب من يقف عند أقدام الملك الأكبر ويري الشمس من قمتها، سيدرك الطريق. أقدام الملك الأكبر هو الهرم الأكبر على ما اظن..

فجأة بدأت الأمور تأخذ منحىً جديداً. تجلت امام هاتور نقوش هيروغليفية محفورة على الدرج الرابع من الهرم.

رع ست نت، ميا أنوبيس، أب دو دجوت.

ما أن نطقت بالكلمات حتى دوى في الأفق صوت مرعب هز أركان الهرم ذاته:

من يفتح هذا الباب، سيدنس دمه، وسيُلتهم من أنوبيس.

انبثقت لعنة أنوبيس مرة واحدة وأخذ الهواء من حولهم يتحول إلى ريح باردة، فجأة ظهر أمامهم كلب ضخم جسده معتم كان الضوء يخاف الإقتراب منه عيونه الحمراء كانت شعاعاً للجحيم، وكل خطوة منه ترزلل الأرض تحتهم بينما تندلع الدماء من فمه.

صرخ تبار بجنون:

اهربوا.

لكن لم يكن هناك مفر كان انوبيس أسرع من تلمحه العيون ، فبدأت المطاردة وكأنها سباق مع الموت، حينها أدركت قلوبهم أن الهروب لم يعد ممكناً.

حاول تبار استدعاء إعصار لحماية الجميع، لكن الرياح لم تستجب لأن السحر مسلولاً أمام هذه القوة الكونية.

لم ييأسوا زيدان شدّ قوسه وأطلق السهام نحو الوحش دون كلل اتحد سحر هاتور ومصطفى ليتعاونوا معاً. رفع مصطفى خاتم الدمار واستحضر سيف البرق، ثم أشار باتجاه الوحش ليضرره البرق على رأسه. وفي ذات الوقت انطلقت هاتور وراءه، مُطْلِقاً طاقتها المتوجهة، لكن دون جدوٍ فقد كان الوحش عنيداً ولم يتأثر بشيء على الإطلاق.

فجأة تعثر حمزة وسقط على الأرض استدار الوحش نحوه بشراسة، حيث تحركت مخالبه الضخمة نحو جسده في تلك اللحظة كان من المتوقع إراقة الدماء ولكن بلمح البصر انقض طائع على حمزة وأنقذه من براثن الموت بأعجوبة.

صرخ تبار بجنون:

الحل يكمن في الدرجة التي أخرجته توجهوا إليها... رکضوا نحو النعش الذي أخرجه بينما قامت هاتور بصنع قبة من الطاقة لتحميهم في أثناء التنقيب عن السر...

خرج الصوت من أنوبيس بطيء على مراحل:

«أو إيويني دشم و مههو نفرو فإن حuo محو عut»

((من يجرؤ على عبور حدود الظلام، ستحل عليه لعنة الأجداد، وسيظل مطارداً بشبح الأبدية حتى يدفع الثمن.))

ثم رفع يده وببدأ في امتصاص طاقت حياتهم مما جعل الدرع الذي يحميهم يبدو وكأنه يتلاشى. كانت عيونهم معلقة على الشمس التي بدأت تغرب في الأفق. كان التوتر يشل جميع تحركاتهم، لكن عند أول ظل داعب الدرج ظهرت نقوش جديدة لم يسبق لأحد أن رآها من قبل.

«إن مفتاح الزمن يكمن في تقدير الأقدار، فلحظة تفكير واحدة قد تنفذ حياة أو تدمرها. »

بدأت عقولهم تدرك الواقع. لم يكن الحل في استخدام القوة أو الهروب، بل في فهم الزمن ومعناه. تأملوا في أنوبيس الذي بدأ يخفف من سرعته، وكان إدراكيهم للغز قد انتزع منه قوته. فاستدار بعدها واختفى مع نسيم الريح.

بعد هذا انفتح باب حجري ببطءً مصدرًا صوتاً يشبه خشخشة موتٍ

الفصل السادس عشر: كنز العذاب» لعنة ست

دلفوا عبر الباب إلى أعمق ظلام دامس، انفجرت الجدران كأنها تمزقت من الداخل، تفيض منها أصوات باهتة كالجمر المشتعل الرموز الغريبة المحفورة على الجدران كانت تنبض بحياة مريعة تُنقش بدماء قديمة لا تزال طرية، تتتساقط قطرة تلو الأخرى على الأرض. الهواء كان متعرضاً بشكل لا يُحتمل، مشبعاً بروائح الجثث المتحللة، كان كل ركن من المكان يشهد على ألفية من الموت العنيف.

كما خطوا خطوة، تصاعدت الأرض تحت أقدامهم مثل أنين الجثث المدفونة في عمقها، وكان الأرض ترفضهم. الأصوات التي بدأت كهمسات بعيدة سرعان ما تحولت إلى نحيب جماعي مخنوق متسللةً
الخلاص.

الأصوات انطفأت فجأة، تاركة الجميع في ظلام حالك، لحظات الصمت التي تبعت ذلك كانت ثقيلة لدرجة أنها جعلت أنفاسهم تتتسارع وكأنهم يغرقون في بحر من الرعب.

ما هذا الصوت صرخ زيدان وهو يضع يديه على أذنيه، محاولاً عبثاً
صد تلك الأصوات المتسللة إلى أعماقه.

الأرواح تتحدث إلينا... تتمت هاتور بصوت مشدود من الرعب.

إنها تحاول سرد قصتها... لكنها ليست قصة للخلاص.

الأصوات تصاعدت إلى صيحات وب بدأت الكلمات تتحول إلى كلمات مفهومة أو لغات مرية:

نحن الملعونون الذين لم تنتهي حياتهم بالموت بل بدأ عذابهم بعده...
 أجسادنا نُسفت أرواحها بوحشية... وعلقنا بين الحياة والموت... هذا السجن ليس جرأاً... بل هو لحمنا الذي تمزق.

الأصوات استمرت في التلاشي والظهور:

ننتظر كل من يخطو هذه الديار لينضم إلينا... سُحب دماوكم مثلنا، وسيبقى عذابكم للأبد.

ثم بدأ صوت آخر أشد قسوة وبرودة:

كل خطوة تخطونها هي نحو هلاكم... نحن نراقب نحن ننتظر، ستمزق أجسادكم كما تمزقت أجسادنا... أنتم هنا لتكونوا جزءاً منا.

كان الصوت ينفذ إلى أعماقهم، يلتف حولهم مثل كابوس حي.

فجأة اشتغلت الجدران بنيران سوداء وبدون أي إنذار انشق الظلام من حولهم وكان الستار الأسود الذي كانوا يسرoron فيه قد تمزق بعنف،

ليقذفهم مباشرةً إلى بحيرة مورييس الجافة كان الانتقال مباغتاً ومربيكاً،
كأنهم انתרعوا من أعماق الليل ووضعوا تحت شمس قاسية دون سابق
تحذير...

كانت البحيرة الجافة لكن رائحة الطين القديم، كان لا يزال مشبعاً
بالرطوبة المتاخرة التي ملأت أنوفهم، فيما أشعة الشمس الحارقة
اخترقت السماء الملبدة بالغيوم الكثيفة لتزيد من ثقل الجو عليهم
بينما كانوا يتفحصون المكان الغريب من حولهم.

زيدان بصوت متقطع:

هل أستطيع أن أطلب بجائزة بعد تلك الفرزة؟ ربما جائزة للجنون... أو
وسام للحمقى، لا سأغير رأيي أريد بطة التهمها ونام وجدي تغنى
تحت الحمام.

مصطفى تقدم نحوه بعينين تشتعلان غضباً :

أي جائزة يا زيدان؟ جائزة لأنك مازلت تنفس بينما العالم تحول إلى
رماد؟ أنت أشبه بجلد حيوان نافق، يُضرب ويُداس لكنه لا يشعر. نحن
نسحق كل يوم كحشرات تحت حذاء الموت، وأنت؟ أنت تضحك، تتحدث
عن الحب عن السخرية كأنك تعيش في عالم من قطن. قل لي، بأي قلب
تفعل ذلك؟ أهو قلب أم حجر بارد؟ هل مازلت إنساناً أصلاً؟

زيدان ضحكة قصيرة مرة ثم تكلم كأن السخرية تذوب في الألم:

إنسان؟ يا مصطفى أنا مجرد جثة تمشي. هل تعلم كم مرة حاولت الهرب من هذا الخوف الذي يعصف بي؟ هذا الحزن الذي يتلهمني؟ أنا أسيير في جسد مكسور يصرخ بصمت. أريد أن أهرب... لكن من أين؟ من نفسي؟ من هذا العالم الذي يغمرني بالظلم؟ أنتم ترونني مبتسمًا لكن في داخلي عاصفة لماذا لا تسمعون صرخاتي؟ هل أصبحت شفافًا لهذه الدرجة؟

ـ بل أصبحت تهرب، تُخدر قلبك بالضحك السخيف نحن ننزعك وأنت تعزف لحنًا بائسًا ت يريد أن تتحرر؟ تحرر أولاً من جبنك!

زيدان اكمل بتلك الابتسامة الباهتة المليئة بالخذلان:

ـ جبني؟ يا رجل، نحن جميعًا جبناء الفرق فقط أنتي أعرف. أنت تمثلون البطولة أمام الناس وت تكون كاليتامي في صمت تقول إنني لا أشعر، بينما الحقيقة أنتي أشعر أكثر من اللازם، حتى أنتي كرهت الشعور نفسه.

هاتور تقدّمت بخطى ثابتة:

ـ مصطفى، توقف لماذا تجلد زيدان وكأنه عدوك؟ هو مثلك، يحمل جراحًا لا تلتئم. هل رأيت في عينيه بقايا الأمل التي يحاول التمسك بها وسط الخراب؟

ـ مصطفى بغضب ممزوج بسخرية لاذعة:

ـ الأمل؟ أي أمل؟ هل تتحدثين عن الأمل بينما نحن نفرق في سواد لا قاع له؟ الأمل ترف، كذبة نتمسك بها كي لا نعرف أننا مهزومون. زيدان لا يحمل أملاً، بل وهما. وكل وهم يقتلنا أكثر.

ـ وهل تريدين أن نصبح نحن أيضًا كالآقدار؟ فساة، عميان، لا نرى إلا موتنا؟ كل إنسان يواجه الكارثة بطريقته. أنت تختار الغضب، هو يختار السخرية هل تريدين أن تسلبه حقه حتى في طريقة احتضاره؟

ـ مصطفى بابتسامة مُرّة، محملة بالتهكم :

ـ ها أنتِ تدافعين عنه... لأنّه حبيبك، أليس كذلك؟ ليس غريبًا أن تكسرني رمحك لأجله بينما نحن نتفتت.

ـ هاتور :

ـ وهل يهم السبب؟ إذا كان الحب هو ما يمنعني القوة لأحميء، فهو الشيء الوحيد الحقيقي وسط هذا الخراب. أما أنت يا مصطفى... بأي شيء تتمسك؟ بالحق؟ بالجروح؟ أم بوهم أنك الأقوى بينهم؟

مصطفى صمت لحظة، ثم أطلق تنهيدة ثقيلة كأنه ينهاز ببطء:
أنا... أنا مجرد رجل خسر ابنته وأهله. لم يتبقَّ لي سوى الغضب كي
يملاً فراغي. لم أَر آلام زيدان لأنني غارق في آلامي.

هاتور بصوت خافت :

ـ كلنا غارقون. لكن الغرقى لا ينجون إذا بدأوا في دفع بعضهم للأسفل.
زيدان يحتاج إليك، وأنت تحتاجه. نحن لسنا أعداء، بل أشلاء تبحث عن
يد أخرى كي لا تختفي في الظلام.

مصطفى تنفس ببطء، نظر إلى زيدان وكأنه يراه لأول مرة:

ـ أنتِ محققة يا هاتور... ثم التفت نحو زيدان، سأحاول يا أخي، سأحاول
أن أكون إلى جانبك. لعنة معاً نستطيع خداع هذا الموت ولو قليلاً.
ابتسم زيدان ابتسامة باهتة، وأومأ برأسه وكأنه يوافق مصطفى بلا
كلمة.

في تلك اللحظة، انخفض رأس تبار على الكتاب، ثم ارتفع فجأة وقد
اتسعت عيناه:

ـ هذه... هذه الجملة لم تكن هنا من قبل لقد كتبت الآن

طائع:

وماهي؟؟

ـ الماء الذي لا يتحرك يخفي أسراره.

وما إن نطق بها حتى ارتجت الأرض تحتهم. رياح هوجاء عصفت،
والرمال تحركت و من عمق الصحراء ارتفع جسد هائل ، كيان يبتلع
الأفق بعينيه المشتعلتين.

كان صوته يتسرّب إلى عقولهم لا إلى آذانهم:

ـ مان إينو نهرن شازار...

ارتجم صوت تبار:

ـ إنه... ست.

حاول تبار وطائع تشكيل إعصار لرده، لكن ست اكتفى بابتسامة ساخرة
وألقى بالريح كأنها لا شيء.

تقدّمت هاتور، عيناهَا تلمعان بالبياض، وهتفت بتعاويذ غامضة،
فانطلقت سلاسل سحرية من يديها و التفت حول جسده. لكنه مزقها بلا
جهد، وهمس:

ـ سانختي رع، مي نخت نجم ن خعو، نسرت إمتو رع كا إساو.

شهقت هاتور بصوت متعب:

هاتور:

لا أستطيع تقييده ... قوته... فوق الوصف... تبار فكر في الحل .

أمسك تبار رأسه يضربه بعصبية:

انا فكر... أفكر... لا بد أن للجملة معنى.

ست:

_ تفكير؟ أنتم تحاولون التفكير أمام من يعرف عقولكم أكثر منكم؟ أيها البشر والجن.. أنتم تقرأون الكلمات ولا تفهمون، تملكون الكتب وتتفقدون البصيرة .

مصطفى: قد تكون كما قلت ولكن لن نتوقف ما دمنا نحيا.

قهقهة ست باستهزاء:

_ تحيا؟ أنتم لا تحيون... أنتم تتشبثون بما تسمونه حياة تنامون على خوف و تستيقظون على جوع، ثم تقولون نحيا. ما أسف أن تبرروا ضعفكم بكلمة.

التفت تبار بحدة وقال بلهجة منكسرة:

تبار:

ربما... ربما ما يقوله ليس بعيداً نحن نكذب على أنفسنا استخدمنا
القوة لا الحكمة أردننا الوصول لكننا لم نفهم .

وقتها خطرت في عقل مصطفى فكرة رفع خاتمه نحو السماء ونادى:
يا ثوكليد ساعدني خرج من الخاتم ثوكليد بوجه جامد لا ينم عن أي
مشاعر مصطفى بسرعة:

كيف نتخلص من ست ???

رد ثوكليد بصوت بارد:

الحل في الغيوم...الغيوم التي فوق البحيرة تحمل أبخرة المياه التي
كانت هنا إذا نزل المطر سيعود الماء ثم اختفى داخل الخاتم مجدداً.

رفع مصطفى يده نحو السماء من جديد ونادى:

يا سندان أعطني سيف البرق انشقت السماء وظهر سيف البرق في
يد مصطفى بدأ يضرب به الغيوم ، لكن الغيوم كانت تتوجه أثر البرق
فقط دون أن تسقط المطر.

صرخت هاتور بصوت متقطع:

طاقتی توشك أن تنفذ.. لن أتمكن ... من الصمود طويلاً أمامه.

اقرب طائع من زيدان، ممسكاً بقوسه وأضفى عليه وهجاً أخضر وكأنه
نقل جزءاً من طاقته إليه ثم قال لزيدان:

اضرب الغيمة بكل ما لديك ولا تخف.

في تلك اللحظة، سقطت هاتور على الأرض مغشياً عليها، لكن تبار
تدخل بسرعة وصنع إعصاراً صغيراً ليخفف من سقوطها نظر «ست»
نحو تبار واتجه ناحيته مسرعاً، تبار حاول الهرب لكن خطواته
القصيرة لم تسعفه، تعثر وسقط على الأرض وانكسرت قدمه الخشبية.
رُحِّفَ على الأرض محاولاً الابتعاد، لكن الوحش أمسكه بيده واحدة ورفع
يده الأخرى ليمسك برأسه.

في تلك اللحظة الحاسمة، استجمع زيدان كل قوته وأطلق سهمه نحو
الغيمة. اخترق السهم السماء بسرعة رهيبة وعندما وصل إلى الغيمة،
تشققت السماء بأضواء مذهلة. انهمرت مياه غزيرة، جرفت الأرض
اليابسة وأحيت بحيرة موريس.

بينما تدفقت المياه، بدأ جسد الوحش يتلاشى ببطء، صرخاته كانت
تعيناً عن الملايين لا يوصف، عيناه اللتان كانتا تشتعلان بالنار انطفأتا
تدريجياً حتى تحولت إلى مجرد شرارة خاطفة قبل أن يختفي تماماً في
العدم.

رفع حمزة رأسه نحو السماء وقال بصوتٍ مرتجف:

هل... انتهى هذا الكابوس؟

رد مصطفى وهو يتأمل البحيرة التي باتت تلمع تحت ضوء الشمس:
ربما انتهت هذه المعركة... لكن الرحلة لم تنته بعد. هناك ما هو أعظم
ينظرنا.

بينما يقفون أمام البحيرة ، بدأ سطح الماء يتلاأً بطريقة غريبة. فجأة
تجمعت قطرات الماء لتشكل وجهًا هادئاً.

تحت الأضواء المتلائمة، بدأت تظهر كلمات مكتوبة على سطح البحيرة:
في غياب الموت ينمو اليابس، وللحياة مفاتحها في أعماق القلوب.
من يبتغي الحياة، عليه أن يتجاوز ظلال اليابس.

عندما قرأت هذه الكلمات، كانت الرياح تهب بعنف، والأفق يتلون بلون
 أحمر قاتم، ثم بدأت المياه تتفاعل مع تلك الكلمات، وتشكل بوابة
غامضة في الهواء.

لكن هذه البوابة لم تكن عادية. انبعث منها ضوء أخضر شاحب،
وزخارف معقدة تتلوى

فجأة، انفجرت المياه في دوامة عاتية، وكأنها تتصارع مع كائن خفي.
 تلاشت الألوان من الأفق، وتحولت إلى ظلال مروعة، بينما كانت
البوابة التي تشكلت تفتح ببطء كأنها تلتهم الهواء حولها.

همس تبار وهو يراقب ذلك المشهد المرعب:

هل نحن مستعدون لما يكمن خلف هذه البوابة؟

الفصل السابع عشر: الظفر بالسوار

كان طائع يثبت عينيه على تبار، نظرة ثقيلة لا تعرف إن كانت عتابًا أم حنانًا ثم أخرج من حقيقته قدمًا خشبية أخرى بدل التي كسرت ووضعها أمامه بهدوء.

تبار:

لم... لم تنسني؟ أتيت بهذه من أجلي؟

طائع:

أنساك؟ يا رجل حتى لو أردت نسيانك، كلما نظرت في المرأة رأيت ظلك بجانبها. أنت جرح لم يختم وأثرها فيك لا يتركني.

تبار:

كنت أظنك تحمل الضغينة... كنت أعتقد أنك تراني شريكاً في موت هند... ربما أكثر من شريك.

طائع: لم أكرهك يوماً... لكنني لم أغفر لك أيضاً! أحببتك لأجلها فهي اختارتكم زوجاً وصديقاً لعائلتنا! لكنها أيضاً اختارت نهايتها، يا تبار أختي هند... اختارت.

تبار:

تقول اختارت كأنك تبرئني من دمها، لا أنا من وافق على ذلك الاختيار، أنا من عجزت يداي عن انتشالها من مصيرها.

طائع:

وهل تظن نفسك الله حتى تتحكم في مصائر الآخرين؟ لا يا أخي كل إنسان يختار نهايته بوعي أو بغير وعي أنت لم تقتلها... هي التي قررت أن تتركنا. لكنك تعشق جلد ذاتك، لأنك تريد أن تبقى بطل المأساة. مأساة هند ليست مسرحية تعرض لأجلك.

أطبق تبار جفنيه، والدموع تسيل على وجنتيه:

لكن قلبي يصرخ... أشتق إلينا كيف أعيش وأنا أحمل عار بقائهما في القبر؟

طائع:

تعيش كما يعيش كل مكلوم. تحمل ندبتك وتمشي أما العار فليس في
موتها... بل في عجزك عن تقبل أن الموت اختيار، لا عقوبة لقد قالتها
الحياة بوضوح:

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ.

مد طائع يده، ووضع القدم مكان قدم تبار المبتورة بدا المشهد وكأنه
إعادة بناء رجل مهدوم.

ثم أمسك بيده وأوقفه بحزم وخطوا معًا نحو البوابة.

وبينما الجميع يتبعهم ابتسם مصطفى وحاول أن يبده كآبة زيدان ثم قال
ساخراً :

أَهْذَا حَبَّ أَمْ جُنُونٌ؟

ماذا تقصد؟؟ سأل زيدان !

مصطفى:

إن هاتور ستبقى على صورتها صبية لا تشيخ بينما أنت ستبلغ
الأربعين ثم الخمسين ثم تذبل كأي بشر.

زيدان:

إن القلوب لا سلطان لها إلا على القلوب فلا أخشى أن أهرم أمامها، لأنني أعلم أنها لا ترى تجاعيد الزمن، ولا تلتفت إلى ما يراه الناس. هي تبصر ما لا تبصره أم بثينة..

ضحك مصطفى مستمتعًا بالحديث:

لا... زوجتي درية تبصر كل شيء ترى ضعفي حين أنهار، ترى غضبي حين أضطرّب، ترى خوفي حين أرتجف ومع ذلك تبقى بجانبي. أما معشوقتك فهي لم ترى منك إلا القليل.

أطرق زيدان رأسه لحظة ثم رفعه مبتسمًا:

نعم نختلف... لكننا في النهاية قلبان أُبْتليا بنار الحب، كلٌّ يحترق على طريقته.

قال مصطفى وهو يضحك :

قد جعلتني كلماتك أشتاق إلى أم بثينة.

ضحك زيدان بدوره حتى ارتفع صوتهما ثم مدد يده ليصافح مصطفى، فاللتقت يداهما في عنقِ حار، يعكس عمق الصداقَة وروابط المحبة التي لا تفتر.

وما هي إلا لحظات حتى اجتازوا البوابة فإذا هم أمام صرح مهيب ينهض في قلب الصحراء . معبد أبي سمبل.

داروا في أروقة المعبد، يبحثون ويفتشون على أي شيء يكشف لهم
الغز الجديد ..

حتى إذا طال بحثهم، توقف تبار فجأة لأن قلبه اهتدى قبل عينيه اقترب
من جدار في الجانب الشرقي تلمس النقوش بأصابع مرتعشة.

عندما يعانق القمر الحجر الأسود يفتح الباب المؤدي إلى الجبل
العتمة.

أدرك تبار أنها ليست مجرد كلمات، حيث يُقال إن جبل العتمة يختبئ
خلف ستائر مكان لم يرى الشمس ولم يفارق ظل القمر.

وبينما كانت الكلمات تتردد في الأذهان، تسللت أشعة القمر عبر الأعمدة
الحجيرية، لتكشف عن الحجر الأسود في قلب المعبد. لمع بريقه مع
الضوء، كأنه يرسل إشارة. اقتربت هاتور بجرأة، وما إن لمسته حتى
اهتز بخفة، ودوى صوت غريب في أرجاء المكان:

اختاروا... فمفتأحكم في القلوب.

ارتفعت حرارة المعبد فجأة، وانطلق شعاع ضوء من الحجر نحو الأفق.
نظر الأصدقاء إلى بعضهم وقد شعروا أن عليهم اتباع هذا الضوء.
استداروا فرأوا الجبل البعيد واضحاً أمامهم.

زيدان:

لقد مضت ساعات منذ آخر قتال لنا.

حمرة مازحًا:

وأنا أيضًا، أحتاج أن أواجه شيئاً جديداً.

قال تبار بجدية:

إذن لنؤجل الكلام، ونكمл الطريق.

مع اقترابهم من مدخل الجبل، شعروا بأن كل خطوة تخطوها ترسم ملامح جديدة في خريطة قلوبهم. كانوا كأشجار تتمايل بفعل الرياح، تحمل عواصف التجارب والصراعات التي خاضوها في حياتهم. ثم جاء الصوت، هامسًا في أذانهم:

من يبحث عن النور يجب أن يتقبل ظلامه أولاً.

ما إن وطأت أقدامهم ظلال الجبل حتى تجمد الزمن قليلاً لكن لم يمكنثوا في هذا طويلاً إذ انقطع الهدوء.

وصدى أصوات موتى أجج الرعب في قلوبهم ترددت صرخاتهم في الأرجاء مع كل خطوة، كانت الأحشاء تتلوى في صدورهم، وتخيلوا

رؤوس الموتى تراقبهم من بين الظلال، عيونهم فارغة لكن مليئة بالقصص والألام.

كما تقدمو ازداد الرعب وبدت الأبواب المظلمة وكأنها تقودهم إلى حتفهم وما ان تقدمو اكثـر حتى تسـلت من الجماجم المنتشرة على جوانب الجدران أغـنية جـهنـمية . كانت الجماجم صـامتـة، لا تـتـحرـك شـفـاهـهاـ،ـ لـكـنـ الصـوتـ يـخـرـجـ مـنـ الأـعـماـقـ ليـحـلـ المـكـانـ بـأـغـنيـةـ مـدوـيـةـ مـصـحـوـبةـ بـطـبـولـ وـعـزـفـ غـرـيبـ أـتـىـ مـنـ المـجـهـولـ.ـ بدـتـ الـأـغـنـيـةـ تـرـاثـيـةـ،ـ وـكـلـمـاتـهاـ تحـملـ فـيـ طـيـاتـهاـ نـبـرـةـ مـنـ الـلـهـجـةـ الصـعـيـدـيـةـ:

يقولون في صوت واحد.

((يا نيل دارس، يا بحر كain))

خدوك نزلت، بدم داين.

يا جبل عالي، جواه كـدـرـ

وأنت طايل، يا درب منـ.

يا ليلى ظـلـلـ،ـ فـيـ مـوـتـيـ كـنـ،ـ

أراك بتهمـسـ،ـ يا قـلـبـ حـنـ.

هاكور جالـسـ فـيـ مـوـتـهـ يـعـوـيـ،ـ

بذكرى سودة، يجوب يجن.

يا روح ضايعة، فوق الثريّا،

صدّها هبت، آلمها جايه.

يا ظلم خيم، في كل ركن،

وحوش دارت في أرض دن))

انفجر زيدان في نوبة ضحك هستيرية عقب استماعه للأغنية. فسألت
هاتور عن سبب ضحكته، فقال:

إنهم ليسوا موتى، بل هم مجرد حمقى. وأرغب في الرقص على
كلماتهم، إذ يبدو أن حديثهم غير مفهوم كما لو كنت أريد تحريك
جسدي.

ثم بدأ يُصْفِق واللحن يتعدد حوله، وهو يدور بقدميه للأمام والخلف.

نظر مصطفى بنبرة ازدراء قائلًا:

زيدان هو زيدان ولن يتغير.

فجأة شعرت المجموعة بظهور رياح قوية، وعندما استداروا، فوجئوا
بالعايرين الذين جاءوا معهم من أرض فينتريا.

شهق تبار مذهولاً :

ماكرash؟ كيف يكون هذا؟ ظننتكم أشلاء في التراب كيف وصلتم إلى هنا؟

ابتسم مكرash ببرود وهو يتقدم:

وماذا تظن، أيها الأحمق القصير أن نلقي بأنفسنا إلى الموت بينما أنتم تمهدون لنا الطريق لقد كان رافقكم من بعيد فلماذا نواجه الوحش ونحن نملك قطعاناً من الأغبياء تضحي بأنفسها أمامنا؟

هاتور:

يا لك من خبيث.

مكرash ضاحكاً:

لم تأتي بالجديد فمن يأتى ترى أخبت من قائد عصابة الدم الأسود؟ نحن ثلاثة من أقوى عصابات أراض العوالم، لذا احترس في اختيار كلماتك، وإلا سأقطع لسانك واعلقه ليزين رقبتي.

أشار بطرف عينه فتجتمع أفراد عصابته حولهم سريعاً حاول مصطفى استدعاء سيفه لكنهم كانوا أسرع منه، حيث قاموا بتقييدهم بسلسل سحرية في زمان لا يتجاوز الدقيقة ثم تقدم مكرash نحو مصطفى قائلاً: أرى أن هذا الخاتم سيكون أجمل في يدي، وهو يسحب الخاتم ضاحكاً. توجه نظره إلى تبار قائلاً:

هل كنت تظن يقزم أنني سأتيح لك الوصول إلى نهاية.

تبار:

حتى لو وصلت إلى هذه النقطة ومررت من هذه المرحلة فلن تستطيع هزيمة التنين شكار.

نظر مراکش إلى دراکوس أخيه واحد افراد عصابته:

لا يدركون يا أخي أننا نسعي من أجل كنز هاكور فما يتضمنه من سحر وكنوز سيكفي لبناء مملكة مثل فينطريا أما بالنسبة لمرحلة التنين، فليس هناك داع للذهاب إليها، فنحن سنصلك ما هو أعظم من أمنية افيارا.

تحركت افراد العصابة الى الداخل وبعد خطوات قليلة عاد مراکش وانحنى أمام تبار قائلاً بخبث:

انا من قتلت هند، وليس التنين.

استنشاط تبار غيظاً ورد بصوت مرتعش جعل عروق رقبته تتورم:
كاذب، كاذب.

رد دراکوس قائلاً:

أخي مراكش يسرق نعم، يزني ربما، يقتل دائمًا، لكنه لا يكذب أبداً دعني أبوح بما لم يجرؤ لسانني على قوله من قبل... هند لم يحرقها التنين ، بل نحن من أجهزنا عليها في ذلك اليوم.

في المرحلة الأخيرة التي لم يستطع أحد اجتيازها علمنا إننا لن نقدر على الخروج بأي مكسب ، فقلنا المكسب القريب أفضل من الكنز بعيد وحين نفذ شكل نيرانه وغطى المكان دخان كثيف ، وجدت نفسي أطلق سهمي نحو صدرها. لم أر وجهها بوضوح، لكنني سمعت شهقة خافتة، كأنها تسألني لماذا؟... ثم جاء أخي من خلفي، وأشعل النار في جسدها، حتى يظن الجميع أن التنين هو الجاني، لقد تخلصنا من أكبر عقبة تعرض طريقنا كنا نحصل على خمسه..و عشرة بينما أنت، صائدوا وحوش المملكة تتلقون المئات.

بصوت مرتعش مملوء بالضحك، صرخ تبار وهو يندفع بقيوده نحو الإمام قائلاً:

سأقتلكما سأقتلكما أيها الخونة! سأنتقم لقتل هند وسأروي الأرض بدمائكم. سأقتلع أعينكم لأضعها تحت قدمي العاريتين لأشعر بذلك تعذيبكم.

اصفرت عينا طائع وجاشت مشاعره، بينما همس بصوت خافت:

تلاقى الأخوان بنظراتٍ مشبعة بالخبث، وأطلقوا ضحكة ترتعد لها أركان
المكان، قال أحدهما بصوت خافت كفحيح الأفاسى:

نظنون أنكم ستقلوننا؟ انظروا إلى حالكم، مقيدون بسلسل لـ ترحم، ستائف حولكم كالآفعى الجائعة تصيق مع كل نبضة ستعتصر أرواحكم إلى آخر نفس حتى تصبح أحسادكم هشيمًا.

ثم التفتا وتابعوا سيرهما مراكش وهو يضحك:

هل قسوت على تيار عندما اخبرته

در اکوس:

انت لم تقسو على أحد، فلا يوجد من هو أحق منك..

مراکش:

معك حق كما انتي سارسله اليها حتى لا يتبع اكثر من فراقها ...

ضحك الاثنان اكثراً لترتدى الضحكات في، اذن تيار من بعيد ..

صرخ تیار بصوت حافظ:

سأقتلكم اتسمعوني سأقتلكم ...

دخلت العصابة غرفة الكنز يظهر عليهم عدم المبالاة من قول تبار ، بينما بدأت القيود تشتت على معاصمهم ، تضيق أكثر فأكثر، تحاصر أنفاسهم وتختنق الحركة في أطرافهم كان تبار رغم قيده يمسك بيده كتاب دم الطلاسم وعيناه تحملان شراراً من تصميم غامض أسقط الكتاب على الأرض بحركة متعمدة، ثم انحنى بهدوء مشيراً بوجهه نحو الصفحات المتربة وبدأ يقلبها بأنفه:

يا حرس الأبواب الغامضة، ويا آلهة الظلام التي تسكن أعماق الأرض
 يا أرباب الانتقام وأسياد الغضب الذين لا يروى عطشهم إلا بالدم
 أدعوكم بأسماء لا تذكر إلا في الهمسات القديمة، وبأسرار محظورة منذ
 الأزل استيقظوا من قبوركم أرواح الظلام زحفوا من عوالم الموت،
 أرسلوا وحوشكم الجائعة أربعة كالليل الأسود، أربعة كرياح الطاعون،
 لينقضوا على الأعداء بلا رحمة ليمزقوا لحمهم، وينزعوا قلوبهم،
 ويلتهموا أكبادهم ولتكن بكتيريا الخراب رفيقة لهم ، تسري في عروقهم
 تفسد كل خلية حتى يتلاشوا في الهواء كرماد تذروه الرياح، ول يكن
 انتقامكم كالنار التي لا تخمد أبداً.

في اللحظة التي تلى فيها تبار التوعيدة، رائحة الموت ملأت المكان.
 عند الكنز وشق الظلام وانبعث منه أنوبيس، الإله ذو رأس ابن آوى،
 بوجهه الخالي من الرحمة، وعيناه تومضان بنورٍ خافت يشبه شفق

الموت نظر إلى مراكش نظرة مليئة بالكراهة، وبخطوات ثقيلة اقترب منه.

ثم بلمح البصر مذ يده القاسية، وثبتت جسد الرجل بمخالبها، ليشن حركته تماماً وبأصابع باردة وحادة، غرز يده داخل مجر عين مراكش، وبدأ في اقتلاعها ببطء، كأنما ياتذ بسماع صرخات الألم المتصاعدة و قطرات الدم تسيل ببطء على وجنتيه. حينها لم يمنع مراكش فرصة لالتقط أنفاسه مذ أنوبيس يده مجدداً ليمزق صدره ويفتح الطريق إلى قلبه النابض وسط صرخات الألم المتقطعة ثم انتزع القلب

وفي نفس اللحظة، كان ست، إله الفوضى يخطو نحو ضحية أخرى بنظرة تتقد بالشر تميز حضوره بطاقة عنيفة مذ يده المغطاة بالظلم نحو وجه دراكوس لم يلمسه، لكن جسده بدأ يتعرّن ببطء؛ بكثيريا قاتلة انتقلت منه إلى عروقه كعاصفة سفوم بدأ جسده يتحلل أمام عينيه، لحمه يسقط قطعاً، يتلوى كأنما يحرق من الداخل، أنفاسه تتقطع، ولسانه يصرخ من فرط الألم. أطرافه تتحلل قطعة قطعة، بينما است ينظر إليه ببرود،

كل هذا والأغنية تعلو في المكان
وتزداد.

يا نيل دارس، يا بحر كайн،

خدوك نزلت، بدم داين.

فور أن أنهى أنوبيس وست عقاب ضحاياهما الأوائل، تقدمت عقرت، آلهة العقارب، وسط عاصفة من الدخان الأسود الذي أخذ يتكثف حولها. وقد تراقصت عقارب قاتلة على جسدها كأنها جزء منها دون تردد فتحت ذراعيها، لطلق العنان لمئات العقارب السامة التي اندفعت كسيلٍ لا يُوقف.

بدأت العقارب تسري على أجساد الأعداء المتبقين، تغرز أذيالها الحادة في لحمهم. السم ينتشر في عروقهم كحمم منصهرة، تتصاعد صرخاتهم مختلطة بتشنجاتهم العنيفة ووجوههم تتلوى بملامح الرعب والآلام. لحظات قليلة، وبذلت أجسادهم تتوّرم وتتشقق، فخرج منها الدم الداكن مختلطًا بالقيح، وانهارت أطرافهم واحدة تلو الأخرى، كأنهم يتحللون ببطء أمام بعضهم.

لم يمر وقت طويل حتى انهارت أجسادهم كأعمدة من الرمال، لم يبق منهم سوى هيكل مكسرة وأصوات تتلاشى مع آخر رقم من حياتهم.

ثم تلاشت الآلهة ببطء، تاركين وراءهم غرفة يغطيها الدم والجثث المتناثرة، وأرواح الضحايا محبوسة بين جدران الكهف كصرخة لا نهاية لها، تحكي عن عقاب لن ينسى.

في الخارج كان الأصدقاء لا يملكون أدنى فكرة عما يجري في الداخل ، إلا تبار الذي لم يزح ابتسامته المشوهة ، ولكن لم تمر سوى لحظات حتى انبعثت أنوبيس أمامهم لم يحتاج لكلمة واحدة ، فقط رفع يده وأطلق تعويذته الساحرة ، فانكسرت القيود حولهم ثم تقدم بهدوء نحو تبار ، ووضع في يده السوار ألقى عليهم نظرة باردة مليئة بالتحذير ، ثم اختفى كأنه لم يكن ، تاركاً وراءه شعوراً ثقيلاً بالرعب والأسئلة التي لم يجب عليها بعد.

سأله حمزة عما حدث فأجاب تبار مبتسمًا:

ـ نحن من قمنا بحل الألغاز وكان آخر لغز يتعلق بتقديم الدماء للوحش من أجل استصدار طلب منهم ، ولم أجد أفضل من دم الخونة.

الفصل الثامن عشر: «رق القلب»

الأيام مثل ضمادات تهدى الألم لكنها لا تزيله بالكامل. تبقى الآلام في دواخلنا كضوء خافت يرافقنا ، لذكرنا أن العمر ليس مجرد أرقام تتعاقب ، بل هو نسيج من التجارب التي تفتح لنا أبواباً نحو عوالم غير مألوفة. قد نسير على طرق غير مرئية ، ومع ذلك سأواصل السير ، وأسعى بشغف نحو السماء. صحيح أن الألم قد لا يزول ، لكنه مع مرور

الأيام يتضاعل، ليغدو جزءاً من رحلتي، يمنعني قوةً للاستمرار ويمهد لي الطريق نحو غدٍ جديد.

بعد اختفاء أنوبيس وجد مصطفى يد مراكش مبتورة أمامه لا يعرف من أين أتت ولكن هذا لم يمنعه من مد يديه ببطء وبحذر تناول الخاتم من الأصابع الممددة بلا حياة.

يُدْ تيار ، وَقَالَتْ بِنْبِرَةٍ ثَقِيلَةً :
يَلَامِسَانِ الْهَوَاءِ بِجَلَالٍ وَصَمْتَ مَذَّتْ يَدَهَا ثُمَّ رَفَعَتِ السَّوَارَ بِثَبَاتٍ مِنْ
بَانِتَهَاءِ تِلَكَ الْمَرْحَلَةِ ظَهَرَتْ أَفِيَارًا وَهِيَ تَهَبَطُ مِنَ السَّمَاءِ، جَنَاحَاهَا

وَالآن لَم يَكُنْ أَمَامَكُمْ سُوَى قَتْلِ شَكَالٍ.

وأمام أنظارهم فتحت بوابةً تفضي إلى ممر طويل ينتهي في ظلال كهف يقع فيه التنين.

تبَار يسِير وَهُوَ يَحْدُقُ حَوْلَهُ بِصَمْتٍ يَشُوبُهُ الْأَلْمُ ثُمَّ تَمَمَ بِصَوْتٍ بِالْكَادِ
سمعه رفاقه:

هنا في هذا المكان الملعون... سقطت... هنا رأيت أحلامي تتفتت هنا انكسرت هنا تجرعت مرارة الوجع والفرار... هنا قاتلت هند. أشعر أن قلبي حمر متقد، نصفه تكسّر من شدة اللاهب، والنصف الآخر لا يزال

ينبض بحرارة الحريق. دماني سُكبت هنا... وكل جرح فيها شهد على المي.

مصطفى:

أعلم ما تمرّ به، فلا أحد يستطيع أن يفهم ثقل ما في قلبك إلا من ارتشف من ذات الكأس.

أخذ نفساً عميقاً، ثم أضاف:

الحزن يحاول أن يأسرنا، أن يشدنا إلى أعماق بلا قرار، وقد عشت فترةً وأنا أظن أنه لن يرحل لكنني أدركت، مع مرور الوقت، أن التفكير في الحزن لن يحررني، بل سيجعلني أسيراً له التجاوز يا صديقي ليس نسيان من فقدنا، بل السير في الطريق الذي كانوا ليختاروه لنا...

قال طائع:

هند كانت تريد لنا الحياة، أن نعيش كما يعيش باقي الجن في الخارج بعيداً عن هذا الظلم واللعنة... أرادت لنا حياة لم نر منها شيئاً، ولكنها كانت ترى لنا فيها أملاً... فإذا خرجنـا من هنا يا تبار فعلينا أن نمضي بوصيتها، نتمسـك بما كانت تريدـه لنا وكأنـها هي من يسيرـنا على تلك الطريق.

نظر تبار إلى طائع وقد لمعت عيناه بدموعٍ مكبوة، ثم أومأ برأسه
بهدوء:

أجل يا طائع... هنـد كانت النور الوحيد في هذا الظلام، كانت الأمل الذي
بيقينا واقفين. إن كانت قد أرادت لنا النجاة فلا بد أن نفي بوعدها...
سنخرج من هنا، وسنعيش كما أرادت وسنصنع لأنفسنا حيـاةً تستحقها
أرواحنا المتعبـة.

ثم أغمض عينيه ثـوانٍ كأنـه يستجمع القوـة من كلماتها الغائـبة، وكأنـه
 بذلك الـوعـد يـسـيرـ معـهاـ فيـ درـبـ لاـ يـعـرـفـ لهـ نـهـاـيـةـ.

كان الكـهـفـ غـامـضـ تـبـلـعـهـ الـظـالـلـ،ـ حـيـثـ الصـخـورـ الدـاكـنـةـ تـتـدـلـىـ كـأـيـابـ
مـتـحـفـزـةـ مـنـ السـقـفـ الرـطـبـ.

على الأرض الموحـلةـ،ـ تـتـنـاثـرـ صـنـادـيقـ مـفـتوـحةـ مـكـدـسـةـ بـالـذـهـبـ
وـالـجـواـهـرـ التـيـ تـعـكـسـ نـورـاـ خـافـقـاـ مـنـ نـيـرانـ صـغـيرـةـ مـبـعـثـرـةـ حولـ المـكـانـ.

في زاوية قـرـيبـةـ،ـ يـظـهـرـ جـمـجمـةـ مـتـحـلـلـةـ وـجـسـدـ مـتـهـالـكـ،ـ يـبـدوـ كـأـيـاـ
مـفـامـرـ شـقـيـ لـمـ يـسـعـفـهـ الحـظـ فـيـ الخـرـوجـ مـنـ هـذـاـ الـكـهـفـ.ـ بـيـنـ عـظـامـهـ
الـمـبـعـثـرـةـ تـتـلـلـأـ عـمـلـاتـ ذـهـبـيةـ وـقـطـعـ أـثـرـيـةـ،ـ وـكـأـنـ الـمـوـتـ لـمـ يـكـنـ عـائـقـاـ
أـمامـ هـذـهـ الثـرـوـةـ التـيـ اـبـلـعـتـهـ فـيـ النـهـاـيـةـ.

قال زيدان، وقد لمع في عينيه بريق الواثق من اكتشاف عظيم:

لدي فكرة للتخلص من التنين!

رفع مصطفى عينيه ببطء، وقد ارتسם على وجهه ملل عتيق وقال
بفتور:

لا تفكـر.

لكن زيدان أصرّ:

ولكنها فكرة عبقرية.

تهـدـ مصطفى :

قتـلتـ لكـ، لا تستعملـ عـقـالـكـ.

ـ حـسـنـاـ سـأـقـولـ فـكـرـتـيـ وـاـشـكـرـكـ مـقـدـمـاـ عـلـىـ سـعـةـ صـدـرـكـمـ .

ـ تـشـاعـبـ حـمـزـةـ وـهـوـ يـلـوحـ بـبـيـدـهـ :

ـ قـلـ ماـ عـنـدـكـ، وـلـنـرـىـ إـلـىـ أـيـنـ سـتـأـخـذـنـاـ.

ـ اـرـدـفـ زـيـدانـ:

ـ نـحـرـقـ الـكـهـفـ فـيـحـترـقـ التـنـنـ بـدـاخـلـهـ وـيـمـوتـ!

عم المكان صمت مربك وكأن الجميع ينتظر من الآخر تفسير هذه الفكرة الغريبة ثم فجأة، انفجر طائع ضاحكاً حتى كاد يسقط على الأرض وقال بصعوبة بين شهقات الضحك:

ألم يحذروك من التفكير.

حمزة فقد ألقى برأسه إلى الخلف وضحك من أعماقه، ثم قال وهو يكاد يختنق:

حرق الكهف كي نقتل تنين؟ هذا كمن يوقد النار في البيت كله ليقضى على بعوضة!

رفع تبار يديه يائساً:

انت اغبي منه أي بعوضة وأي بيت؟ التنين هو الذي يحرق يا علاء ولا يمكن إحرافه.

تابع مصطفى بضجر:

صدقني يا زيدان لو كان التنين هنا وسمع فكرتك، لانفجر من الضحك واحترق وحده!

اهتزّ الجموع في موجة من الضحكات التي لا تنتهي، كأنّهم يشاركون في مهرجان من السخرية أما زيدان وسط تلك العاصفة من القهقهات همس لنفسه راضياً:

ومع ذلك... تظل فكرة لا يُستهان بها.

ظهر التنين مصاحباً ضحكتهم اندفعت الحمم تغلي من تحت قدميه. كان هيكله الهائل يتقدم من الظلال، وعيونه المتوجة بلون الجمر تطل بنظرية نارية، من فمه سالت الحمم ، يتخلل جسده شقوق متوجة، تفيض باللهب من كل جانب. كان جناحاه العملاقان يطويان السماء خلفه، ومع كل زفراة تخرج من بين أنيابه الحادة، تنطلق أسنة النار كأنها عاصفة جحيمية لا تُرَد.

التف حوله الدخان الأسود كوشاح، وامتلأت الأجواء بصوت هدير عميق، أشبه بالرعد المتواصل. تقدّم خطوة فاهتزت الأرض تحت ثقله، وتناثرت الصخور المتفحمة من حوله.

وقفت المجموعة متجمدة في أماكنها، لا يقوى أحدهم على الحركة، تغلغلت الرهبة في نفوسهم، وسلبتهم أي قدرة على التفكير؛ كان هذا

اقترب التنين ببطءاً هدير صوته ملاً المكان، طفى على أنفاسهم المقطوعة، ترددت كلماته كالرعد انتقام... انتقام...

حاول مصطفى أن يبادر بضربيه بسيف البرق لكن كانت كل ضربة تزيده قوة وغضباً. استجمع طائع طاقته ليصنع إعصاراً يعصف بالتنين، لكن الوحش نفث نيرانه فيه، فصار الإعصار كتلة من النار المتاججة التي ارتدت نحوهم وعلى حافة الموت، كانت هاتور آخر

الملجأ لهم رفعت يديها للسماء، مستنفرةً قوة لا توصف واستدعت قبة طاقة أحاطتهم، حمتهم من زحف الهب المتدافع لكنها كانت تدرى أن هذه القبة تستهلكها شيئاً فشيئاً، وجهها ازداد شحوباً وأنفاسها صارت متلاحة، وطاقتها تتآكل بسرعة مخيفة.

التفت حمزة نحوها في ذعر:

ـ لا فائدة... إلى متى يمكننا البقاء خلف هذا الحاجز؟

وفي هذه اللحظة، استرعنى زيدان انتباهم وقال:

ـ لقد سمعت التنين يتحدث عن الانتقام.

رمقه مصطفى بننظره متوجسة قائلاً

ـ لكن أي انتقام هذا؟ لماذا يريد أن ينتقم منا كائن محبوس هنا ولم يرانا من قبل.

تبار

ـ هو روح مرتبطة بالعذاب، محبوس هنا لأجل مسابقة الموت.

اقترب زيدان من هاتور

وقال بهدوء:

ـ ارفعي الحاجز.

اعترضت هاتور

سُنُقتل إِذَا فَعَلْتَ!

زيدان:

ثقي بي هذه فرصتنا الوحيدة. ببطء رفعت هاتور القبة، وانكشفوا أمام التنين.

تقدم زيدان خطوة نحو الكائن الهائل وقال بصوتٍ هادئٍ وقوي،
توقف.

فتح شكل عينيه بدهشة، كانت نظرته مفاجأة، امتزج بغضب :
بشرى يأمرني؟ انتفخ صدره واندفعت الحمم من أنبيائه وببل أن ينفث ما بفمه بادر زيدان واقترب، قائلاً :

انتظر من فضلك، أعلم أن هذا الجنون ليس سوى قناع تخفي به جرحاً أكبر. قد لا أملك فهماً كاملاً لألمك، لكن ربما لم يهتم بك أحد من قبل، لم يكتثر أحد لوحديتك. ربما كل هذا الغضب الذي يشتعل بداخلك لم يكن سوى صرخة للحرية؟

تأمله شكل بصمت ثقيل، وكان كلماته اخترقت حواجز روحه.
وواصل زيدان كلامه:

أن تترك هنا وحدك، سجين في الظلم، أن يترك كائن بقدرتك وقوتك
حبسًا، تلك ليست حياة بل عذاب لا يوصف أعلم أنني أعرف الوحيدة،
أعلم كيف تلتهم القلب، كيف تجعل الروح خاويةً من كل شيء إلا
الغضب لا تستحق أن تعيش كهذا الوحش، بل كائن اختيار حياته،
كائن يمكنه أن يقرر مصيره بنفسه.

تجمدت عينا شكار عليه، تتألم فيهما نار الغضب المعتم، لكن خلفها
ارتفاعات خفية. بدا الصمت بينهما كسيف مشدود، حتى ارتعش نظراته
وكان كلماته أعادت نبش مشاعر دفنه تحت طبقات من الحقد.

ثم خرج صوته أخيراً، أنشأ كأنه يصدر من أعماق جرح قديم:

شكار:

أنا... لست مجرد تنين أنا... أنا انتي وأم.

تفاجأ الجميع من تلك المعلومة وظهرت الدهشة على وجوههم فتابعت:

كنت يوماً حارسة الملكة أفيارا... قوتها التي لا تُقهر، سيفها ونارها.
كنت ظلها الذي يسبقها إلى المعارك، وذراعها التي تحرق أعداءها.

لم تُهزم أفيارا يوماً وأنا إلى جانبها كان اسمى يُزرع في قلوب الممالك
رعياً.

توقفت لحظة، وانكسرت نبرتها شيئاً فشيئاً:

لكنني كنت أيضًا أمًا... كان لي صغار جاؤوا من رحم قلبي. أردت أن أحميهم، أردت أن أختارهم بدلاً من طموحها اللامتناهي حين عرفت أفيارا بأ沫تي رأت في ضعفًا... خيانة لعرشها صرخت في وجهي ((لا خادمة للنّاج تختار غيري))

ثم... قيدتني بسحرها الملعون، وجعلتني سجينه نفسى، سجينه جسدي، حتى تحولت إلى هذا الكابوس... كابوس لا ينتهى.

تقدمت هاتور بخطوة، والدموع تلمع في عينيها:

وأين هي قيودك الآن؟ كيف نحررك منها؟

رفعت شكل رقبتها الطويلة وأشارت إلى سلسلة خفية، غير مرئية لعيون البشر، لكنها تلف عنقها وتختنق أنفاسها بلا رحمة.

حينها دون تردد، جرحت هاتور كفها، وتركت الدم يسيل على القيد السحري.

ارتجمف الهواء، وصرخة سحرية اخترقت الظلام، كأن آلاف الأرواح المحبوبة تحررت في لحظة واحدة ببطء، بدأ القيد يتشقق، ينكسر، حتى تحطم تماماً في ومضة نور.

أطلقت شكل زئيرًا لم يكن غضباً، بل بكاءً حراً بعد دهور من الأسر.
تساقطت دموعها النارية، تحترق قبل أن تلامس الأرض، وقالت بصوت مختنق:

شكراً... لقد رفعتم عنِي حملًا حسبته أبداً.

اقترب تبار بخطوات متعددة، وعيناه تفيض بندم ثقيل:

ظننتُك السبب في موت زوجتي... حقدت عليك دون أن أفهم الآن...
أرجوك اغفري لي.

نظرت إليه طويلاً، ثم أطبقت جفنيها، وقالت:

كلماتك أزالت شوكة الألم من قلبي. لم أعد أريد الكراهية. لقد
انتزعتموني من ظلامي... وسأكون من الآن حارستكم.

ارتفعت برأسها الهائل، فاصطدم بجدار الكهف، فشقق وتفجرت منه ألسنة اللهب كنافذة إلى الحرية. بسطت جناحيها العريضين، وهما يضيئان بنار ليست غضباً هذه المرة، بل دفناً يبدد الظلام.

ركبوا جميعاً ظهرها ومع زئيرها المدوى انطلقت ملقة، مخترقة السماء حاملة زيدان ومصطفى وهاتور وتبار وكل رفاقهم إلى فضاء الحرية.

التفت هاتور نحو زيدان بينما الهواء يصفع وجهها والدهشة تلمع في عينيها:

كيف فعلت ذلك؟ ألم تخف من غضبها؟

زيدان:

أدركت أن كل قلب، مهما أثقله الألم، يمكن أن يُفتح. الوحدة يا هاتور... هي الجرح الخفي الذي يغذي الكراهيّة. حين نظرت في عينيها، لم أرَ نيراناً فقط... بل رأيت قلباً يبحث عن من يسمعه الوحدة تسرق من المرء نفسه، حتى لا يبقى له سوى الغضب لكن إذا لمسنا هذا الجرح، إذا احتوينا الألم بدل أن نزيده... عندها فقط نستطيع أن نطفئ النار.

ثم ألقى نظرة نحو السماء، وضحك بخفة قائلاً:

وفكرت أن فكرة إحراق تنين... ليست جيدة إطلاقاً، فهو في الأصل محترق!.

الفصل التاسع عشر: عرش من دماء

نظر حمزة إلى زيدان بعينين مشبعتين بحنين الأمس، وقال بصوتهِ ناعم يملؤه الشوق، كالمطر حين يلامس الأرض العطشى:

اشتقت إلى العاقير اشتقت إلى ضحكات الأهل وإلى حكاياتهم التي كنا نحفظها عن ظهر قلب ونرددتها في صبانا. اشتقت إلى رائحة الأرض وهي تزهر بلمسة المطر، افتقد أرض الكتان، وأهل العاقير الطيبين الذين كانوا كالأشجار، متजذرين في أرضهم، يظلونا بحبهم وطيب . وافتقدت الشيخ عديل وكتابه، المكان الذي علمنا كيف نهجي الحروف، وكيف نفهم لغة الأرض وأسرار الناس.

أحنى زيدان رأسه وقد:

آه يا حمزة كانت العاقير أكثر من أرض... كانت تنفس فيها، وكأننا جزء من ترابها، نحمل نسيمها ونستمع لصوت مانها. ذكر كل شيء وكأنه حلم لم أستيقظ منه بعد، حلم يظل يطاردني في يقظتي وفي منامي.

أضاف مصطفى وقد ازدادت نبرة صوته عمقاً وقال:

حين نادتنا العاقير، كنا أول من لبى ندائها لم نتردد لحظة. كنا نعلم، من يومنا الأول أن الابتعاد عنها لا يعني فراقها بل كنا على يقين أننا سنعود إليها يوماً ما. لقد غرسَت فينا حبها وحب أهلها، ووهبتنا من قوتها ما يكفي لنكون سيفها في مواجهة كل شرٍ يهددها. صحيح أن طريقنا محفوف بالمخاطر، وأن الشر يكمن في كل خطوة، لكن حين تنادي الأرض، يصبح الخوف وهمّا.

فجأة هبطت "شكال" أمام قصر أفيارا وبهدوء غامض، انزلقوا جميعاً من على ظهرها بينما أعينهم ترقب المحيط بحذر لكن قبل أن يلتقطوا أنفاسهم، تمزق الصمت بظهور "أفيارا" كطيف مخيف ينبعث من العدم، تحدق في "شكال" بعينين متوجهتين ثم قالت بلهجة متعجرفة تمزج بين السخرية والازدراء:

ما هذا العبث؟

هاتور:

لقد تغلبنا على التنين.

ارتسمت على شفتي أفيارا ابتسامة ساخرة:

ـ تغلبتِ؟ وهل تتوهمني بهذه السذاجة؟ كان الهدف إبادة التنين، لا هذا الاستسلام المهين.

ثم التفتت نحو شكل :

ـ وأنتِ يا كائنتي العتيقة، تنينتي العزيزة تخذليني أمام هؤلاء الحثالة؟
ألم تستح من نفسك بعد قرون من الولاء؟

شكال:

الحمقاء هنا هي أنت يا أفيارا خدمتك لعصورٍ طويلة، ولم أحصد منك إلا أن جعلتني دمية بين يديك. هل تتوقعين ألا أنتفض؟ أم تظنين أنني لاأشعر بالإهانة من كوني مجرد أداءٍ رخيصةٍ في مسابقتك السخيفة؟

ثم تابعت، وصوتها يتغلغل من الغضب :

حرمتني من أطفالي، من ضحكاتهم ومن دفء أحضانهم، وجعلتني أعيش مرارات الفراق تلو الفراق. لقد يأسـت منك يا أفيارا، ومن سلطتك التي لا تجلب إلا الألم.

أفيارا:

ـ مشاعر؟ أية مشاعر تدعينها أنت مجرد وحش، وجدت لتأكلي ولنطبيعني بلا تردد أنتكرين ذلك الآن؟

تقدمت هاتور إلى الأمام بخطوات ثابتة ثم رفعت يدها في وجه أفيارا وقالت:

ـ الوحش الحقيقي هو أنت، يا أفيارا يا من تقتاتين على دماء الأبرياء وتسلبين حياتهم لتشلي نزواتكِ الفارغة. نحن قد انتصرنا وها هي شكل تعترف بهزيمتها. سندهب إلى فينتيريا ليشهد الجميع سقوطك وفوزنا.

تغيرت ملامح أفيارا وتوجهت إلى تبار وقالت ببرود يخفي تهديداً قاتلاً:
_أنت أيضاً تجرؤ على الوقوف ضدي؟ أم أنك بعث ولاءك لهؤلاء؟

تبار:

لم نرَ من حكمك إلا الظلم والجور. كفى عبّا كفى استهتاراً لن نرضى
بالخضوع لكِ بعد اليوم.

أفيارا بصوت يعج بالخبث:

تريدون الوصول إلى باب العالم الرابع أليس كذلك؟ سأفتحه لكم...
لكن إن دخلتم لا تعودوا مجدداً.

ضحك مصطفى بسخرية لاذعة:

الباب؟ نحن لا نطلب الباب، نحن نطلب عرشكِ.

ثم نظرت إليهم باحتقار، وقالت بصوت مرروع:

أنتم؟ أنتم تطمعون في عرشي؟

أجابها تبار:

إن للملك الحق في احتكار باب العالم الرابع؟ حين يصير الحكم لنا،
سنحصل على كل شيء، حتى لو كان ذلك يعني التخلص منك، حسب
قوانينك التي وضعتها بيديك.

بوجهٍ متعجرفٍ وثقةٍ كاسحة، عادت أفياراً إلى تبار، ناظرةً إليه بعمقٍ قائلةً:

لن تسمح بهذا صحيح؟ لقد أحببتي وأعلم أنك لم تنس ذلك؟

لم أحبك يوماً أنت مغرورة، قطعتِ أوصال حبي قبل أن يبدأ حتى هل كنتِ واحدةً منا من صاندين الوحوش، أحببتكِ كما لم أحب أحداً من قبل، وكنا على عتبة عهدٍ يجمعنا إلى الأبد... لكنكِ حين امتلكتِ تلك العصا التي منحتكِ القوة، تركتني وتخلّيتِ عن كل شيء خلفكِ دون أن تلتقطي. لكن هند... هند هي من أحبّتني بصدق، ولن يعرف قلبي حبًا سواها.

كان الجميع في صدمة مما سمعوه فلم يخبرهم من قبل انه كان على علاقة بأفيارا

بصوتٍ متهدج وحزنٍ يثقل كلماته اردد تبار:

أتذكرين هند؟ هي من كانت حَقّاً تعرفي، هي من أحبّتني بكل صدق، دون شرط أو قيد كانت تلمس قلبي بكلماتها الهايئة، تطمئنني في ضعفي وتدعني حين تخور قوائي. هند لم تطلب مني شيئاً سوى أن أكون كما أنا، بضعفٍ وقوتي، بأحلامي وأخطائي. لم تعرف يوماً الخيانة، ولم تهجرني طمعاً في قوة زائفه.

ثم أغمض عينيه للحظة، وكأنه يستحضر طيفها أمامه واستطرد:

رغم رحيلها هي لا تزال هنا، في كل زاوية، في كل ذكرى. هند هي من جعلتني أفهم معنى الحب، معنى العطاء الذي لا ينتظر مقابلًا. ومهما حاولت، لن يتمكن أحدٌ من أن يزيل مكانها لأن روحي تعلقت بروحها، ولن أجد قلباً يسكنني كما فعل قلبها. هي من غادرت لكن أثراها... أثراها أبدى.

جاء رد أفيارا سريعاً:

ربما لم تعد تحبني ، لكن حبك انبثق في قلبي أنا من أحببتك ، وليس هند.

ضحك تبار بسخرية قائلاً:

لا لم تحبني لم يكن حبك سوى طمع في العرش وشهوة للسلطة. هند هي من استحقت قلبي، أما أنت فالبغض هو ما تستحقيه مني.

بل أنا من أحببتك ساذتك في كل شيء، لا يغرك معاملتي لك كأي متسابق عادي. كنت في كل مسابقة إلى جانبك، ووقفت حائلاً بينك وبين غضب التنينه شكل. حتى عندما قطعت رجلك، أنا من جعلتها تتوقف. أسأل تلك الخائنة الواقفة أمامك، هي لن تنكر.

وقفت لحظة، ثم تابعت، :

عندما قررت التخلّي عن لقب صائد الوحوش، كنت أعرف تفاصيل حياتك وأسرارك لم اترك فكيف تبيعني الآن لأشباه الحمقى الذين لا ينتمون حتى لعالمنا؟

تبار أدار وجهه عنها وبنظرة مليئة بالجمود :

لن أتنازل عن العرش، وكلماتك لن تغير شيئاً.

ضحكـت أفيـارا ضـحـكةً مـرـيـرـة، وـعلـقـتـ قـائـلـةً بـنـبـرـةٍ تـفـيـضـ بالـتـهـيـدـ:

إـذـا لـقـدـ حـكـمـتـ عـلـىـ نـفـسـكـ وـمـنـ مـعـكـ بـالـمـوـتـ وـكـمـاـ قـتـلـتـ هـنـدـ، سـاقـتـكـمـ جـمـيـعاً وـسـأـبـدـأـ بـكـ أـنـتـ.

ارتسم الذهول على وجه تبار وهو يقول:

أـنـتـ تـكـذـبـينـ، هـنـدـ قـتـلـتـ عـلـىـ يـدـ مـرـاـكـشـ وـأـخـيـهـ.

قاطـعـتهـ أـفـيـارـاـ بـبـرـوـدـ قـائـلـةـ:

بـأـمـرـيـ أـنـاـ أـنـاـ مـنـ أـمـرـتـهـ بـذـلـكـ، وـقـدـ أـخـذـواـ الثـمـنـ وـالـآنـ سـتـمـوـتـونـ، وـأـنـتـ سـتـكـونـ أـوـلـ مـنـ يـلـقـىـ حـتـفـهـ عـلـىـ يـدـيـ.

ثم لوحـتـ بـعـصـاـهـاـ السـحـرـيـةـ، فـتـلـاشـتـ الـأـرـضـ تـحـتـ أـقـدـامـهـ كـأـنـهـاـ سـرـابـ، وـفـيـ غـمـضـةـ عـيـنـ، وـجـدـ الـجـمـيـعـ أـنـفـسـهـمـ فـيـ قـلـبـ صـحـراءـ الـقـاحـلةـ

كانت الشمس حارقة، والرمال تترافق من شدة الحرارة، لا يوجد مكان للاختباء، ولا أثر للحياة أحاط بهم الفراغ من كل جانب.

حينها تحولت أفيارا إلى مخلوقة يكتسيها الخراب والغضب عصاها السحرية التي كانت ذات يوم رمزاً لمجدها، انقلبت وتحولت معها، لتصبح كائناً قاتماً ينبعض بالحقد ويتنفس الموت في كل خطوة.

ابيضت عيناً أفياراً وتحول صوتها إلى شيءٍ أشبه بصدى الأرواح المعدبة، عميقاً ومخيفاً بحشرجةٍ ترتجف لها القلوب، قالت برعابٍ قاتل: يا أبناء العاقير، كتب موتكم هنا... ولن يفلت من قبضتي أحد. تظنو أنكم ستنتصرون؟ لقد جئت لأجمع ثمار خيانتكم، ولأنال انتقامي من أولئك الذين تجرأوا على تحدي عرشي، لقد كنت أراقبكم واجهز لكم منذ مدة.

وهي تتقدم نحوهم انبثقت من ظلالها مخلوقات غير مألوفة، تترافق حولها، كأنها تتبع كل خطوة تخطوها. تتحرك ببطء كالأشباح التي لا ثرى إلا في أسوأ الكوابيس ثم وراءها، ظهر جيش من الفينترин بحركاتهم المنسقة، أصوات دروعهم المعدنية تصادم وتخلق جلبة تجعل القلوب ترتجف. كانوا يتقدمون في صفوف متراصة، وقد تجمدت على شفاههم ابتسامة باردة لا تحمل في طياتها أي شفقة. كانوا عازمين على الهجوم، مدفوعين بولائهم لملكة الشر.

وفي قلب الصحراء، انتشر صدى كلمة "اهجموا!" التي أطلقها "أفيارا" كالصاعقة انتفضت الجيشه وانطلقوا في هجومٍ مروع نحو المجموعة المكونة من ستة أفراد، بجانب التنين العظيم شكل.

جيشه "الفينترین" يتقدم بخطوات مدوية، أقدامهم تندفع على الرمال يرفعون أسلحتهم في تناغمٍ أما الوحش التي خرجت من ظل أفيارا كانت مخلوقات مشوهة ذات قشور دموية، وأجنحة عملاقة تطوف فوق رؤوسهم، متلائمة بالشر،

ثم صرخت أفيارا بصوتٍ أجوف :

لقد أتيتم لتحدي ملكة الفينترین؟ لكن لن تجدوا سوى الهلاك وبإشاره من عصاها السحرية، اندفع جيشه، محيطاً المجموعة من كل جانب. أخرج مصطفى سيف البرق كل من يتلقى ضربة منه يحترق إلى رماد، مشهدٌ يشبه فجر نهاية العالم. في تلك اللحظة، ارتفعت "شکال" وملائ صدرها برائحة الغضب، ثم بدأت في نفث البركان. اندلعت النيران في الجو، تاركةً آثاراً مشتعلة خلفها، مما تسبب في احتراق المئات من الجنود المتقدمين نحوهم ثم تحلق في السماء، تلتقط الجنود وتتقى بهم إلى الأرض، حيث تنكسر عظامهم بمدى عنيف.

زيдан كان في حالة سُكر من القوة، يطلق السهام بتتابعٍ مهول، كل سهمٍ يخرج من قوسه كان ينهي حياة في لمح البصر والجثث تسقط

حوله كالأوراق في الخريف. "حمزة" بسيفه الفتاك كان يقاوم السيل الجارف من الوحوش، يمزق الأجساد بلمساتٍ حادة، محوّلاً دماءهم إلى بحيراتٍ من الرعب.

"هاتور" تتقاذف في السماء كقيمة قاتمة، تحارب الوحوش الطائرة التي حاولت الانقضاض على المجموعة. في خضم الفوضى، كانت عيون "أفيارا" تتلألأ بالشر، تراقب عن بعد، ضحكتها الخبيثة تملأ الأجواء كأنها موسيقى .

أما "تبار" و"طائع"، فقد اتحدا، يتحكمان في الأعاصير التي تشق عنان السماء، يتلاعبان بقوة العناصر لإرباك الأعداء، رياح عاتية كانت تضرب في وجوه الفينترین والوحوش، يجعلهم يتعرّدون في خطواتهم، بينما الجيوش تزداد عدداً، تملؤهم عاصفة من الذعر.

وفي خضم المعركة لمح تبار "موكندرا" قائد جيش الفينترین الرياح تعصف من حوله، مُستدعي قوة من الأعاصير التي أطلقها تجاهه اقترب منه .

موكندرا بغضب:

تبار لماذا تفعل ذلك؟ لماذا تخون شعبك وتدافع عن أعدائنا؟

تبار:

أنا لا أخون شعبي بل أقاتل من أجل حريةهم أفيارا ليست ملكتك، بل
وحش يتغذى على آلامنا.

توقف "موكندرا" للحظة، محاولاً استيعاب كلمات تبار كأن ذكرياته عن
ماضٍ مشترك تجذبه، لكن الغضب كان يعميه.

موكندرا:

لا تجرؤ على أن تتحدث عنها بهذا الشكل! هي التي منحتنا القوة،
وهي التي تقادنا إلى النصر!

تبار:

نصر؟ أي نصر تتحدث عنه ألم ترى الدمار الذي خلفته خلفها كم من
الأرواح أزهقت بسببها؟

هز موكندرا رأسه، وكأن أفكاره تمزقت بين ولائه لملكته والواقع
القاسي الذي يعيشه ولكنه تابع:

لقد نذرت ولائي لأفيارا،وها أنا هنا أدفع عن بلدي ولا يمكنك أن
تقنعني بأن أرتد عن حلفي."

تبار:

أفيارا ليست بلدنا إنها جحيم يلتهم شعبنا! انظر حولك، ماذًا ترى؟
جيوش من الهاك خرجوا من ظلها هل هي بحاجة إلى الفنترين حتى
تعرضكم للخطر لماذا لا تكتفي بتلك الوحش ماذا تريد أن ترى أكثر؟

موكاندرا:

لا يمكنك أن تأخذني بعيدًا عن مملكتي، ساقطع لسانك ياتبار إن
واصلت التشكيك في ولاني.

تبار:

أما أنا فلست هنا لأقطع السنتكم، بل لأعيد الأمل إلى شعبنا. حان
الوقت لتدرك أن أفيارا ليست من تصنع المجد، بل أنت من تصنعون
مصيركم.

اندفع موكاندرا نحو تبار، وضربه بعنف حتى أسقطه على الأرض ثم
رفع سيفه عازمًا على طعنه، لكن تبار نظر إليه وقال:

لقد فزنا بالمسابقة استسلم لنا التنين.

ابتسם موكاندرا ابتسامة متربدة، ثم مد يده ليساعده على النهوض،
و قال :

لماذا لم تخبرني بذلك منذ البداية بدل تلك المحاضرة؟؟؟

رفع تبار عينيه وقال ببطء:

ألم ترَ التنين يقاتل معنا؟ ماذا كان باستطاعتي أن أقول غير ما تراه
بعينيك؟ .

تنهد موكاندرا :

آسف، يا صديقي لم أكن أرى الصورة كاملة.

ثم رفع راية الاستسلام، ونادى بصوتٍ عالٍ، مشيرًا نحو أفيارا:
لقد فازوا بالمسابقة وبحق العهد الذي وضعته أفيارا، أصبحوا محميين،
ويحق لهم أن يطلبوا ما يشاؤون.

طارت أفيارا بغضبها المكبوت، واقتربت من موكاندرا، وقالت بحدة:
حتى أنت تتقول هذا؟

نظر إليها بنظرة رجاء، وقال بتواضع :

أعتذر يا مولاتي لكن... تلك هي القوانين التي وضعتها أنتِ ولن
يخالفها أحد حتى أنتِ.

شهقت بغضبٍ يمزق الروح، وصاحت بصوتٍ مرعب:
يا وحوشي، اقتلواهم جميًعا!

اندفع جيش الفينترين متحداً معاهم ضد جيش الوحوش، في معركة مرعبة لم يعرف أحدٌ لها مثيلاً. كانت الأرض ترتجف تحت وقع أقدامهم، وزئير الوحوش يختلط بصيحات التحدي، وبعد ساعات استمرت فيها الحرب. فُهِرت الوحوش وسقطت واحدة تلو الأخرى، بينما سقطت أفيارا على الأرض، متعبأً ومنكسرة، وهي تعود إلى شكلها الطبيعي. مدت يدها على بتعب وقالت بصوتٍ منخفض:

لقد استسلمت... سأحقق ما تريدون.....

بعد ساعات تجمّع شعب فينتيريا، يملأهم الترقب، ووقفت أفيارا بين الحشد، وصوتها متحسّر و هي تقول:

يا شعبي العزيز هؤلاء هم من فازوا بالمسابقة ولهم الآن الحق في طلب أي مطلب.

تعالى الهاتف والتصفيق، وكأنهم ينتظرون لحظة الفرح هذه، ولكن عندما رفع تبار يده، خيم صمتٌ ثقيل على الحشد كان صوته جافاً، مختلفاً بالعاطفة وهو يقول:

ما أريده الآن... وما أطلب به بحق العهد... هو عرش فينتيريا.

ساد ذهولٌ مميت بين الجميع، وكأنهم لا يصدقون ما سمعوه، حتى بدت على وجهه أفياراً بتسامة غامضة، مليئة بالألم والهزيمة وقالت بهدوءٍ:

أشبه بالاستسلام:

أنا... موافقة.

صعق الجميع برذها، وتعالى التصريح غير المتوقع، بينما خلعت أفياراً تاجها بهدوءٍ، كأنها تخلع جزءاً من روحها، ثم نظرت إلى أحد الوصيفات فأحضرت لها تاج الملك. اقتربت من تبار ببطءٍ، وكان هو ينظر إليها بتسامة مريرة، وقال لها بصوتٍ يغلب عليه الحزن:

حتى لو فعلت هذا، لن أسامحك على قتل هند.

وضعت التاج على رأسه بيدٍ مرتجفة، تقدم بخطوات ثقيلة نحو شعبه، يحييهم وسط هتافاتهم المتصاعدة. في تلك اللحظة، ظهر نبار أخيه من بين الحشود، يصفق ويهلل، وعيناه تلمعان بفخرٍ ودموع.

لكن قبل أن يلتقط الشعب أنفاسه، اقتربت أفياراً من خلف تبار، وكأنها تطارده كظلٍ لا يفارقها، كانت تحبئ خجراً لاماً في طيات ثوبها. همست بصوتٍ أشبه باللعنة:

إذا لم أستطع الحصول عليك، فلن أترك أحداً يحصل عليك. رفعت الخجر بحركة خاطفة وذبّته بخفةٍ متناهية، فافتتحت شرائينه كسيلٍ من الدم، تغرق رداءه الملكي.

صاح نبار من أعماقه بصوتٍ مختنق: أخي. ثم شقَّ طريقه بين الحشود، يدفع كل من يعترض طريقه حتى وصل إلى تبار، ولتفظه من بين الدماء، يمسكه بقوة ويصرخ بمرارة، وكان الكون قد انقسم بين يديه:

لماذا يا أخي؟ لقد كنت لي كل شيء... أمي وأبي وسندِي ماذا سأفعل الآن؟

في تلك اللحظة، انقضت هاتور على أفيارا من الخلف، سحبت سيفاً من أحد الجنود، وطعنتها بقوة، فخرج السيف من الجانب الآخر من جسدها الهش، الذي تهالك على الأرض بجوار جسد تبار، رفعت أفيارا نظراتها المتلاشية إلى تبار، همست بصوتٍ خافت: لم أقتل هند ولم أمر بقتلها أردت فقط أن تذوق الألم كما ذقته... والآن... على الأقل... سنموت معاً. ثم سقطت مبتسمة ابتسامةٍ خافتة اختلط فيها الحزن بالرضا الأخير.

تحول حفل التتويج إلى مأساةٍ كبرى، والمكان يعمه الحزن والصمت القاتل. جثا طائع على ركبتيه بجانب جسد تبار، وقد ملأته الدموع وهو يقول:

أخيراً يا تبار تحققت أمنياتك... جمعتكم السماء مع هند، فلتكن في سلام
يا صديقي.

مر أسبوع على وفاة تبار، وقد اجتمعت شحال بصغرها في مشهد يحمل العاطفة والألفة وأقيم حفل التتويج للملك الجديد. تقدم رجل مسن يظهر عليه الحكمة والحزن معاً، ورفع التاج، ثم وضعه على رأس طائع، قائلاً بصوٍ متشرج:

باسم العهد وبحق ما هو مقدس، أمنحك لقب ملك فينتيريا.

ارتفعت هتافات الجمهور بالتصفيق، لكن طائع ونبيار كانا يقان بجوار بعضهما، يحيطهما الحزن، يتبادلان نظرات محملة بألم لا يزول. نزل طائع من على عرشه بعد لحظات، ونظر إلى مصطفى وقال:

حان الوقت لرحيلكم إلى العالم الرابع... سأشتاق لكم جميعاً فلقد علمتمونا أن الظلم لا يزول بالصمت، وأن الحق يحتاج لشجاعة المطالبة.

احتضن مصطفى طائع، ودموعهما تتتساقط بصمت، وقال بصوٍ يختلط فيه الوداع بالأمل:

وأنتم علمتمونا أن التضحية ليست كلمات بل أفعال تتخلد في الذاكرة...
لن ننسى تبار وسيبقى في قلوبنا للأبد.

تقدمت هاتور نحو نبار:

أعذر، لم أستطع الوفاء بوعدي بالحفظ على حياة تبار.

أجابها نبار بنبرة مملوءة بالحزن وهو ينظر إلى الأفق:

اختار أخي طريقه، وما اختاره يعفيك من أي وعد.

رفع طانع عصا أفيارا، فظهر بباب من العدم، ثم فتح الصندوق الذي يحمله، وأخرج منه مفتاحاً وضعه في الباب. ثم اعطي هاتور ورقه تحمل كلمة السر فقالت «ليس كل أعمى لا يرى، وليس كل بصير يملك البصيرة. استشف الأمور من أعماقها، فالبصيرة تكمن خلف كل ظاهر.».

تحرك المفتاح وحده ثم انفتح باب العالم الرابع، ووقف الأصدقاء بدموعهم وذكرياتهم الثقيلة، ينظرون نحو المستقبل المجهول، تاركين خلفهم مأساة محفورة في قلوبهم، وألمًا خالدًا لا ينسى.

الفصل العشرون: "صرخة الكوكب الخامس"

بعدما عبروا البوابة التي ألقى بهاهم في هذا العالم المهجور، وجدوا أنفسهم جالسين على أرضٍ قاحلة، يحدّقون في بعضهم البعض بصمت

ثقيل، وكأن أرواحهم تستعد لمواجهة شيء أكبر مما تخيلوه. نهضت هاتور بعد لحظة من التأمل وقالت بصوتٍ يشوبه الحنين والدهشة:

ـ أنا أعرف هذا المكان جيداً... أبي أحضرني هنا عندما كنت طفلة.
ـ لكن... كيف أصبح هكذا؟

رفع زيدان رأسه نحوها وقال:

ـ أين نحن؟

أجبت هاتور وهي تمسح بيدها على الرمال الحمراء الكثيفة:

ـ نحن على أرض المريخ.

ـ كيف وكيف نتنفس هنا؟؟؟

ـ مريخ عالم الجن فعالكم لدinya عالم مثله موازي فتنفس عندنا مسموح
وموجود حتى لو على المريخ.

تأملوا المشهد من حولهم، ليجدوا أنفسهم في مكان يبدو وكأنه مجرد بقايا لمملكة كانت تعج بالحياة يوماً ما، لكنها الآن خرائب مدمرة وسط عالم مغلف بالحزن والوحشة. كانت هناك مدن كاملة شُيدت في قلب أشجار عملاقة حُفرت في جذوعها الغليظة بيوت ومباني. لكن تلك البيوت الشجرية لم تعد كما كانت؛ أغلب الأشجار قد جفت، وبدت

أغصانها الطويلة كأنها أذرع ميتة تمتد عبثاً في الهواء، بينما تتدلى الأوراق الباهنة، مثل جلود متآكلة أكلها الزمن.

بعض البيوت المعلقة في الأغصان انهارت بالكامل، تاركة بقایاها معلقة في الهواء كأرواح تائهة، وبعض النوافذ المتكسرة تلوح على ظلام دامس، وأبوابها الخشبية تهتز مع الرياح كأنها تصرخ بالآلام الماضي.

قالت هاتور، وقد فاضت عينها بالدهشة:

لم يكن المكان هكذا... لا أصدق ما أراه هذه مدن شعب أوريانث، كانت تزدهر بين الأغصان وتنبض بالحياة شيء ما حدث هنا... لا بد أن أعرف ما الذي جرى

تساءل مصطفى بفضول:

أوريانث؟ من هم؟

كانوا يعيشون بين هذه الأشجار العملاقة، متناغمين مع الطبيعة، يحلقون بين الأغصان لكن... الآن لا أرى سوى صمتٍ موحش... كان أصواتهم خدمت إلى الأبد.

حمسة، وهو يحدّق في الظلال قال بصوت خافت:

ماذا ان نجد أحداً نسألة عن ما حدث.

أحابات هاتور :

أعرف من نذهب إليه... الحكيم برديس صديق والدي.

تبعوا هاتور يتقدمون بحذر وسط أنقاض الغابة الجافة، وعندما حل الليل اكتملت الرهبة النجوم في السماء بدت كأنها نقاط باهتة، بينما القمران "فوبوس" و"ديموس" يمران كالظلال الداكنة، يزيدان من وطأة السكون المهيّب. لم يكن لديهم سوى أصوات الرياح الخافقة التي تنساب بين الأنقاض.

مع كل خطوة يخطونها، كان صوت أنين عميق يرتفع من باطن الأرض، كأنه حنين مكتوم، أو شكوى يائسة. الريح تحرك الرمال والغبار الأحمر، لتخلق دوامات من الظلال التي تلتف حولهم فتشه أشباح هائمة تبحث عن ملاذ ضائع.

أوقفتهم هاتور عند منطقة محددة، جثت على ركبتيها وأزالت الرمال التي تغطي حبراً منحوتاً وسط التربة، لتكشف عن بوابة مخفية رفعت الحجر كاشفة عن ممر ضيق يقود إلى أعماق الأرض.

عندما نزلوا، وجدوا أنفسهم في مخبأ قديم غامض، ضيق ومعتم، لكنه منظم بطريقة رتيبة كانت الجدران مبطنة بألواح خشبية منحوتة تأكلت بفعل الزمن. في أحد الجوانب كانت هناك رفوف مملوقة بأدوات غريبة وأعشاب جافة وأحجار كريمة وضعـت بعناية، بينما في زاوية

الغرفة، كان هناك طاولة صغيرة، يغطيها غبار كثيف، تعلوها مصابيح زيتية صامتة تنتظر من يشعلها.

الجدران كانت مغطاة بنقوش معقدة تتحدث عن أسرار الأزمان، وعن حكماء سبقوا برديس في هذه الأرض. على الأرضية رسمت دائرة رمزية بيد خبيرة، يبدو أنها كانت تستخدم للطقوس السرية أو للتواصل مع قوى بعيدة. المكان صغير، لكنه مشبع بالرهبة والغموض، كأنه خزانة أسرار قديمة تهمس بأحاجي مفقودة.

نظر زيدان حوله بدهشة وقال:

أين جنتِ بنا يا هاتور؟ المكان يبدو كأنه مخبأ سري، مليء بالأسرار.

هاتور :

هذا هو مخبأ الحكيم برديس، صديق والدي... كنت أتمنى زيارته منذ زمن طويل لأخبره بما حدث معى.

قال مصطفى وهو ينظر حوله:

لكن، أين هو؟ يبدو أن المكان خالٍ.

ردت هاتور :

سنتظر حتى يأتي هذا المكان مقدس له، ولا بد أنه سيعود قريباً.

أخذ الجميع يفتشون بين أغراض الحكيم باندفاع، كأنهم يبحثون عن أي شيء قد يساعدتهم في مهمتهم أو يكشف لهم عن طبيعة الأسرار التي يخبيها. كانت هناك مخطوطات قديمة، خرائط مرسومة بألوان زاهية، وبعض الأدوات التي يبدو عليها القدم.

لكن هاتور، وقد ضاق صدرها من تصرفاتهم، قالت بصوت صارم:
_ اجلسوا مكانكم حتى يأتي هو بنفسه. الحكيم لا يحب هذا الأسلوب من التطفل على أغراضه، علينا أن نحترم مكانته.

نظر إليها مصطفى وقال متشكّلاً:

وكيف تعرفين أنه ما زال حياً؟ قد يكون غادر أو اختفى منذ زمن بعيد.

ردت هاتور بثقة ثابتة:

_ أنا أعرف ذلك يقيناً، أحس به في قلبي كما أنتي أعلم كيف تتميز شخصيتها... لن يتخلّى عن مكانه هنا.

جلس الجميع في انتظار وصول برديس، وبينما كانت الدقائق تمضي ببطء، تنهد زيدان وقال بمرح:

لما لا نلعب لعبة الأمثال لقتل الملل؟

نظر إليه حمزة بابتسامة متهكمة وقال:

يالك من طفل، هل لازلنا صغاراً للعب مثل هذه الألعاب؟

أجاب زيدان بإصرار مشaks:

نعم، وسنظل صغاراً ومن قال إنني كبرت؟ سأظل ألعب لأنني لو لم أفعل شيئاً الآن سأموت من الملل.

ضحك مصطفى وأومأ ساخراً:

حسناً، فلنلعب إذن.

نظرت هاتور إليهم مستغربة وسألت: ماذا ستفعلون؟

أوضح حمزة :

اللعبة بسيطة تقولين جزءاً من مثل معروف، ومن يكمل الجزء الآخر أسرع يكون الفائز.

ابتسم زيدان بسخرية وقال:

أراك لم تنس اللعبة، لنرى من منا الطفل الآن:

أخذ نفساً عميقاً وبدأ:

اترك يدي قبل...

أجاب حمزة سريعاً:

أن أطلق لساني.

ضحك الجميع وضرب زيدان بيده على كتف حمزة قائلاً:

أحسنت إليكم مثل آخر:

رأيتكم في أوسطهم...

رد مصطفى دون تردد:

فخشيتكم تتبعهم.

لوح حمزة بيده وقال بابتسامة عريضة:

أراك تنسجم معنا يا مصطفى.

ثم قال حمزة بنبرة جادة : سأقول مثلًا آخر:

لا يعكر صفو الزريبة...

أجاب زيدان وهو يضحك:

إلا البهيمة الجديدة.

ضحكت هاتور وقالت باستغراب:

لا أفهم شيئاً من أمثالكم ! هل سأظل فقط أشاهدكم دون أن أشارك؟

نظر زيدان نحوها بابتسامة ماكرة وقال:

حسناً إليك مثلاً خاصاً لنرى كيف تجيبين عليه... رأيتك في أحلامي...

أجبت هاتور وهي تبتسم بخجل:

علمتك هناك قبل أن تلقاني.

أكمل زيدان بهمس:

خشيت أن تتركيني...

أجبت بحنان هادئ:

ومن يترك حلماً جمعني قبل أن تأتيني؟

نظر مصطفى إليهما بامتعاض وقال بنبرة ساخرة:

كفاكم من هذا الكلام! لا وقت للحب ولا وقت للألعاب سأذهب لأنام حتى يأتي هذا برديس الذي تنتظرونـه.

أومأ حمزة مؤيداً وقال:

نعم هذا هو عين الصواب. لنتم حتى نستطيع أن نواصل.

تمدد كل منهم في مكانه. توجهت هاتور مبتعدة قليلاً، قبل أن تستلقي على الأرض، نظرت نحو زيدان من بعيد وابتسمت بلطف، ثم أغمضت عينيها، مستسلمةً للسكينة التي طفت على المكان

غط الجميع في نوم عميق، مرت الساعات كأنها غمضة عين، حتى بدأ زيدان يتحرك بتواتر في نومه، يتصلب عرقاً ويتمتم بصوت ضعيف: _اتركيني... لا، لا تتركني! وفجأة، صرخ بقوة اهتزت لها جدران المكان، لتصيب رفاقه بالذعر ويستفيقوا في الحال.

تقدّم مصطفى نحوه بقلق قائلًا:

ما الأمر يا زيدان؟ هل رأيت كابوساً؟

أخذ زيدان نفساً عميقاً، عينيه مليئة بالرعب وقال:

لقد رأيتها... كانت تنادياني، تقول لي لا تنسَ أنتي ناديتَك، لن أتركك
مهما حدث، وكأن صوتها عالق في ذهني، يلف حولي كالأسرار التي
ترفض أن تترك نفسها.

سؤال مصطفى: من هي؟؟؟

النداهة!

ابتسم حمزة محاولةً تهدئته وقال بنبرة مطمئنة:

مجرد حلم يا زيدان، لا شيء سيصل إلينا هنا نحن أقوى من أي شيء
 كان يخيفك سابقاً. عد إلى النوم لن يحدث شيء.

أو ما مصطفى قائلًا:

حمزة على حق، لا تخف استرح فتحن بأمان.

نظر زيدان إليهم متربداً، لكنه تنفس بعمق محاولاً تهدئة نفسه، وغرس
 مجدداً في محاولة العودة إلى النوم ولكن عينه وقعت على هاتور التي
 كانت في زاوية بعيدة تغط في نوم عميق، لم تصلها أية أصوات أو
 اضطرابات.

لكنهم ما لبثوا في نومهم إلا قليلاً حتى اخترق الهدوء صوت غريب
 وقفوا بسرعة، ليجدوا أمامهم رجلاً طويلاً القامة، بشرته برتقالية
 بلمعان مهيب مقتول العضلات، يعلوه وقار لا يُخطئه نظر. كان يرتدي
 ثياباً داكنة محلة برموز سحرية ، ويعتمد على عصا خشبية ضخمة،
 نقر بها الأرض فشعر الجميع بذبذبة عميقة في المكان.

نظر إليهم الرجل نظرة ثاقبة وقال بصوت قوي:

من أنتم؟ وجوهكم لا تشبه وجوه سكان أوريانت.

تقدمت هاتور :

لا تذكري يا حكيم؟

نظر إليها الرجل بتمعن، وتردد في ملامحها ثم قال:

هناك شيء مألف... لكن من تكونين؟

أجبت بصوت هادئ:

أنا هاتور ابنة تهان.

أشرق وجهه بابتسامة خفيفة وقال:

هاتور ابنة تهان؟ لم أرك منذ أن كنت طفلاً تبلغين الخمسين عاماً
قد كبرت وازدادت ملامحك نضجاً أخبريني ماذا جاء بك إلى هنا؟

هاتور، :

أتينا طلباً لمساعدتك. أبي لم يعد هو نفسه، فقد سيطرت عليه أمري
شرمizza، ودفعت به إلى نفيي خارج المملكة أحتاج إلى مساعدتك.

وقف برديس مصعوقاً من الصدمة وقال:

شرمizza سيطرت على تهان؟ كان صديقاً عزيزاً، لم أظن يوماً أن
الأمور ستصل إلى هذا الحد أخبريني ماذا جرى؟

بدأت هاتور تروي له كل ما حدث، بما في ذلك أحوال رفاقها وما مرروا
به في رحلتهم. أنهت قصتها بصوت ملؤه الألم.

عندما انتهت من السرد، صمت برديس للحظة ثم قال بصوت جاد: إذن تودون الوصول إلى العالم الخامس، لو كانت الأمور كما كانت لساعدتكم ببساطة، لكن الوضع في أوريانث تغير كثيراً، لم يعد الحكم كما كان في السابق، وأنا لم أعد كبير الحكماء كما كنت.

قالت هاتور:

لقد لاحظت الخراب المحيط بالمكان، ثم ارددت سائلة بقلق:

ما الذي حدث هنا؟ كانت أوريانث تزدهر بالحياة، لم تكن المدن مهجورة ولا القرى خالية.

أغمض برديس عينيه وتنهد قائلاً:

سأروي لكم القصة، قصة سقوط أوريانث.

في زمن بعيد، كانت أوريانث أرضاً يعمها السلام، حيث عاش سكانها بتناجم تام مع الطبيعة، متصلين بقوة تُعرف بـ سحر الحياة. كان هذا السحر ينبع من عمق الأرض، متدافعاً عبر أنهار وبحيرات، يجعل أراضيهم خصبة وشعبهم في ازدهار. كانت مدنهم مصنوعة من أشجار

حية تدعى "الأيورا" أشجار تنمو مع شعبها، تتنفس معهم، وتحميهم. وكان مجلس الحكماء، بقيادة يحرص على نشر السلام والمحبة، ويعقد طقوساً سنوية تدعى "أشودة الحياة"، حيث يجتمع الشعب تحت السماء ليتعاهدوا مع الطبيعة، ويتجدد السحر في أرضهم.

لكن وسط هذا النعيم، ولد شاب يُدعى "سيرال" أعمى بجسد ضعيف وروح تحمل حقداً دفينًا. كانت عزاته تزيد من كراهيته لكل من حوله، وتحولت حياته إلى رحلة يأس وألم.

في إحدى الليالي المظلمة، وجد سيرال نفسه أمام كهف قديم في جبال "أركانوس". في أعماق هذا الكهف وجد قطعة أثرية تعرف بـ خاتم اليأس كان هذا الخاتم محاطاً بأساطير عن قوته الملعونة يقال إنه يمنحك من يرتديه قوة رهيبة لكنها تتغذى على مشاعر الكراهة واليأس.

عندما وضع سيرال الخاتم، تدفقت فيه طاقة مظلمة منحته "د بصيرة مظلمة تمكّنه من رؤية مخاوف الناس واستغلالها. بدأ يستغل هذه القوة لزرع الخوف والرعب في قلوب أهل أوريانت، ببطء ودون أن يكتشف.

استغل سيرال سحر الخاتم ليجفف بحيرات أوريانت ويدبّل أشجار الأيورا. أصبحت الأرض جافة، والنباتات ذاتلة، وأعلن نفسه سيداً على أوريانت، وأحكم قبضته بالقوانين التالية:

مسيرة الخضوع التي يجبر الشعب كل ليلة على السير كالأشباح في طابور طويل، يرددون أدعية يائسة تعكس مدى استسلامهم لسيطرته.

وطعام الرماد لقد فرض عليهم تناول الطعام الذي احترق وأصبح رماداً، كرمز لخضوعهم المطلق، ومن يرفض يعتبر خانياً يُعاقب بشدة.

علامة اليأس. وشم سحري غرسه في أجساد الجميع، يرتبط بخاتمه، ويزداد توهجاً كلما زاد خضوعهم، حتى أصبح رمزاً يميز كل فرد ويكشف عن مدى استسلامه.

العمى المقدس. أوهم بعضاً من شعبه بأن العمى هو طريق الحكم والصفاء، وبأنهم لن يحتاجوا أعينهم كما هو يفعل فبدأت مجموعة منهم بانتزاع أعينهم بإرادتهم، ليصبحوا "مقدسين" في نظره وتتعزز سلطته عليهم.

قفزة الظلام. كل عام يُجبر الجميع على أداء طقوس قفزة الظلام من على جرف شاهق، يُعتبر فيها من ينجو خاصاً قوياً، ومن يسقط خانياً يلقى مصيره المحتوم.

احتفال النار السوداء. يقام سنوياً يُطلب فيه من كل فرد أن يقدم أعمق أسراره أو أثمن ما يملكه كقربان للخاتم، في طقوس تزيد من قوة سيرال.

رغم هذا الظلام، لم يفقد كل الشعب الأمل بعض الحكماء نجوا من ليلة الهاك، وأصبحوا يعرفون باسم حراس النور يعيشون في الخفاء، يبحثون عن طريقة لتحطيم قوة خاتم اليأس، وإعادة سحر الحياة إلى أوريانت، حاملين في قلوبهم الأمل إلى يوم يتحرر فيه الجميع من سيطرة سيرال.

الفصل الواحد والعشرون: "رحلة في مملكة اوريانت"

جلس زيدان وحمسة ومصطفى في جو يكتنفه الغموض والأسرار يستمعون إلى الحكيم برديس ولكنهم كانوا جائعين ومتعبين تتعالى في أعماقهم رغبة في الطعام والراحة. برديس، الذي كان يراقبهم بهدوء، أدرك بعيونه المتقدة أنهم ليسوا فقط بحاجة إلى الطعام، بل إلى شيء أعمق - غذاء للروح يحيي الذكريات ويبعث فيها حياة جديدة.

ابتسم برديس ابتسامة خفية وقال بصوت منخفض:

أرى في أعينكم أكثر من الجوع، هناك رغبات قديمة، ذكريات تبحث عن ملجاً هل ترغبون بتذوق ما فقدتموه؟

ضحك زيدان وقال هل ماؤقد يأتي وايضاً يأكل.

برديس :

الطعام الذي يعده من نحب، ريحته وطعمه يعيدان لنا ذكريات وأشياء فقدناها. هناك من يأكل فقط ليسد جوعه، وهناك من يأكل ليعيش، وهناك من لا تكفيه ملأ بطنه بل يسعى للمزيد. ولكن هناك من يأكل ليس فقط ليشبع جسده، بل ليبحث عن ريح شخص أحبه في كل لقمة يتذوقها، كأنها تذكره بلحظات كان فيها مع من يحب.

ابتسم برديس بحزن وهو يضيف:

الطعام في بعض الأحيان يكون أكثر من مجرد وقود للجسد. هو طقوس حنين، ومفتاح لذكريات فقدناها في زحمة الأيام إنه جسر بين الماضي والحاضر، في كل قضمة نبحث عن شيء غائب عنا، عن شخص، عن مكان، عن لحظة.

نظر زيدان بحيرة إلى برديس، وتردد للحظات قبل أن يقول:

نعم اشتقت لطعم والدتي، كان له طعم خاص.

تنهى برديس قليلاً قبل أن يتجه إلى الرفوف القديمة في زاوية الغرفة، حيث كانت توجد مجموعة من الأواني السحرية المغلقة بإحكام. همس

برديس بعض الكلمات الغامضة، ثم وضع يده فوق أحد الأوعية بحذر.
لكن فجأة، ظهر بريق غريب من الأوعية، وكأنها ترفض الانفتاح.

تراجع برديس قليلاً وقال:

يبدو أن الأوعية ترفض فتح نفسها بسهولة إنها تحمي ما بداخلها
حتى يكون من يطلبها صادقاً ومستعداً للتضحية بجزء من روحه عليكم
أن طلبوها بصدق وبقلب نقى.

شعر الأصدقاء بالدهشة والترقب وأخذ كل منهم لحظة للتفكير. بدأ زيدان
أولاً، بصوت يملؤه الحنين قائلاً:

أتمنى لو أستطيع تذوق فطير والدتي بالجبن، كانت تعدد لي بحب.

نظر برديس إليه نظرة عميقـة، ثم همس بعض الكلمات، ورفع الغطاء
عن الوعاء ببطء فجأة انتشرت رائحة الفطير الساخن، وملأت الغرفة
برائحة تحمل زيدان إلى أيام طفولته تلمس قلبه كما لو أن والدته قد
عادت، وتعد له الفطير بيديها.

ثم جاء دور حمزة، الذي نظر إلى برديس :

أشتاق للطعمية والرائق اللذان كانت تحضرهما أمي صباحاً .

همس برديس مرة أخرى، وفتح وعاء آخر، ليخرج منه عبق الريف
ونكهة الطعمية الطازجة، وكأنها قد حضرت الآن خصيصاً من أجله.

كان حمزة يتنفس بعمق، وكان كل شهيق يعيده إلى ذلك الصباح الهدى بجانب أمه.

وأخيراً، جاء دور مصطفى الذي همس بصوت متهدج:

أريد الرز باللبن الذي كانت ابنتي بثينة تحبه، كنت أشعر بالفرح فقط لرؤيتها تستمتع به.

توقف برديس للحظة، وأغمض عينيه. همس كلمات خاصة، ورفع الغطاء عن الوعاء الأخير. رائحة الرز باللبن المختلطة بالعسل والقرفة كانت تملأ المكان، لكنها أحضرت معها موجة من الذكريات المؤلمة لمصطفى. تذكر لحظات السعادة، وتذكر الضحكة التي كان يستمتع بها، تلك التي لم يعد يسمعها.

نظر برديس إلى الأصدقاء الثلاثة وقال بلطف:

هذه الأطعمة هي تذكار من قلوبكم، لكنها أيضاً تذكير بأن الذكريات تبقى جزءاً منا، جزءاً نحمله معنا في قلوبنا أينما ذهبنا. الطعام هنا ليس مجرد طعام، بل هو جزء من أرواحكم، وعزاء لما فقدتم.

كانوا تناولون طعامهم، كل منهم غارق في ذكرياته، بينما كان برديس يراقبهم، عالماً أن لكل منهم رحلته الخاصة مع الحنين والألم والأمل.

فأسأل مصطفى هاتور بتعجب :

لما لا تأكلني مثنا.

هاتور:

أنا لا أتناول هذا الطعام فطعمامي هو العظام، أنتم لا تدركون شيئاً عن طقوسنا. العظام هي قوت الجن وهي ما يحفظ لنا قوتنا، لا تلك الأطعمة التي تعتقدون أنها تليق بي.

ثم أضافت بهدوءٍ مخيف:

احفظوا هذه القاعدة طعام الجن لا يشبه طعام البشر.

قال حمزة بابتسامة ساخرة:

ولكننا رأيناك تأكلين لحم الغزال في الصحراء، أول يوم التقينا فيه.

ضحك هاتور ضحكة خفيفة، ثم أجبت بلهجة هادئة:

أنا لا أصطاد الغزال من أجل لحمها، بل لأكل عظامها.

نظر زيدان إليها، وهو يحاول أن يفهم مغزى كلامها، ثم سأله بحذر:

ولكننا دخلنا من عدة أبواب، ومررنا على من لا يأكل العظام، ويأكل

مثنا.. كيف تفسرين هذا؟

أحابته هاتور بتأمل:

العوالم التي مرنا بها مختلفة وكل عالم وكل جمّع، لهم طعامهم
الخاص هناك من يأكل طعام البشر وهناك من يأكل العكس فكل مملكة
طقوسها.

تمتم زيدان بصوت خافت ضاحكاً كمن يحدّث نفسه:

أحببُها رغم كل شيء! تجاوزت الخمسين من عمرها وتأكل العظام؟
يا للعجب!

ثم أكمل صحته المكتومة بشيءٍ من السخرية المشووبة بالخوف:

أكاد أخشى أنني إن مت قبلها، لن تجد ما يكفيها من العظام سوى
عظمي لتنقتات عليها بدلاً من دفنهما.

رفعت هاتور نظرها إليه:

هل تقول شيئاً يا زيدان؟ أخشى أن يكون هناك ما لا يعجبك.

ابتسم زيدان ابتسامة سريعة محاولاً إخفاء ما في نفسه، ثم قال بهدوءٍ
محاولاً التخفيف من حدة الموقف:

لا ياعزيزي، لا يوجد شيء مجرد أفكار تافهة لا تستحق الذكر.

ثم أردد بصوت منخفض:

أنتِ لا تعرفين كيف تثيرين في القلق أحياناً.

نظر مصطفى الحكيم إلى بردليس بتفكير عميق، ثم رفع عينيه إليه وسأله بلهجة جادة:

ماذا نفعل الآن؟ نحن جاهزون لكل شيء، مهما كان الثمن.

ثم أضاف بصوتٍ حازم:

كلما طال الانتظار زادت المخاطر لابد من اتخاذ خطوة الآن.

رد الحكيم بردليس :

لقد حاتَت رحلتكم في أرض أوريانث.

ثم بدأ في صعود الأدراج الصغيرة التي تقود إلى الخارج، مغادراً مخبأه سار الجميع خلفه بهدوء وكل منهم يعلم أن هذه اللحظة لا تعني فقط بداية رحلة، بل أيضاً بداية اختبار في أرض غامضة لا يعرفون عنها شيئاً.

عندما خرجموا جميعاً من المخبأ، جعلوا من سطح المريخ مكاناً لراحتهم المؤقتة، رفع برديس عصاه في الهواء، ثم ضرب الأرض بها ثلاث مرات متتالية.

انشطر الصمت فجأة وخرج من بين الصخور صرير خفيف، ثم تبعه صفير ناعم، بالكاد يسمع إلا من كان قريباً جداً.

فجأة ظهر أمامهم كائن عجيب . كان ذلك المخلوق الذي خرج من باطن الأرض المريخية يشبه الأفعى، لكن جسمه ممدود وقوى، ينتقل بحركة لولبية كالتنين.

هو "سيرنوفا"، حيوان مريخي غريب، يمتلك جسداً طويلاً لامعاً بألوان زرقاء فضية تشع من عليها غبار مريخي أحمر كأن يابِ تضيء في ظلام الكون. طوله خمسة أمتار وعرضه متراً ونصف، يمتلك ذيلاً طويلاً شبيهاً بذيل التمساح يساعد في الحفاظ على توازنه أثناء انتلاقه عبر تضاريس المريخ الصخرية.

لم تكن له أرجل تقليدية، بل أطرافه أشبه بالمجاديف التي تساعده على الانزلاق بسرعة على سطح المريخ القاسي هذه الأطراف تتفاعل مع تغيرات الحرارة والمجال المغناطيسي للكوكب، مما أتاح له التنقل بحرية.

أما عينيه فكبيرة ولامعة، بلون ذهبي غامق، مع طبقة شفافة تحميهم من الرياح الرملية القاسية ولكن ما كان يثير الرهبة أكثر هو أن عينيه كانتا تشuan بقوة ضوء أزرق كهربائي، مما يجعله قادرًا على التنقل بسهولة في الظلام الحالك.

سirنوفا أيضًا يمتلك قدرة فريدة على امتصاص الطاقة الحرارية من سطح المريخ وتخزينها داخل جسده، مما يمنحه القدرة على البقاء في بيئه شديدة البرودة. لم يكن هذا الكائن يقتصر على البقاء فقط، بل كان قادرًا على إطلاق الطاقة الحرارية الموجهة عبر أطرافه في شكل طاقة مدمرة، تمكّنه من الحفر في التربة المريخية الصلبة أو حتى استخدامها لمحاجمة أعدائه.

قال برديس:

أترون هذا؟ هذا هو سيرنوفا، رفيقنا الجديد لا تحاولوا الاقتراب دون إدن.

ومع تلك الكلمات، بدأ سيرنوفا يقترب منهم برشاقة، مستعدًا للانطلاق مع الرفاق في هذه الأرض الغريبة.

ركب الجميع فوق ظهره ، ثم انطلق بسرعة رهيبة، بينما كان الهواء يعصف بوجوههم، ليضحكوا في رهبة مع كل خفقة من خفات الرياح.

ومع مرور الوقت، وصلوا إلى مملكة أوريانث.

تجولوا بين الشوارع المغيبة، حيث كان الشعب يسير كأشباح، غارقاً في ليل لا نهاية له. كان سكان المملكة يبدون وكأنهم قد نزع منهم أي شعور بالكرامة، مشهد مرعب من اليأس.

سار سيرنوفا بين الجدران العتيقة بهدوء، كأنه جزء من هذا الظلام. أما الأصدقاء، فقد عيونهم على سكان المملكة الذين يخطون في الطرق بلا روح، وهم يرددون في آن واحد أناشيد اليأس التي تغير المكان وتتنفس في جوه رهبةً غريبةً:

نحن عبيد الرضا، طوع أمر السلطان، لا نملك أبداً ولا طريقاً، إلا ما يرسم لنا من ظلامٍ ونار.

نحن الغبار في ممكته زنعوا ونخبوا برمثة عينيه، لن ثرى ولن نسمع إلا بما يختاره لنا.

أمرنا أن نسير كما تشاء أقدامه، بلا إرادة ولا أمل، فنحن الصدى الذي يعيد صداته، وما نحن إلا عابرو طرق في هواه.

نحن الأصفاد التي وضعها سيدها على يديها، لا نتحرر إلا بفرمان، ولا نحيا إلا برضاه.

لا اسم لنا ولا وجه إلا ما يعطيه الملك، فوجودنا عبءٌ نحمله لأن ذلك ما
أمرنا به.

يقولون إننا نعيش لكننا نعرف أن الموت أرحم فلا حياة لنا إلا تحت ظل
عرشه، ولا كرامة إلا في إذلالنا.

نحن أدواته، خلقنا لكون جزءاً من عظمته، وأمرنا لأن نرى من هذا
العالم إلا سواده.

نحن الساقطون تحت عرشه، نتعلم أن الكرامة ثقل لا يُحمل، وأن الذل
هو ما يبقينا أحياء.

نحن بقایا إرادته، نُسیر بما يشاء، ولا نشهد نوراً إلا إذا مرنا من
ظلامه.

كان الهواء المحيط بهم ثقيلاً، يبعث في النفوس شعوراً بالعجز، كما لو
أن هذه الأشيد كانت قد نحتت في جدران المملكة نفسها.

ضحك زيدان بتعجب، وهو يهز رأسه في استغراب:

ما هذا الذل الذي يرثرون تحته؟ لماذا يردد هؤلاء الحمقى هذه
الكلمات؟

نظر برديس إليه بحزن عميق وقال:

هذه هي مسيرة الخضوع التي فرضها سيرال على أهل أوريانت من يرفضها يقتل ولكن... هناك من أبي أن يفعل ذلك ونحن ذاهبون إليهم الآن.

من هم .. سألت هاتور؟؟

أجاب إنهم حرس النور التي أخبرتك عنهم والباقيون من حكامه أوريانت.

توقف سيرنوفا فجأة زاحفًا بهدوء نحو باب بيته غير مرئي، بدأ يتحسس الأرض بأنفه الكبير كأنه يشم شيئاً في الهواء.

ابتسم برديس قليلاً، وهو يراقب الحيوان ببرضا:

أحسنت، يا حيواني الأليف.

ثم اقترب من سيرنوفا، ليضع رأسه بالقرب من الأذنين الحساسين للकائن المريخي ثم همس بصوت خافت كأنما يتحدث إلى نفسه أكثر لا إلى سيرنوفا وقال:

فردًا أبي الخضوع خير من شعب ذل نفسه.

وفي لحظةٍ غريبة، انفتح الباب فجأة، بصوتٍ منخفضٍ واحدٌ كأنما كان ينتظر هذه اللحظة.

نظرت عيون الأصدقاء إلى الباب الذي بدأ يتسع تدريجياً ثم دلفوا إلى الداخل. بدا المكان وكأنه قطعة معزولة عن الزمن الجدران مصنوعة من حجر داكن اللون، مغطاة بنقوش غريبة تمثل رموزاً قديمة ومغفرة. بعضها متسلسلاً ليروي حكايات أسطورية عن حراس النور الذين حافظوا على الأسرار، وبعضها الآخر مشابكاً ليشكل صوراً غامضة، كأنها تروي تفاصيل عن معارك وحروب سابقة. الجدران ذات سطح مائل في زواياها يشع ضوءاً خافتاً ينبعث من داخلها.

الأرض مغطاة بسجاداتٍ سميكة مصنوعة من الألياف غير معروفة، ذات اللوان داكنة مثل الأسود والبني والرمادي، تعكس الهدوء والغموض الذي يحيط بالمكان. في بعض الأماكن، كانت السجادات

اللائاث بسيطاً ولكنه أنيق للغاية، مصنوعاً من خشبٍ غامق مع تفاصيل دقيقة محفورة فيه. الأرائك طويلة وعميقة، مع وسائد مغطاة بأنسجة من الكتان الفاخر، توحى بالراحة ولكن في ذات الوقت تحفظ الهيبة. بالقرب من الجدران، هناك رفوف حجرية تحتوي على كتبٍ قديمة، وبعض الأواني المعدنية المزخرفة التي تستخدم في الطقوس .

الضوء في المكان محدوداً، ينبعث من مصادر غير مرئية، ربما كانت مصابيح سحرية أو عناصر مدمجة في الجدران نفسها.

في وسط المكان، هناك حوض ماء عميق مصنوع من حجر أسود، تحيط به أزهار غريبة وعشبٌ فضية، تلامس أطرافها الماء الهادئ. سطح الماء يعكس الضوء الخافت الذي يحيط بالمكان، فيظهر وكأنه مرآة تحتوي على نجوم بعيدة. هناك أصوات خفيفة ربما كانت خرير الماء أو همسات غريبة، تتردد في أرجاء المكان، لتضفي على الجو أجواءً غامضة ومثيرة.

في أحد الأركان هناك مدفأة حجرية، تُشعُّ بِواسطة مواد غريبة، تشتعل بشكل بطيء دون لهب حقيقي. الحرير في المدفأة يشع نوراً برتقاليًا دافئاً، وهو يتاثر ليعكس ظللاً طويلاً على الجدران.

الأسطح العلوية تحتوي على أرفف حجرية مع منحوتات قديمة، وقطع سلاح ثقيلة تمثل تماثيل للحراس السابقين، سيفٌ ودرعٌ تلمع في الضوء الضعيف كل شيء هنا يعكس حساً بالصرامة والقداسة

كما تقدموا أكثر داخل هذا المكان الغامض بدأت أن الجدران تأخذهم إلى أعماقٍ أكبر من الظلام حيث الزمان والمكان يتداخلان.

فجأة خرجت امرأة جميلة من الظل، ترتدي ثياباً مبهرة تلتف حول جسدها برشاقة، بينما كان وشاحها الطويل يتطاير خلفها في رقةٍ

غريبة. تقدمت بخطوات واثقة نحو برديس، وعينيها تلمعان بنورٍ
داخلي لا يُخطئه أحد.

أخذت يداه في يديها برقٍ، ثم نظرت إليه بعينين يملؤهما الشوق، وقالت
بصوتٍ دافئٍ :

لقد اشتقت إليك كثيراً، يا أبي.

عاشقها برديس برفق ثم قبل رأسها في لفترة حانية تعكس محبة كبيرة:
أنا من اشتقت إليك، يا هاجر.

ابتسم برديس وقال وهو يشير إلى الأصدقاء الذين وقفوا بجواره:
أنظري يا بنتي على من أحضرتهم معى.

من هم يا أبي؟؟

هؤلاء سيكونون معنا في مواجهة سيرال لديهم قوة وعزيمة مميزة،
سنحتاجها وسط هذا اليأس الذي يسود.

ابتسمت هاجر بلطف ثم أجبت بثقة:

ستسعد الملائكة روزي بقدومكم، وكذلك باقي حراس النور. سيكونون
رفقاء لكم في هذا الطريق.

سألت هاتور:

ملكة... من هي؟

هاجر :

روزي هي زوجة الملك سيرال الأعمى. كان يحبها منذ زمن طويل، وعندما استولى على الحكم، أرغمهَا على الزواج منه، لكنه لم يضع عليها سحر اليأس كما يفعل مع الآخرين، لأن قلبه كان مملوءاً بالحب تجاهها. ومع ذلك هي لم تقبل ظلمه ولا ما يفعله بشعبه لذلك أصبحت فرضاً سرياً من حراس النور الذين يقفون في وجه ويسعون لتحرير الناس من قبضة الظلام.

الفصل الثاني والعشرون: "صدى الحرية"

تلاقت عيون هاجر بلونِ أصفر مبهر وهي تراقب العصفور المريخي البديع الذي حط على كتفها. كان العصفور أشبه بالحرباء، طويل الذيل، يتحول لونه ليندمج مع محیطه، وكأنه سراب منسوج من ألوان السماء والأرض. همست هاجر في أذنِه بكلمات خفية، ثم دست رسالة صغيرة في زيله، اختفت بين ثنياها ريشه وقالت:

اذهب يا نال إلى شرنيس، وأخبره أن أبي برديس قد جاء.

أمسكت بالعصفور وفتحت فتحةً سرية في الجدار، أطلقت منها العصفور الذي حلق عالياً، متلوّناً بلون السماء حتى كاد يتلاشى وسط السحب كطيفٍ هائم.

كانت الأنظار تتبع العصفور بدهشة، تتأمل عظمته وجماله، وتتطايع حولها منبهرة بعظمة مقر حراس النور. التفتت هاجر إلى الصحبة وقالت : يا أبي أخبرهم عن حراس النور وعن التاريخ الذي يحمله المكان.

قال برديس :

كان لنا يوماً احدى عشر من الحكماء وانا منهم كنا نحكم أرض اوريانت، لم يكن حكمنا سلطاناً قاهراً، بل كان مجلساً للشوري، حيث تتلاقى عقولنا وقوتنا لحماية المملكة وتوجيهها نحو الخير. كنا نشرف على كل كبيرة وصغيرة. لكن سيرال الشرير جاء لينشر ظلامه ويكسر النور، ولم يترك في أعقابه سوى الدمار. قتل منا سبعة حراس بلا رحمة قتل كل من مرنيس، فراميس، جاريمس، عرييس، سرميس، أرميس، ونارييس. أما الباقيون فليسوا إلا أنا وثلاثة آخرين، نحمل شعلة الحكمة رغم مرور القرون.

توقف برديس للحظة، ثم تابع :

بقي منا جرميس، شرنيس، وفرحيس. سأحدّثكم عنهم لتعرفوا عليهم وتعرفوا أهميّتهم.

جرميس عمره 900 دورة مريخية أي ما يعادل 6,183 سنة أرضية ويلقب بـ حارس الزمن فلديه القدرة على رؤية الماضي واستلهام الحكمة منه.

شنيس عمره 800 دورة مريخية أي ما يعادل 5,496 سنة أرضية يتمتع ببنية قوية ونظارات حادة، يُعرف بـ حارس العدل إذ يرى الحقائق ويحمي نور الحكمة من أي خطر.

فرحيس عمره 700 دورة مريخية أي ما يعادل 4,809 سنة أرضية وهو الأصغر بيننا، يلقب بـ حارس الأرض ويحافظ على توازن الكون بأسمى صورة، ملتزماً بحماية الطبيعة من الفناء.

نظر زيدان إلى برديس، وابتسم بابتسامة مليئة بالسخرية الطفولية، ثم قال بلهجة فكاهية:

أنت اسمك برديس والحكام ملحيس وفليس ولا كبريس؟ أنا لا أفهم ما تقولون! فكيف أسميت هاجر؟

لم يملك برديس سوى أن يبتسم برقة ثم أجاب:

أنت مشاكس يا زيدان، لكن دعني أخبرك هاجر ولدت في بيئة مليئة بالهجران، حيث لم يكن الفراق غريباً على أهلها كانت تربى بين أماكن متغيرة ووجوه غائبة، وكل شيء حولها كان بعيداً، حتى قلبي كان بعيداً عنها. فاخترت لها اسم 'هاجر' لأنني أردت لها أن تتعود على الهرج، أن تتعلم كيف تعيش مع الغربة، كيف تجد نفسها بين الأمكنة التي لا تملكتها، والقلوب التي لا تظل معها. اسمها كان يعكس البيئة التي نشأت فيها، ولكن في داخلها كان هناك دائمًا أمل في اللقاء، وأمل في العودة.

أضاف برديس بابتسامة هادئة:

كل هجران يعقبه أمل، وكل فراق يولد في القلب حباً أقوى، ولذلك اخترت لها هذا الاسم.

نظر حمزة إلى برديس بنظرة مليئة بالفضول، وتردد للحظة قبل أن يقول بأدب:

اعذرني يا أيها الحكيم، ولكن... ما هو عمرك؟

عمرى يبلغ 950 دورة مريخية، وهذا يعادل أكثر من 6,500 سنة بمقاييس زمانكم الأرضي. عشت أزمنة طويلة، شهدت خلالها قيام وسقوط ممالك، ورأيت أجياً تأتي وتذهب. ومع كل دورة من هذه الدورات، تعلمت درساً جديداً واكتسبت حكمةً أعمق.

ثم أضاف :

لكن يا حمزة لا تقاس الحكمة بعدد السنين إنما هي بما تختزنه الأرواح من معرفة وتجارب، وكل لحظة قد تحمل في طياتها درساً أعمق من عمرِ بأكمله.

نفر زيدان حمزة بكتفه وقال بابتسامة ماكرة:

أين اخفي كلامك عن أن هاتور أنها أكبر من الكون؟ يبدو أن الحكيم برديس سحب البساط من تحت قدميها.

ضحك حمزة محاولاً تبرير نفسه وقال:

أنا لم أقصد حرفيًا أنها أكبر من الكون... ربما أكبر من مجرتنا فقط.

قهقهه زيدان ورد سريعاً:

وأظن بعد قليل ستقول إنها أكبر من حكماء النور.

بعد لحظات انفتح الباب ببطء ودخل حرس النور بوقارهم وهيبتهم، علا صوت برديس بفرحة :

أصدقائي القدامى... اشتقت لكم.

تقدموا نحوه بخطوات مشوبة بالشوق وتعانقوا بقوة وكأنهم يريدون محو آثار القرون التي مرت دون لقاء.

ابتسِم شرنسيس قائلًا:

لم أعتقد أنتي سأعيش لأراك مجددًا يا بردليس، بعد كل تلك الحروب والأزمان.

قال بردليس :

يبدو أن الحظ ما زال رفيقنا، يا شرنسيس.

أضاف جرميس وهو يضع يده على كتف بردليس :

لا زلت بنفس الحماس، لم يتغير فيك شيء.

أنتم من منحني القوة والحماس ففي غيابكم كنتم النور الذي قادني عبر الظلم .

تقدّم جرميس بنظرته الثاقبة متفحصاً وجوه الحاضرين، إلى أن وقعت عيناه على مصطفى. ابتسِم له ابتسامة خفيفة، لكن ملامحه لم تخفِ ما رأاه من آثار الماضي. قال له بصوت عميق كائناً ينبعش أعماق روحه :
_ أستطيع رؤية ماضيك يا مصطفى... أرى بيئتك ابنتك بين يديك غارقةً في الدماء، وأرى في عينيك شعلة الانتقام.

توقف للحظة ثم أضاف :

ـ حكمتي لك يا مصطفى أن تجعل ما سُلب منك دافعاً لاسترداد ما ضاع،
ـ لكن لا تجعل الانتقام يلتهم روحك. كن قوّة للعدل لا للثأر، واجعل
ـ غضبك نوراً يهديك للطريق الصحيح.

ـ ثم وجه نظره إلى زيدان قائلاً :

ـ علاقتك هذه لا تخدم اتزان الكون الجنّية لا تجتمع ببشرى، حتى وإن
ـ كان في قلبك حبٌّ كبير لها، أنت تخالف نظام الخلق الذي وضع بعناية
ـ ليحفظ استقرار العوالم، ولا يمكن أن تضعف الحدود بين العوالم من
ـ أجل عاطفة، مهما كانت صادقة.

ـ ثم وضع جرميس يده على كتف زيدان وأضاف:

ـ أعلم أن قلبك مخلص، لكن تذكر أن بعض الأقدار كتبت لتبقى على
ـ مسافة، وذلك لمصلحة الجميع فما بين عالم البشر وعالم الجن ليس
ـ مجرد فاصل زمني، بل حاجز يعزز توازن الكون بأسره. قد يكون الحب
ـ محظوظاً، لكنه لا يجب أن يحيد عن المسار الذي خلق من أجله كل
ـ شيء.

ـ صمت جرميس لبرهة ثم أردف قائلاً بلهفة:

ـ ولا تنسِ الأرملة التي تزوجتها، فرغم صغر سنك تحملت مسؤوليتها
ـ بكل صدق، أراك تضحك وتمازح الجميع، لكنك رجل يحمل عبء

المسؤولية بجدارة، وكأنها ليست عليك بتقل. أحياناً يكون الوفاء والالتزام أسمى من كل المشاعر الأخرى.

جرميس توجه إلى حمزه هذه المرة:

أرى فيك نفسِي يا حمزه... قويُّ البدن، مهيبٌ، شجاعٌ، ومع ذلك ينبعُ داخلك العدل. لكنك تحملُ داخلك عبئاً من نوع آخر عباء العدالة التي تطلبها لأخيك الذي قُتل على يد صديقك ليث، ثم عدالة أخرى لليث نفسه الذي ضحى بحياته فداءً لك.

توقف قليلاً ثم نظر إلى الحاضرين جميعاً بجدية وأكمل:

وكلكم هنا تطلبون العدل من شدور، تلك التي زرعت الدمار والخراب في قريتكم، وقتلت بلا رحمة العديد من أهلكم. أحرقت بيوتكم في ليلة لا ثسى، كساها لون الدماء التي سالت دون تمييز. قاتلت الشيوخ بلا رأفة، وألقت الأطفال في ظلام لا نهاية، لم يكن سوى بداية لمزيد من الجرائم التي لم تعرف الشفقة. لكن تذكروا أن العدل يجب أن ينطلق من هدف نقى، لا من الانتقام وحده فالعدل هو ضوء في طريق الظلم، لكن إن انحرف عن مساره، فقد يتحول إلى ظلٍّ جديدٍ يغرقا في ظلام آخر.

نظر جرميس إلى هاتور بتعجب لأنَّه لم يعرِف قراءة ماضيها أو شأنها فلم يستطع ان يخترق عقولها، فقد كانت مجهمولة له . التفت الى باقي الحكماء في صمت غير قادر على فك اللغز الذي يحيط بها.

في هذه الأثناء، كان حمزة ومصطفى وزيдан غارقين في معاني الحكمة التي قدمها لهم الحكيم جرميس تأملاتهم تتداخل مع تعاليمه في صمت عميق.

رفعت هاتور صوتها فجأة وكأنها تقطع الصمت الذي كان يعم المكان:
_وماذا بعد؟ هل أذهب إلى سيرال وأطلب منه الباب الخامس؟ أم ماذا سيحدث؟

أجاب برديس :

سيرال يا لا يقبل طلبات أحد. إذا طلبت منه شيئاً، فستعتبر قد أظهرت عزيمة، حتى وإن كانت صغيرة هو يريد أن ينزع الأمل من شعبه، ولا يريد أن يرى منهم الا اليأس، ولهذا من يطلب منه شيء يقتله بدم بارد.

حمزة :

ماذا نفعل إذاً هل نقاتل؟ نحن مستعدون.

برديس :

نعم يجب أن نقاتل ولكن بحكمة فلن نندفع في معركة طاحنة لدينا القوة والأمل ولن نسمح لسيرال أن يواصل حكمه بالدماء. القتال ليس فقط من أجلنا بل من أجل كل من عانى اليوم ستكون بداية النهاية له.

أضاف جرميس :

بحكمتنا وفطنتنا جمعنا 500 فرد من شعب أوريانت. استطعنا أن نزيل اليأس من قلوبهم، وهم مستعدون للقتال معنا.

قالت هاجر:

ولا تنس روزي، يا أبي هي ت يريد الانتقام أكثر من الجميع. لقد تحملت ما لا يُحتمل، ولا شيء يعيدها إلى صوابها الآن سوى أن ترى العدالة تنزل على من ظلموها.

أكمل بريديس، وهو ينظر إلى الحاضرين بعينين حادتين:

غداً هو يوم احتفال اليأس المدوي الذي يقام سنوياً حيث يجمع سيرال جميع القواعد التي فرضها على شعبه في ليلة واحدة. مسيرة الخضوع، العمى المقدس، علامات اليأس، طعام الرماد، قفرة الظلام، واحتفال النار السوداء. سيكون يوماً دموياً، مليئاً بالعذاب والموت لشعب أوريانت. سيموت الآلاف في هذا اليوم.

تابع وقد امتلا صوته بعزم وحزم:

يجب أن نهاجم قبل أن نخسر المزيد من الأرواح.

صعدت هاجر على السلم الحجري بخطوات واثقة، ثم عادت بعد قليل وهي تحمل قماشة سوداء تلتقي حول مجموعة من الأسلحة، كل منها يشع بلمعان خاص يحمل سحرًا خفيًا.

تقىد جرميس نحو زيدان وقال:

خذ هذا القوس يا زيدان إنه قوس صنع من خشب شجرة برهوتا
القمرية قوة القمر محفورة فيه، وهو ليس كأي قوس آخر.

ثم نظر إلى حمزة، ومدّ له سيفاً حاداً مشعاً قاتلاً:

وهذا السيف لك صنعته بنفسك، وساعدني الحكماء جميعهم في
صنعي ليكون قوةً حقيقةً في يد من يستخدمه.

أخذ كل حكيم سلاحه منهم من اختار عصا، ومنهم من حمل سلاحاً آخر
يناسبه أما مصطفى فاختار خاتمه وحده.

قال برديس :

علينا أن نغادر قبل أن تشرق الشمس و يلحظنا أحد.

فتح الباب بهدوء، وخرج الجميع من مقرهم خلسةً في ظلام الليل.

امتطى برديس وحمزة وزيدان ومصطفى ظهر "السيرنوفا" بينما
استقرت هاتور مع هاجر على ظهر "الجريب" كائن ضخم يشبه
الثور لكنه برأس متعدد القرون وعضلات متينة، وجلد صلب كالدروع.
يتميز بحاسة شمّ لماء من مسافات بعيدة وعينين حساستين للحرارة،
ما يجعله مثالياً للتنقل عبر الصحاري المريخية الواسعة، قادرًا على
حمل راكبين وأمتنة ثقيلة دون عناء.

أما جرميس وفرحيس وشنرينس، فقد امتطوا

"الأرضور" كائن ضخم يشبه حيوان المدرع لكن بقوّة وسرعة أكبر. جلده الخارجي مدرعاً من الصلب الطبيعي، يلمع تحت ضوء القمر كدرع غير قابل للاختراق. أقدامه الضخمة المغطاة بمخالب قصيرة، تساعد على التحرك بسهولة عبر التضاريس الصخرية، بل وكان قادرًا على الحفر بسرعة عالية عبر الأنفاق الأرضية، مما يجعله وسيلة مثالية للعبور في المناطق الوعرة. هذا الكائن العملاق كان بمثابة الحليف الأمثل لرحلتهم القادمة، حيث قدم لهم سرعة ومرنة في التنقل لم تكن متوفّرة عند غيره من الكائنات.

زحفت الحيوانات على أطرافها يركضون في صمت الليل، وكأنها تخشى أن تكتشف عبروا الأراضي المهجورة التي تقارب المملكة حتى وصلوا إلى دمنة معزولة، يتربع عليها السكون المطبق، وتوقفوا في مكان بعيد عن الأنظار.

وقف جرميس، الذي كانت نظراته الحادة تراقب كل شيء بعين الحكمة، وأمسك بعصا، ليلطم بها الأرض مرتين، ثم جثا على ركبتيه، وقدماه تلامسان الأرض. ضرب بيده ثلاثة ضربات على الأرض، فاهتزت الرمال تتحرك تحت الأقدام.

قال جرميس بصوت عميق، كأن كلماته تتناثر من أعماق الأرض نفسها:

فردًا أبي الخضوع خير من شعب ذل نفسه.

في لحظة واحدة خرج الثوار من تحت الرمال، كالأشباح القادمة من أعماق المريخ.

كانت جلودهم قد أخذت لوناً أحمر غامقاً، وكأن الكوكب المريخي قد ألبسهم ثوبه ودمغهم بدماء أرضهم، أما أذرعهم فقد ازدانت بأوشام متعرجة، رموز لقصوة المعارك التي لم تتوقف قط. ومن بين حشودهم، يمكن رؤية آثار جروح قديمة وحروق، إذ لم ينج أحد منهم من سطوة بطش سيرال، لأن أجسادهم هي ذاكرة حية لكل جريمة ارتكبها ضدهم.

وقف برديس أمامهم:

شعبي حكمناكم بما يرضي الحق، ما كان لنا سوى الخير في نفوسنا وفيكم. لكن جاء سيرال ذلك الأعمى الملعون وجلب لنا خاتم اليأس، وبه أغرق أرواحنا في العذاب وجعل منكم وضعاء كالحيوانات المذلولة التي تسير على قدميها تحت وطأته.

صمت لحظة، ثم أكمل:

سيرال ملأ الأرض بدمًا لا يمحوه الزمان، قتل من شعبنا من قتل، وزرع الجثث في كل مكان حتى تحولت أراضينا إلى مستنقعات من الموت.

اكمِل هذه المرة بغضِّبٍ لا يوصف:

لقد غرقنا في بحور من الرعب، كانت الأجساد تتناثر كقطع خشب عائمة، والسكون الذي حل بالأرض كان يجعل الموتى يصرخون بأسمائنا في كل لحظة. سيرال جعل من شعبنا هياكل عظمية مت坦اثرة تحت قدميه، وكل من كان يظن أنه سيعيش ليشهد فجرًا جديداً، كان يكتشف في النهاية أنه لا شيء سوى خرافه.

جرائمِ موجهاً كلامه لثوار:

أنتم لستم وحدكم، أنتم أبناء النور وحراس الحق لقد قتل سيرال كل من تجراً أن يحلم بالحرية لكنه نسي أن الحلم لا يُقتل، بل ينمو في صدوركم أقوى من قبل تذكروا من رحلوا، وتذكروا أن دماوهم لم تذهب سدى. دماوهم زرعت في قلوبكم الشجاعة، شجاعة من يستحق العيش بكرامة فلتكن معركتكم ليست فقط ضد سيرال، بل ضد كل يأس زرعه في قلوبكم.

ثم نهض شرنيس، حارس العدل:

اليوم سنعم للحق هيبته وللعدل سلطانه. سيرال سلب منكم كل ما هو ثمين لكنكم أحياء، وما زلتكم تمتلكون القوة والكرامة. اليوم سنعم العدل لهذه الأرض سيرال يريد إخضاعكم لكننا سثبت له أنكم ترفضون الذل والخضوع. فلنقف صفاً واحداً، ولكن كالسيف الذي لا ينكسر!

تقدم أحد الجنود بخطوات متعددة وقال بصوت خافت يكاد يُسمع:

لكن... كيف لنا أن نواجه سيرال؟ جيشه لا يُعَد ولا يُحصى، وقوته تفوق كل تصور نحن... لا نملك مثل جنوده ولا مثل أسلحته فكيف لنا أن ننتصر على طاغية كهذا؟

كان صوته يرتجف، ووجهه يشحب، وكان تلك الكلمات أرهقته، فأطراقه بدأها تميل تحت ثقل الخوف المترافق في أعماقه.

دخل مصطفى بين صفوف الثوار بشموخ، ناظراً في وجوههم بعزيمة وصرخ:

أعلم أنني من البشر وأنتم من الجن لكننا اليوم في خندق واحد في قريتي أنا وأصدقائي وجهنا أهواز النداهة، تلك اللعنة التي التهمت أرواحنا، واقتلت منا أغلى الأحبة أخذت مني ابنتي بيثنية لم أكن لأقبل بهذا المصير، فطاردناها في كل زاوية دون أن نرتد أو نمل... وعندما لم نستطيع أن نعثر عليها .. توجهنا في رحلة لي ايقافها لم تكن رحلتنا سهلة فقدنا رفقاء عظماء، لكننا لم نستسلم اخترقا عوالم خطيرة، كنا

على حافة الموت مراتٍ ومرات، وفي كل مرة كنا ننهض من جديد، مصممين على النجاة. لم نسلم لليأس بل جعلناه عدونا، وكان أمننا دليلنا الوحيد.

اليوم، نقف معاً لا فرق بين مريخي وبشرى نقف من أجل هذه الأرض، نقف من أجل حرية شعبها فإن كان الغرباء يدافعون عن أرضكم، فأنتم أولى بذلك قاتلوا بكل ما في قلوبكم، وأبعدوا اليأس عن أرواحكم كونوا حماةً لأرضكم، فهذه المعركة هي التي ستخلد أسماءكم.

بدأت صيحات الثوار تعلو، واختلطت مشاعر الغضب بالحماسة، واستعد الجميع لخوض المعركة، عيونهم متطلعة إلى لحظة الانتصار.

الفصل الثالث والعشرون: "عزف النهاية في اوريانث"

كان زيدان مستنداً إلى ظهر حمزة عندما قال حمزة بصوتٍ خافت:

كنت أفكِر فيما قاله فرحيس... إنه يرى أن علاقتك مع هاتور قد تحدث خللاً، ربما تُضعف التوازن بين العالمين.

زيدان:

لا أرى فرقاً في هذا العالم البعيد ولا يهمني ما يقوله الآخرون. قلبي خلق لها، ولن أوقفه مهما كان أنسنت أين نحن؟ نحن في عالم غير

عالمنا، على كوكب لا يتنفسه البشر وتحدثي عن التوازن؟ كل هذا الموت والدمار، وتسمييه توازناً؟

أحياناً يازيدان، أشعر أن حبك لها تمرد على الحزن والظلم، وكأنها اليد التي تمد لك لتنتشل قلبك من بحور العذاب لكنني أخشى عليك... أخشى أن يكون هذا الحب طريقك إلى ال�لاك وربما ليس حباً، ربما هو اندفاع في لحظة ضعف.

لقد قلتها وسأقولها أنا كنت أحلم بها منذ زمن، كأنها النبع الصافي الذي يعكس أشعة الشمس. لم تخطف قلبي فحسب، بل سمعتها تهمس لي: أنا لك وأنت لي فلا تطلب مني أن اعتبره تسرعاً.

رد حمزة محذراً:

أنا لا أشك في مشاعرك، ولكنني أحذرك لقد انضمت لنا منذ شهر أو أكثر لكن هل نعرفها حقاً؟ هل نعني لها شيئاً كما تعني لها؟

استدار حمزة نحوه بوجهِ جاد بعد أن كان مستنداً بظهره وقال:

حدثي مصطفى عن هاتور كثيراً...

تساءل زيدان بهتمام:

وماذا قال لك؟

أجاب :

قال إن هذه العلاقة لا يجب أن تستمر. إنه يشك في نوایاها، يشعر أن وراءها أسرارًا كبيرة قد نجهلها، أراد أن يخبرك بهذا منذ البداية، لكنني منعته أردت حمايتك يا زيدان... لأنني رأيت حزنك ووجعك من قبل عندما فقدت من تحب، وعندما وجدتك قد بدأت في استعادة نفسك، فرحت.

لا تقلق يا حمزة وأخبر مصطفى بذلك أنا أعلم مصلحتي، وكل ما يهمني هو أنها تملأ قلبي بخفي لم أعرفه من قبل.

كانت هاتور تجلس بين الحكماء حول نار تراقص ألسنتها، حتى لاحظ إليهم بعينيها ثم رفعت يدها بإشارة صامتة، تدعوهم للانضمام إلى هذا المجلس.

همس حمزة بقلق: إنها تشير إلينا... هي لنرى ما تود إخبارنا به.
أومأ زيدان بحزم ثم وقف.

تقدم حمزة وزيدان نحو الجمع فكان مصطفى يجلس بهدوء قرب النار، وعيناه تراقبان كل حركة بدقة واهتمام. حين اقترب زيدان مذ مصطفى يده بثبات، وأمسك بيده ثم أشار له بالجلوس بجانبه.

بعدها همس بصوت خافت :

جلس... الحكماء يضعون الآن خطة للهجوم علينا أن نستمع لهم جيداً.

أخذ برديس زمام الحديث، :

غداً سنضرب الطاغية في عقر احتفاله وسنطلق شعبه من قيوده الثقيلة.

مد فرحيـس يـده نحو الأرض قـائلاً:

ـ سنـحـفـرـ تـحـتـ أـورـيـانـثـ شـبـكـةـ مـنـ الـأـنـفـاقـ،ـ تـتـقـدـمـ بـهـاـ حـيـوـانـاتـ الـأـرـضـورـ بـصـمـتـ إـلـىـ السـاحـةـ الـكـبـرـىـ،ـ حـيـثـ سـيـكـونـ سـيـرـالـ مشـغـولـ باـحـفـالـهـ سـكـونـ هـنـاكـ دـوـنـ أـنـ يـدـرـكـ أـحـدـ،ـ جـاهـزـينـ لـلـحـظـةـ الـهـجـومـ.

تقدـمـتـ هـاجـرـ عـيـنـاهـاـ تـلـمعـانـ بـالـحـمـاسـةـ فـتـحـدـتـ إـلـيـهاـ جـرـمـيـسـ قـائـلاـً:ـ هـاجـرـ مـهـمـتـكـ سـتـكـونـ تـحـرـيرـ الـأـسـرـىـ،ـ سـتـتـسـلـلـيـنـ مـعـ مـجـمـوعـةـ صـغـيرـةـ فـورـ وـصـوـلـنـاـ تـحـتـ السـاحـةـ.

قالـتـ هـاجـرـ بـثـقـةـ:ـ عـلـمـ

التـفـتـ فـرـحـيـسـ إـلـىـ حـمـزةـ :

أـنـتـ قـائـدـ الـمـجـمـوعـةـ الـأـوـلـىـ،ـ سـتـكـونـ فـيـ المـقـدـمةـ عـبـرـ الـأـنـفـاقـ،ـ وـحـينـ تـصـلـ إـلـىـ أـسـفـلـ السـاحـةـ سـتـعـطـيـ الإـشـارـةـ الـخـفـيـةـ بـاـنـتـظـارـ لـلـحـظـةـ الـهـجـومـ.

ثم التفت إلى زيدان متابعاً:

أما أنت فمسؤوليتك إبعاد الحراس، بسرعة اعبر خطوطهم دون أن تترك لهم مجالاً للتفكير.

زيدان:

سيعرفوننا من صمتنا وسنفاجئهم كالعاصفة.

ثم التفت شرنيس إلى مصطفى:

أنت ستقود اقتحام المنصة حين تبدأ الفوضى. حين يشعر سيرال بأن أرضه تهتز، ستكون في المقدمة.

هز مصطفى رأسه بثقة : سأقود الهجوم ولن أترك له ملذاً.

فقال شرنيس، وهو يطيل النظر إلى هاتور:

دورك في هذا الهجوم لا يمكن أن يكون مجرد متابعة أو إشراف على الجوانب التكتيكية. أنت ابنة ملك مملكة العوالم، وما تحملينه من قوة وسحر يفوق الوصف. ستقفين في الخط الأمامي مع مصطفى، ولكن ليس كأي محارب عادي. قوتك هي مفتاح النصر، وستكونين الأداة التي تقلب الموازين في اللحظات الحاسمة.

ثم أضاف برديس بنبرة جدية:

في اللحظة التي يشن فيها الهجوم، سيكون هناك تحديات من حيث المواجهات المباشرة والخصوم الأقوى. قوتك كجنية تتمتع بقدرة لا تضاهى على التحول، والسرعة الفائقة، والتحكم في العناصر المحيطة. يمكنك أن تستخدمي ذلك لصالحك، سواء بإيقاع الفخاخ على العدو أو حتى إشعال النار في مكان معين لإرباك صفوف سيرال.

نظر الجميع إلى هاتور، التي بدت عيونها تتوهج بحماس وثقة.

قالت بصوت منخفض، لكن مليء بالقوة:

هاتور:

سپرال لن یعرف ما أصابه.

ثم أضاف الحكيم فرحيض:

قال الحكيم برديس، وهو ينظر إلى الحاضرين بنظرة حادة:

روزي ليس معنا لكنها تعرف دورها جديداً ستدخل الحفل مع سيرال، الجميع سيظن أنها مجرد زوجته المحتفلة، لكن مهمتها هي أن تجذب انتباهه وفي لحظة انشغال الجميع بالاحتفال، ستكون هي من يحرك سيرال إلى النقطة التي نحددها، حيث لا يستطيع الهروب. كل حركة منها ستكون محسوبة، وكل كلمة ستلقي ستكون لصالحنا. عندما يصل سيرال إلى موقعه، ستنتقض عليه سهامنا في لحظة لا يتوقعها.

رفع الجميع أسلحتهم نحو السماء، وفي تلك اللحظة كان العزم والإرادة حاضرين. كان صرخات النصر تقول الليلة لن تكون كالليالي السابقة.

في عمق غرفة مظلمة، حيث لا يطفو سوى الظلال التي تلامس الأرض جلست روزي أمام مرآتها العتيقة زجاجها المعتم يعكس صورة شبجية لها، غير واضحة تماماً، وكانت محاصرة بين عوالم عدة. كانت عيناهما، رغم الحزن الذي كان يملأها تحدقان في صورتها القاتمة تبحثان عن شيء مفقود في داخلها. تحسست يدها طرف خصلات شعرها الأسود الطويل، الذي كان ينسدل حول وجهها وكأنما يغلفه بالحزن، وبدأت تنفس ببطء. تلمست ملامحها، فطافت بها الذكريات السوداء، ذكريات الألم والخذلان تحدق كما لو كانت تفكّر في كيفية التخلص من كل هذا الظلام الذي يغلفها.

ترتدي ثوباً أسود ضيقاً على الخصر، ينسدل ب أناقة ثم يتسع ليغطي ساقيها، منسجماً مع الظلام الذي يحيط بها.

مرت دقائق من التأمل العميق فجأة، دفع الباب بصوتٍ عالٍ، فتسارعت الأنفاس في صدرها وعرفت أن سيرال قد دخل. على الرغم الضوء الخفيض وظلام الغرفة التي يحيط لها كانت قادرة على الإحساس به، وكان هو أيضاً يشعر بوجودها، يلاحق كل حركة منها.

اقترب منها بهدوء، عينه العميق لا ترى، لكن قدرته على الإحساس بحركة الهواء من حوله جعلته لا يحتاج للبصر ليعلم مكانها. كان خاتم اليأس الذي يزين إصبعه هو ما يجعله يشعر بكل شيء، وكأنه يرى كل تصصيل يحيط به.

لم تلتفت إليه واستمرت البحثة في المرأة، وقف خلفها، يراقبها بهدوء. كان يشعر بعجزه وهو يراقبها تعيش في جرح لا شفاء منه.

روزي:

ماذا تريد ؟

سيرال:

أريد منك شيئاً كنت دائماً تخفيه عنّي . روزي لماذا لا تفهمين أنني أحبك فعلت كل شيء من أجلنا... من أجل أن تكون معـاـ . لكنك دائمـاـ ترفضين ذلك.

لكن روزي، كما لو كانت أصواته لا تصل إليها كانت عيناها ثابتتين على انعكاس وجهها في الزجاج وعقلها يغلب بالغضب. لم يكن هناك شيء في كلمات سيرال يمكن أن يخفف ألماها أو يغير مشاعرها.

قالت :

أنت لا تعرف معنى الحب إذا كنت تعرفه لما دمرت حياتي. لما قلت
والدي بسحر اليأس، لما جعلتني أعيش في جحيم لا ينتهي.

لقد دمرت كل شيء من أجل غرورك، من أجل رغبتك في أن أكون
ملكتك وكل هذا على أنقاض حياتي.

كانت كلماتها تخرج مثل الرصاص، تدمي قلبه أكثر من أي وقت مضى.

وفي لحظة من الغضب اقترب منها وجذبها من شعرها بقوة، ثم سحبها
نحو صدره. كانت يداه تقبضان عليها وكأنهما كانتا تحاولان كسر
الجاجز بينها وبين مشاعره.

أنت لا تفهمين... كل شيء فعلته كان من أجلي... لا أحد سيحاول أن
يحبك مثلكما أحببتك حتى لو كنت تكرهيني ستظلين في قلبي.

كانت عيناها مليئة بالكراهية ولم تتغير فشعر بشيء يتحطم في قلبه:

كيف يمكن أن تكرهيني بعد كل هذا؟

دفعت يده بعيداً عنها بكل قوتها وابتعدت قليلاً لتعود إلى المرأة وتحدق
فيها من جديد ثم تمنت.

لن أسامحك أبداً، كل شيء سينقلب عليك قريباً سأجعلك تدفع ثمن كل
 قطرة دم، كل لحظة ألم، كل روح دمرتها.

نزلت منها بعض القطرات الدافئة فمسحت دموعها بسرعة:

سيرال ظل صامتاً، لكنه كان يشعر بما لا يمكنه رؤيته.

مع انبلاج الفجر، انطلقت حيوانات الأرضور تحفر الأنفاق بصمت تحت أرض أورياتث، تشق طريقها بتؤدة وثبات تحت الساحة الكبرى وتمر عبر الخطوط الحيوية تحت أسوار القصر تنسج ممرات سرية تحت موقع الجنود كان هذا عملٌ دقيق وسرّي لا يحتمل الخطأ.

وقفت هاجر على مقربة، تُراقب بعيونٍ يقظة سير الحفر، وبعد ساعات طويلة راحت رؤوس حيوانات الأرضور تطلّ من فوهات الأنفاق، مبشرةً بأن الممرات قد اكتملتوها هي تفتح الطريق أمام أول المحاربين.

وقف مصطفى عند مدخل أحد الأنفاق وقال :

ـ آن أوان الانطلاق.

تسدلّ المحاربون خفية يتوزعون على المواقع المرسمة لهم جماعة تتقدم صوب مواقع الحراس لضربهم بعفةٍ قبل أن يتأهبا، وجماعة تخذّ موقعها قرب النفق المؤدي مباشرةً إلى قلب الساحة حيث سيُقْتَل الاحتفال. كانوا يتحركون بخفةٍ كأنفاس الريح، متيقين أن سيرال لم يحسب حساب هذه المناورة.

أدارت هاجر نظراتها إلى جارولان رجل من رجال الشوار ، وهمست الحرية قريبة ولن يكون هناك تراجع ياجارولان.

مع أول ضوء للشمس كانت الفرق قد استقرت مواقعهم منتظرين تلك اللحظة المحددة للهجوم .

غرق احتفال سيرال في طقوس الظلام دقت أصوات الطبول القاسية تتردد في الهواء. تناوبت أنغام الطبول مع أغاني يائسة وألحان مشوّومة، ترتفع من حاجر الباقيين وهم يرددون ترانيم الاستسلام. كانت أشباحهم تمشي بخطى مثقلة، عيونهم المظلمة زائفة كأنها كُسرت، وأرواحهم تتعدد بثقل العذاب.

اجتمع الحشد في ساحة قذرة لا تملأها سوى الدماء المتجمدة تحت أقدامهم، بقايا أحلام ممزقة وأجساد لم تُدفن بعد، وقف روزي، جوار عرش سيرال، وكأنها حجر صامت يُلزم بالمشاهدة تشهد بؤسا دون قدرة على التغيير.

تم تقديم طعام الرماد. وعلى الحضور أن يتلهموا بقاياده، وكل من يرفض أن يتجرّع تلك المهانة، يعاقب أمام أعين الجميع

ارتفعت صيحات القادة المزيفة أولئك المقدّسون الذين اختاروا نزع أعينهم ليكرّسوا أنفسهم لخدمة سيرال. وقفوا في طوابير، أيدي فارغة وعيون معتمة منزوعة، مسحورين بخرافة العمى المقدس، منقادين

كأنما يُطْوِّعون للظلم بشكلٍ لم يعرفوا سواه. كانوا يهتفون بعبارات تمجّد سيدهم، ينحازون للطغيان ويسبحون باسمه دون وجه أو حياة، فقط بصمة من اليأس على جلودهم.

حتى جاء وقت قفزة الظلام ارتعدت أجسادهم كأنها تودع نفسها، واصطفوا عند الجرف العالي، حيث أمرهم سيرال بالقفز في هاوية الموت. ومن بين الأصوات المختلطة وصيحات السقوط، تجمد من بقي واقفًا وصاروا يرفعون هتافاً جديداً.

وسط هذا الجحيم تحركت حركة التحرير تشتعل بين صفوف الحشد، يتبادلون إشاراتٍ خفية، يتنقلون بينهم بهدوءٍ مدروس بينما الطبول تخفق أصواتهم، وألحان الاستسلام تخفي همسات لم تكن هذه مجرد خطط بل كانت شرارات تتحرك من يدٍ إلى يدٍ، ومن نظرة إلى نظرة تحمل أملاً مفقوداً في عيونٍ متعبة.

فجأة وقف سيرال وحوله ألسنة لهب سوداء يتلاعب بالخاتم على إصبعه الذي يزداد توهجاً كلما عمق سيطرته على قلوب الخاضعين. فالخاتم يشدّ قلوبهم ويبتلع أسرارهم، ويحول المهم إلى طاقة تزيد من قوته.

كان الاحتفال يشتت ويعلو دوي الطبول أكثر فأكثر همست هاجر:

الآن هو الوقت... لنحرر إخواننا.

تسلىت مع مجموعة من الشوار نحو السجون ثم نفذت تعاوينتها السحرية، فتشترت السنة نيران حولها، وسقط الحراس واحداً تلو الآخر مكبلين . بعدها تم تحرير أكثر من مئتي أسير استدارت هاجر نحوهم وهي ترفع قبضتها قائلة:

اليوم ننال الحرية إخوتنا في الساحة ينتظرون دعمنا... الليلة ستكون آخر ليالي سيرال.

في الساحة الكبرى وقف زيدان وحمرة مع الشوار حول الحراس المتناثرين في كل مكان، كلّ منهم يوجه سلاحه نحو حارس، ملقيين عليهم نظراتٍ حادة . في هذه اللحظة خفت توهج خاتم اليأس في إصبع سيرال فشعر بشيء غريب ينقصه، لكنه لم يكن واثقاً مما يحدث فتردد نظراته يبحث عما يخل التوازن الذي صنعه.

فاقتربت روزي بخبث محاولة تشتيته:

إنك على حق هذا الشعب الأحمق لا يستحق سوى القسوة؟ فهم يستحقون كل ما فعلت بهم وأكثر.

استدار نحوها، متأنلاً وجهها بانشراح فواصلت حديثها :

لقد أدركت الآن لما تعذبهم لأنهم حثالة... واستطيع قولها الآن أنا أحبك كما أنت بجبروتك وقوتك.

كلماتها التي انهمرت كالمطر على أذنه جعلته يتوه للحظة.

حقاً؟ بدأتي تفهميني ؟ احتضنته روزي وأخذت تداعب شعره

ثم همست له:

أجل افهمك وأنا لك وأنت لي وسنظل دائمًا معًا ثم الصقت شفتيها بشفتيه . لكن عينيها زاغتا نحو زيدان الذي كان قد رفع سهمه للتوصيب بإشارة من إصبعها.

فوجه السهم بخفة، ورماه نحو سيرال لكن في حركة خاطفة ومكر خبيث، أمسك سيرال بيد روزي وجذبها أمامه، ليصيب السهم ظهرها ويخرج من صدرها اتسعت عيناهما من الصدمة بينما ظلت للحظة ثابتة والألم يحرقها من الداخل.

سيرال لم يتردد في التحديق بها وهو يقول:

ظننت أني لن أرى ؟ قد أكون أعمى ولكن قلبي يرى الخيانة في أعماق الأرواح.

كانت تنفس بصعوبة وعينيها تفيض بالحزن والخوف لكنه تابع، ممسكاً بيدها التي ارخت شيئاً فشيئاً:

لقد أحببتك ياروزي وظننت أنك ستكونين مخلصةً لي، ولكن اختلط عليك الأمر... لقد اخترتِ الخيانة.

هزّ رأسه ببطء، بينما ظهر الحزن على وجهه ثم سرعان ما انقلب ملامحه إلى غضب محتمد:

رفع صوته وأعلن للحضور:

هذا ما يحدث لمن يخونني. سأقرب هذا المكان إلى مستنقع من الدماء... سيغرق كل من تجرأ أن يقف ضدي لن أترك أحداً ثواراً كانوا أم راضحين.

صرخاته أضافت جوًّا من الهلع والرعب بين الحشد، بينما التفت
مصطفى، وهمس لحمزة،

حان وقت التحرك، لا يمكننا ترك هذا الطاغية يفلت.

انطق سيرال كوحش مفترس، زاجر بصوت مرعب وكلماتٍ تقطّر دموية، كسرعة البرق، كان يجتاح الساحة، ممسكاً ضحاياه بقبضات حديدية، يقتلهم بوحشية، ملتفطاً ذرات الخوف وكأنها تريلق يزيده قوة.

في لحظة قاتمة، انقض سيرال على أحد الحراس، قفز فوق كتفيه، واقتلم رأسه بحركة وحشية، ثم رفعه عالياً، يلحس الدم المتتساقط على

شفتيه بابتسامة تزيد من رهبة المشهد. كان كأنه يستمد الحياة من كل قطرة دم ومن كل صرخة خوف في أعين من حوله، كلما زادت رهبتهم، زادت قوته، وازداد توهج خاتم اليأس بعدها استدعى سيرال صخورًا حادة ارتفعت من تحت الأرض، متساقطة فوق رؤوس الجميع. حمزة حاول الهجوم عليه لكنه تلقى ضربة قاسية ألقت به بعيدًا، فيما حاولت هاجر نفخ نيران سحرها على وجهه، ولكنه ابتسם، وكأن تلك النار كانت له نسمات عليلة في وسط قيظ الصيف واتبعها بضربيه اسقطتها أرضًا.

ثم تحرك بين الجميع كرياح الموت، يقتل بلا رحمة حتى أولئك الذين أطاعوه طاعة عماء ونزعوا أعينهم من أجل تمجيده، لم يسلموا من قبضته. أصبح كسرًا من الشر لا يعرف الرحمة.

صرخ مصطفى:

قد يكون معك خاتم اليأس، ولكن أنا معي خاتم الدمار.

رفع يده نحو السماء، فتشققت لثظهر برقا، كون سيفاً مشحوناً يمسكه مصطفى ويوجه به بكل قوته على سيرال غير أن ضرباته كانت تصطدم بسيرال كصخرة لم تتأثر.

وسط هذه الفوضى لم يتوقعوا هذا المشهد لقد استندت روزي حتى وقفت وقد كان السهم لا يزال في صدرها يحمل أنفاسها الأخيرة. ثم همست بصوٍت باهٍ متقطع :

الأمل... الأمل يضعفه... لا تيأسوا... حافظوا عليه... وسيموت الخاتم... سيموت الخاتم.

كلماتها رغم ضعفها إلا أنها أشارت بريئاً في قلوب الجميع عندها وقف حكماء حراس النور وبدأوا يرددون أنشودة من كلماتها :

[[من بعد ظلام دامس يشرق النور

سنعود ونحيا بسلام يجوب الحضور.

ملك الظلم زائل وسلطان الشر مكسور

ونبع الحياة لن ينضب من جديد للدهور....

تردد صدى الأنشودة في الساحة فكل الحضور أسرى وثواراً وحتى عبيداً أصبحوا ينشدونها بصوت متحدٍ لإسقاط سيرال.

كل لحظة كانوا يرفعون فيها أصواتهم كان الخاتم يضعف شيئاً فشيئاً، وكانت قوة سيرال تتأكل أمام أعينهم.

استمر مصطفى في توجيه ضرباته لسيرال، فيما كانت تعاويذ السحر تتسرّق عليه من كل جانب. ومع كل صرخةٍ وعلو صوتٍ من الحشد كان جسده يهزل وتتصبح قبضته أضعف.

وفي لحظة حاسمة انطلق مصطفى كالسهم ووجه ضربة قاسية من الخلف، فسقط سيرال على الأرض، ولم يعد يشعر بأي قوة وتحولت هيئته من جسده ممتلئاً إلى جسد هزيل وعاجز حتى عن حمل نفسه. حاول النهوض مراراً، لكنه لم يستطع. ومع اختفاء قوته بدأ خاتم اليأس يمتص منه ما يريد من طاقة سلبية يُطعم نفسه من يأس سيرال الخاص، حتى مات ولم يبقى منه سوى عظام هشة تحكي قصة الطاغية الذي كان يوماً ملكاً لا يُقهَر.

ركضت هاجر بسرعة نحو روزي، وهي تحملها بين ذراعيها بحنان، وتضع رأسها على حجرها بينما عيونها مليئة بالدموع:

لا تموتي انتهى كل شيء انتهى سيرال وستعود المملكة كما كانت...
ارجوكِ أصمدي لا تفقي الأمل.

أجبت في نفسها الأخير:

الموت هو سُنة الحياة، يُخلق المرء ليعيش قليلاً، ثم يموت حتى وإن عاش لآلاف السنين، سيظل الموت مصيره المحتوم.

بكت هاجر بصمت فجأة صوت تتممة الحكماء الأربعية علا حولهم. كانوا قد التتموا حول روزي وبدأوا في ترديد تعويذة قديمة... حينها بدأ السهم الذي اخترق قلب روزي يذوب تدريجياً، وجرحها يلتئم، وكأنما كان السحر يجلب لها الحياة من جديد.

توقفت عن التنفس وعم السكون لوهلة ولكن لم يكن الوقت طويلاً حتى بدأت تكح بشكل ضعيف، وبدأ قلبها ينبض من جديد، فابتسم الجميع في فرحة عارمة برجوعها إليهم.

تحرك هاتور نحو خاتم اليأس وقالت بنبرة حازمة:

ـ ذلك الشر لا يجب أن يبقى هنا ساخذه إلى ملك العوالم وسيعلم كيف يتخلص منه ثم أدخلته بهدوء داخل سحرها، ليختفي كما لو لم يكن موجوداً يوماً.

بعد أيام قليلة، بدأت المملكة تنبع بالحياة من جديد. السلام عاد ليغمرها، والشعب عاش في تناغم مع الطبيعة، أصبحت الأرض من جديد خصبة والنباتات تنمو في كل مكان والشوارع امتلأت بالأشجار الأليورة.

عاد المجلس الحكماء إلى دورهم في الحكم بعدها عاد كل شيء إلى مكانه ((وظهر من كل هذا أن الأمل هو ما يبني الشعوب، بينما اليأس لا يبني سوى الرماد))

الفصل الرابع والعشرون "لغنة إيفيرمور"

تحت وهج النجوم المتناثر في سماء الليل وقف هاجر بجانب روزي تتأملن الأفق ويداهما متشابكتان كأنما تصنعن حائطاً من القوة لا يقوى أحد على اختراقه. خلفهما أسطف حكماء النور وفي الوقت نفسه كانوا قادة أوريانيث.

على مقربة ظهر بباب العالم الخامس تشابكت أيادي الحكماء حول الباب، مشكّلين دائرةً من النور، فانبعث من وسطهم صندوقٌ مهيب، يشع بنورٍ خافتٍ فتقدمت هاتور نحو الصندوق ثم انحنت واخذته من الأرض بعدها فتحته فعثرت على مفتاح قديم ونقوش محفورة على ورقة بجانب المفتاح.

وضعت المفتاح داخل الباب كما تفعل كل مرة ثم رفعت الورقة ونظرت إلى الحاضرين وقالت بصوتٍ عميقٍ :

يا باب الخفاء افتح لمن حملن الشعلة بعد أن انطفأت يد الرجال لمن
جعلنا الفراق عهداً والصمت قوة باسم نساء لم ينته عندهن الطريق، بل
بدأن حيث انتهى الآخرون.

ما إن لفظت هط الكلمات حتى اهتز الباب وببدأ ينفتح ببطء تصاعدت
أصوات غريبة من الداخل كأنها شظايا تدعوهم لعبور العتبة والدخول
إلى العالم الخامس .

بعد عبورهم وجد مصطفى وحمزة وزيدان وهاتور أنفسهم في مملكة
ساحرة تخطف الألباب غارقة في بهاء فيكتوري يختلط فيه الطابع
الجليل بالسحر المتقن

تموضع تلك المملكة في وادٍ عميق، يكتنفه هدوء الغابة وروعتها.
طرقاتها تتلوى كأفاعٍ حجرية، مغطاة بحجارة بيضاء تشوبها آثار
الزمن، مزيّنة بإطارات معدنية دقيقة بلون البرونز المائل للصدأ، مما
يضفي على المكان طابعاً مهيباً وعرقاً الأزقة تكسوها لمسات من
الزمرد الأخضر، حيث تدخل الشوارع أعشاش بريّة تترافق تحت أقدام
المارين.

المبني هنا تتميز بجدران دافئة بنيت من حجر محلي يميل لدرجات
العسلية العتيقة، تُعكس عليه أصوات مصابيح الشوارع الزيتية التي
تومض بضوء مائل للذهبي. النوافذ واسعة، أطراها من خشب البلوط

الداكن، وقد علقت ستائر مخملية عميقه بلون الأحمر القاني، تعكس مزيجاً متنااعماً بين الأنقة والدفء. وتفوح من النوافذ روانح النباتات الجبلية التي تعطر الهواء وتبعث في النفس إحساساً بالسكينة والراحة.

الألوان تدرج عبر المدينة بتناسق فيكتوري ناعم درجات من البنبي، البرونزي، والأخضر الزمردي تداخل مع ألوان غامقة كالعنابي والأزرق الكحلي، مما يمنح المكان كياناً دافئاً يتلاون مع الغابة التي تحضنها. تظهر فوق المبني أبراج صغيرة مزينة بزجاج ملون بألوان البنفسجي والأصفر الشمسي، تتلاولاً تحت أشعة الشمس وتضيف رونقاً آسراً على الأجواء العامة.

هناك أيضاً جبال تلتف حول الوادي يسميه الجميع هنا جبال الحراس فهي تتألق كدروع طبيعية رمادية. أيضاً ينساب من قممها شلالات تعرف باسم دموع الفجر تتدفق مياها زرقاء الباهتة لتمر عبر صخور شفافة كأنها كريستالات تحتتها يد فنان.

داخل المدينة تسير العربات التي تجرها الخيول المزينة بريش أرجواني، تجوب الشوارع وسط دفء وجمال، ناقلة المسافرين بين مراكزها المختلفة، حيث تبرز الحانات الخشبية العريقة، والحوانيت المتراصة بعناية، التي يقدم فيها شتى المصنوعات اليدوية والبضائع الغريبة.

سار الأصدقاء عبر الأزقة مبهورين بجمال المباني وال محلات المحيطة، تلك التي يغمرها دفء غريب للعينين، وكأنها تشع نوراً حنوناً لا يُرى إلا في تلك المملكة.

لكن مع مرورهم في شوارع المدينة لاحظوا شيئاً عجيباً المكان يعج بالنساء وحدهن، دون أي أثر للرجال النساء هن من يقدن العربات التي تجرها الخيول الأنيقة، وهن من يتجلون في الشوارع، يتبارلن الحديث ويشترن البضائع، يملأن الحانات والمحلات، يضحكن ويمارسن كل أنشطة الحياة اليومية.

في الحوانية، كانت البائعات يقدمن السلع بمهارة ولباقة، وفي الحانات، لا يوجد صوت سوى همسات النساء وضحكاتهن المتبادلة. استوقفتهم هذه المشاهد، وكأنهم في عالم لم تكتب له قوانين الرجال، وكان المدينة قد صنعت لنفسها إيقاعاً خاصاً، يحاكي طبيعتهن ويعطيهن الحرية المطلقة.

سؤال مصطفى :

أين نحن.

اجابت هاتور:

نحن في مملكة ايفيرمور.

أوقفت هاتور عربة برفق، لتلتفت السائقة نحوهم ببطء، مظهرةً وجهًا ذا ملامح حادة وعيينين زرقاءين . شعرها الفضي الطويل مُجذل باتفاقان، ينتهي بأطرافِ زرقاء باهتة.

قالت هاتور بصوت هادئ:

ـحتاج الذهاب إلى قصر الحاكم. هل يمكنك إيصالنا؟

ابتسمت السائقة بدهشة ورفعت حاجبيها قليلاً، وهي تحدق في حمزة، وزيдан، ومصطفى، كما لو كانت ترى شبحاً، وقالت بنبرة مليئة بالذهول:

ـرجال هنا؟ لم أرى الرجال منذ قرن... كيف؟

نظرت هاتور إلى السائقة بثبات وأعادت طلبها:

ـما الذي تقصدينه، نحن نحتاج فقط إلى إيصالنا، فهل توافقني؟

ضحك السائقة برفق متاملة الرجال مرة أخرى أكأنهم كائنات غريبة، وقالت:

ـسأوصلكم.. لكن سيكون الأجر خمسة بانكور.

أومأت هاتور موافقة:

ـحسناً، اتفقنا.

فتحت باب العربية المصنوع من خشبِ داكن مزخرف بنقوشٍ نحاسية وارتفعَت خطواتهم على الدرج الخشبي إلى داخل العربية، حيث كانت المقاعد مغطاة بمحملٍ أحمر داكن يعكس أجواءً ملκية راقية. جست هاتور بجانبهم، فيما قادت المرأة العربية بخفة.

وأثناء تحرك العربية سأل زيدان بصوت فضولي.

ما البانكور؟ لقد سمعتِ تذكرين هذه العملة في أكثر من مملكة.

أجبت:

البانكور هي العملة التي تداول بها في جميع عوالم الجن. هي الأكثر استقراراً، ومشحونة بقدرات سحرية تجعلها مرغوبة بين الأقاليم المختلفة.

مصطفى:

دعونا نترك الحديث عن العملة. ألم تلاحظوا ما قالته السيدة؟ تقول إن الرجال غير موجودين هنا.

أوما حمزة بجدية قائلًا بصوت ملؤه القلق:

أجل، يبدو أن هناك سرًا دفينًا وراء هذا المكان فالملكة تعج بالنساء فقط دون أي أثر للرجال.

نظرت هاتور نحو الطريق من النافذة ثم قالت وهي تتطلع نحو قصر الحاكم الذي بدأ يظهر في الأفق:

ـ سنكشف هذا السر قريباً، ولكن علينا توخي الحذر في كل خطوة.

بعد قليل توقفت العربية أمام القصر حيث ارتفعت أعمدة الرخامية نحو السماء وامتزجت في المكان رائحة الأرض الرطبة بنسيم المساء. ترجل الجميع من العربة واحداً تلو الآخر، فسجم وقع أحذيتهم على الحصى مع أصوات الطبيعة المحيطة.

ـ لقد كان الطريق طويلاً وشاقاً، وأداؤك كان رائعًا.. قالت هاتور وهي تمد يدها للسانقة بخمس بانكور ثم اتبعت بسؤال عن اسمها رفعت السانقة رأسها قليلاً وقالت :

ـ اسمي لوسيتا.

كررت هاتور الاسم بهدوء، وكأنها تحاول حفظه:

ـ لوسيتا... اسم جميل.

ـ هاتور:

ـ يبدو أنك تعرفين الخيول كما يعرف الرسام لوحاته. هل تقضين معظم وقتك معها؟

أمالت لوسيتا رأسها نحو الخيول وقالت :

الخيل يا سيدتي تعلمك أكثر مما تعلمك الحياة. إنها وفيه لا تخون ولا تذنب.

وماذا عن بنى جنسك؟ ألا تجدين بينهم من يشبه وفاء الخيل؟

انحرفت زاوية فم لوسيتا بابتسامة ساخرة:

ربما لو كان هناك رجال في إيفيرمور لبحثت بينهم عن وفي.

هاتور:

الكنوز تظهر عندما لا نتوقعها و ربما تجدين ما تبحثن عنه يوماً ما.

رفعت لوسيتا حاجبها باستخفاف مرح، ثم أمسكت بلجام الخيول بإحكام.

إن حدث ذلك، فسأصدقك لكن حتى ذلك الحين، سأكتفي بخيولي.

شدّت على السوط وضربت الهواء، مما جعل الخيول تصهل بحماسة.

و قبل أن تنطلق، التفت إلى هاتور مرة أخرى وقالت بصوت عالٍ

حافظي على هؤلاء الرجال معك، فالزمن يأخذهم منا أسرع مما نعتقد.

ثم اندفعت الخيول بقوة كأنها تسابق الريح، وارتفعت معها أصوات العربة التي راحت تبتعد شيئاً فشيئاً. ثبتت هاتور قليلاً في مكانها،

تراقب العربية وهي تختفي تدريجياً في الأفق، تاركة خلفها أثراً من الغبار وكلمات محفورة في ذهنتها.

الحراس عند بوابة القصر كانوا جميعهم من النساء، يرتدين دروعاً بسيطة ولكنها متقدة الصنع، ويُمسكن برماح فضية. تقدمت إحداهن بخطوات ثابتة، لكن وجهها لم يخف صدمة عميقة عندما وقعت عيناهما على حمزة، وزيдан، ومصطفى حتى تسارعت كلماتها بصوت صارم:

ماذا تريدون؟

هاتور:

نريد رؤية الملك.

قطبت الحارسة حاجبيها وأجبت بحدة:

نحن لا يحكمنا ملك... هذه المملكة تحت حكم الملكة أوغستا.

تبادل الجميع النظرات في صمت، حيث ظهر الاستغراب واضحاً على وجوههم. الملكة؟ كان هذا مخالفاً لكل توقعاتهم. قالت هاتور مرة أخرى: وأين نجد الملكة أوغستا؟

ردت الحارسة:

هذا ليس من شأنك.

لم تتراجع هاتور، بل ازدادت إصراراً وقالت بصوت ثابت: أنا هاتور أميرة مملكة العوالم وأريد مقابلة من يحكم هذه المملكة فلدينا أمور هامة تستوجب لقاءها.

تبادلـت الحارسة نظرة طويلة مع زميلتها الواقفة بجانبها، ثم أومأت لها، لتفتحا معًا بوابة القصر.

اتبعوني.. قالت الحارسة متقدمة بخطوات واثقة.

دخلوا خلفها عبر ممرات حدائق القصر، التي زينتها الأشجار المشذبة والورود التي انتشرت بألوانها المختلفة.

وصلوا إلى مدخل القصر الفسيح، حيث نادت الحارسة على إحدى الخادمات:

أخبري الملكة أوغستا أن هناك من ينتظـرها.

اختفت الخادمة بين الجدران ولم تمر دقائق حتى ظهرت الملكة على الدرج الحلواني الذي تصدر القاعة.

كان مشهدـها ساحراً ترتدي ثوبـاً داكن اللون ينسـدل خلفـها كظلٍ مـمتد، وتزيـن رأسـها تاجٌ يليـق بـامرأـة تحـكم بـعـظـمة وجـالـلـ. مـلامـحـها حـادـة وقوـيةـ، لكنـ عـينـيهاـ كانتـ تشـعـانـ دـهـشـةـ مـخـلـطـةـ بـالـغـضـبـ.

توقفت الملكة في منتصف الدرج، ونظرت إلى الجمع الماشر أمامها بعينين متفحصتين. وفجأة انطلق صوتها :

هذا مستحيل لقد مات جميع الرجال هنا بسبب الوباء فكيف أنتم أحياء؟

تبادل حمزة، وزيدان، ومصطفى نظرات مليئة بالدهشة، لكنهم التزموا الصمت. كان واضحاً أن الملكة لم تكن تتوقع رؤية رجال على الإطلاق، وكأن وجودهم هنا خرق لقوانين الطبيعة.

نظرت هاتور إلى الملكة مباشرة وأجابت بثبات:

نحن لسنا من هذه المملكة اسمي هاتور تهان.

تغيرت ملامح الملكة:

هاتور بنت تهان... بنت ملك العوالم؟

أومأت:

نعم وهو لاء أصدقائي من البشر.

اكملت نزول الدرج وكل حركة منها تعكس هيبة امرأة تعودت أن تكون في موقع السلطة. عندما وصلت إلى نهاية السalam، انحنى قليلاً أمام هاتور وقالت:

مرحباً بك يا أميرة. شرف لنا أن تزورينا.

ثم رفعت ا رأسها وعينيها ما زالتا تحدقان في الرجال الذين خلف هاتور
وقالت :

هذا يفسر وجودهم أحياًء. لأن جميع رجال إيفيرمور... ماتوا لقد
اجتازهم وباء مميت يُدعى لعنة الظل. لم يترك أحداً منهم على قيد
الحياة.

قطبت هاتور حاجبيها وقالت باستغراب:

ما هذا الوباء؟ وكيف حدث ذلك؟

ارتعشت يد الملكة وهي تشير إلى المقاعد في القاعة الفسيحة. طلبت
منهم الجلوس، لكنها بقيت واقفة وقالت بصوت خافت يكسوه الألم:

لم يكن أيّ منا مستعداً لما حدث. كان يوماً عادياً مثل أي يوم آخر في
إيفيرمور. الملك أرماديوس الرجل الذي أحببته أكثر من أي شيء، كان
جالساً على عرشه، يخطط لإحدى الحملات لكن فجأة بدأ بالسعال.

ارتعش صوتها وهي تضيف:

في البداية ظننت أنه برد عابر. اقتربت منه ووضعت يدي على كتفه
وسألته إن كان بخير. لكنه رفع رأسه وعيناه... عيناه كانتا مليئتين
بالدموع وشفتيه ترتجفان. قال لي.... أوغستا هناك شيء خطاطي وقبل

أن يكمل بدأت حرارة جسده ترتفع بشكل جنوني. كان مثل الجمرة.
حاولت أن أطلب الحراس، لكنه أوافقني بإشارة، ثم...

توقفت، ووضعت يدها على صدرها قبل أن تكمل بصوت متهدج:

انتفخ جسده فجأة، كان هناك قوة شريرة تحاول تمزيقه من الداخل.
بطنه... بطنه انفجرت أمامي، وخرجت منها حشرات سوداء صغيرة،
حاولت الهروب منها، لكن صوته وهو يصرخ ظل يلاحقني. سقط جسده
أمامي بلا حياة.

رفعت عينيها الممتلئتين بالدموع، وقالت وهي تلتفت نحو الرجال:

أرسلت خادمة لطلب الحراس لكنها عادت لتخبرني أن ما حدث للملك
أصاب جميع الرجال. الحراس في الباحة، الجنود في الحصن، وحتى
الخدم الذكور... كلهم بدأوا بالسعال، وارتفعت حرارتهم، ثم جاء
 الانفجار الرهيب. كانت أجسادهم تتخلل أمام أعيننا، والحشرات تخرج
 منها، تلتهم كل شيء حولها.

جلست الملكة على أقرب مقعد وأغمضت عينيها لحظة كأنها تستجمع
 قوتها لتكمل الحكاية ثم قالت :

في البداية أصابنا الذعر. كان الجميع يصرخ يهرب في كل اتجاه.
الحشرات انتشرت في القصر كأنها طاعون حي. بعض النساء حاولن

القتال، لكن لا شيء كان يوقف تلك الكائنات كلما قتلنا واحدة ظهرت العشرات.

وبعد أيام من الفوضى، لم يتبق سوى النساء لم يكن لدينا خيار سوى دفن موتانا كنت أنا أول من حمل مجرفة ودفنا الملك أرماديوس في الحديقة الملكية، وكل جندي وحارس في مقابر جماعية خارج أسوار المدينة. كل امرأة منا مهما كانت منزتها، حملت جسداً أو حفرت قبراً. أيدينا كانت تنزف من كثرة العمل، وعيوننا لا ترى من كثرة البكاء. لكننا لم نتوقف وحين انتهينا من الدفن عدنا إلى القصر الذي كان يعيش بالحياة يوماً ما، ووجدناه أشبه بمدينة أشباح أصواتنا كانت تردد من الجدران، والفراغ يملأ المكان. لم يكن هناك وقت للحداد فكررت في الأطفال ماذا سيحدث لهم؟ كيف سنحميهم؟ فقمنا من تحت الأرض حولنا أنفسنا من نساء إلى محاربات عاملات، قاضيات بدمانا نزرع الحقول بأيدينا، نبني الجدران، وندير المملكة. أقسمنا أن نعيش ليس فقط من أجلنا، ولكن من أجل أطفالنا أيضاً. كنا نعلم أن لعنة الظل لم تنتهِ كل طفل ذكر يولد هنا يحمل في دمه الموت المؤجل عند بلوغه مائتي عام، تبدأ الأعراض... السعال، الحرارة، ثم الموت.

الفصل الخامس والعشرون "حديث مع الجسد"

وقفت هاتور ثم سارت بخطوات بطيئة نحو الملكة اوغستا وقالت:

نقدر ما تمررون به، ونعرف أن الجرح الذي تحملينه أكبر من الكلمات.
لكننا الآن لا نستطيع تقديم العون كما ينبغي علينا الوصول إلى العالم
السادس ومنه إلى العالم السابع وهناك سأخبر أبي بكل شيء
وسيستطيع مساعدتكم.

تنهدت الملكة وبدت على وجهها ملامح الحزن المستكين وقالت:

لأسف هذا مستحيل الآن فالباب إلى العالم السادس والمفتاح الذي
يفتح البوابة لا يمكن الوصول إليهما لأن المفتاح ملك للوريث الشرعي،
وهو ابني كاليسatar ولكن...

هاتور:

وأين هو ليحضر لنا المفتاح.. هل مات ..

لا ولكن المفتاح لن يستلمه من العالم الخامس إلا عند بلوغه .
وللأسف سن البلوغ هو 200 عام وهو السن الذي يموت فيه الأطفال
عند بلوغهم.

ابني سيبلغ بعد أسبوع واحد فقط، وهو اليوم الذي سيُتوّج فيه ملّاً..
ويكون أيضاً يوم وفاته.

حدق حمزة في الملكة بدهشة وقال:

ابنك سيموت .

أجابت أوغستا بصوت مرتعش:

كل أم تتنمى أن ترى ابنها في أرفع المناصب، خاصة إذا كان سيصبح ملّاً على شعبها. لكن بالنسبة لي، هذا الحلم تحول إلى كابوس. يوم تتوبيه هو يوم فقدانه سأخسره، كما خسرت كل شيء آخر.

ساد الصمت للحظة، ثم كسره زيدان بسؤال مباشر:

إذا كان كل الرجال في المملكة يموتون بسبب هذا الوباء، وإذا كان كل طفل ذكر يُصاب عند بلوغه فلماذا لم نصب نحن به؟

اوغستا:

لأنكم لستم من عالمنا أنتم من البشر هذا الوباء لا يمس البشر كما أن اعماركم لا تتجاوز ١٠٠ عام.

زيدان:

ولكننا بالغون وأصبحنا جزءاً من عالمكم بدخوله أليس كذلك؟

ابتسمت أوغستا بدورها وقالت بتساؤل:

هل تعني...؟

فاطعهما مصطفى وهو ينظر إليهما بتعجب:

ماذا تقولان؟ نحن لا نفهم شيئاً.

أوضحت :

ما يقصده صديقكم هو أن الوباء إذا لم يُصب البشر، فقد يكون هناك طريقة للاستفادة من هذه المناعة لحماية شعبنا. وربما يمكننا إنقاذ كاليسنار من مصيره إذا عرفنا كيفية تجاوز اليوم المشؤوم.

هز مصطفى رأسه وقال:

إذا كان هذا صحيحاً، فكيف نتأكد من أن تجاوز يوم البلوغ يعني النجاة؟ كل من في المملكة مات، وأعمارهم تجاوزت 200 عام.

أوغستا :

لا أعلم لكن لدي شعور قوي أن هذه لعنة وليس وبياء. لعنة قاتلت الآباء وتحكم على الأبناء بالهلاك في يوم بلوغهم. إذا تمكّن أحدهم من تجاوز ذلك اليوم، أعتقد أنه سينجو.

سأّلت هاتور:

هل لديكم مكتبة هنا؟

أجبت الملكة:

بالطبع المكتبة الملكية لكنها مهملة منذ سنوات.

هاتور:

عندما كنت في مملكة العوالم، قرأت كتاباً عن الأوبئة واللغنات ربما يكون هناك نسخة منه هنا إن وجدناه، فقد نجد الحل لهذه الكارثة.

صرخت أوغستا بأحد الخدم قائلة:

أحضرني مفتاح المكتبة حالاً.

ركضت الخادمة دون تردد، والملائكة تتحرك بخطوات متسرعة عبر الممرات الطويلة، تتبعها هاتور ورفاقها، والقلق الممزوج بالأمل يرتسم على وجوه الجميع.

توقفت أمام باب ضخم مزخرف بأقواس ونقوش غامضة. حتى وصلت الخادمة بالمفتاح وأدخلته في القفل بحذر، ثم أدارته بصعوبة حتى صدر صوت طقطقة ثقيلة دفعت بعدها الباب ببطء، فانفتح كاشفاً عن عالم بدا وكأنه تجمد في الزمن.

المكتبة شاسعة تمتد رفوتها إلى ما لا نهاية، تحفها درجات عالية تصل إلى طوابق أخرى. الغبار يغطي كل شيء، لكن روعة المكان لا تخفي. نوافذ ضخمة بزجاج ملون تلقي ضوءاً خافتاً على الطاولات والكراسي المنتشرة بشكل أنيق، كأنها تنتظر قارئاً منذ قرون.

هاتور لم تستطع إخفاء دهشتها وقالت وهي تنظر حولها:

يا إلهي... وكأننا دخلنا إلى قلب الحكمة ذاتها.

بينما قال زيدان، بابتسامة تتسم بالمزاح:

أتمني ألا تكون كل هذه الكتب عن الوصفات الملكية.

اوغستا:

هذه المكتبة كانت قلب المملكة. هنا درس العلماء، وكتب المؤرخون، وخطت قوانيننا. وعندما مات رجالنا، ماتت هذه المكتبة معهم.

بدأ الجميع بالتجول في المكتبة، كلّ منهم يبحث عن دليل قد يكون المفتاح لفك لغز هذا الوباء. همست هاتور وهي تمرر أصابعها على أغلفة الكتب:

لا بد أن الكتاب الذي نبحث عنه موجود هنا.

بينما اقترب حمزة من نافذة ضخمة تطل على حدائق القصر، أما زيدان فسلق سلماً صغيراً ليصل إلى أعلى رف، حيث كانت بعض الكتب مغبرة بشدة. لكن الملكة جلست عند طاولة طويلة وراحت تتفحص كتاباً بـدا ملوفاً لها، وكأنها تستعيد ذكرى عزيزة.

جلب هاتور كثير من الكتب التي قد اختارت بها نفسها ثم وضعتها على إحدى الطاولات وجلست لتفحصها. بدأت تقلب صفحاتها بعناية، مبحرة في عالم الكلمات كانت البداية مليئة بالإحباط، إذ قرأت عن لغات غريبة لم تتعلق بما تبحث عنه لغة تجعل الليل لا ينتهي،

وأخرى تتسبّب في ذبول الأرض وتحولها إلى صحراء، ولعنة الدم المتحول التي تقتل عبر الأحلام.

كما قلب المزيد من الصفحات، ازدادت ملامح القلق على وجهها.

لا شيء هنا يطابق ما نواجهه.. تمنت وهي تضع أحد الكتب جانبًا.

مضى الوقت، وبدا التعب يسيطر على الجميع لكنها واصلت بحثها بإصرار حتى رفعت رأسها أخيراً:

وجدته.

رفعت كتاباً قدّيماً بغلافٍ جلدي أسود ونقوش ذهبية بالية. كان العنوان محفوراً بحروف غريبة ((أسرار اللغات الملكية)) فتحت الكتاب وبدأت تقرأ بصوت عال، فتغيرت ملامحها فجأة وقالت:

ـ ها هي هذه اللعنة التي نبحث عنها.. اقترب الجميع لينصتوا لما تقول

...

ـ حين تنفصل الحماية عن العرش، تُطلق الدماء صرخاتها ويصبح الجسد وعاءً لل الألم الأبدي. بين البداية والنهاية يقف حامل العهد الأخير، شاهداً ومحفظاً للخلاص، والطريق لا يفتح إلا بنقاء عابر للعوالم. الشاهد والمطلق في كيان واحد، أما الحل فهو النقاء المفقود، ومواجهة العاصفة التي أيقظت الظل.

توقفت هاتور عن القراءة، ثم رفعت نظرها إلى الملكة وقالت:

ما معنى هذا؟ النص يبدو وكأنه لغز.

جلست اوغستا على أحد المقاعد ووضعت يدها على جبينها تفكّر بعمق، ثم قالت بصوت متردد:

الشاهد والمُطلق... هذا يعني أن أول من أصابته اللعنة هو الجذر، هو نقطة البداية لكل شيء. جسده يحتفظ باللغنة لكنه أيضًا المفتاح لإنهائها.

قال مصطفى محاولاً فهم النص:

وماذا عن النقاء المفقود؟ ماذا يعني ذلك؟

نظرت اوغستا إليه بتأمل وأجبت:

النقاء المفقود قد يكون إشارة إلى عنصر خارجي... شيء أو شخص لا ينتمي لعالمنا لديه نقاء من اللعنة مثلك.

قال مصطفى:

لا أصدق ان زيدان يعقل وتنبأ بمعلومة صحيحة.

زيدان ساخراً:

انا الأذكي بينكم ولكنكم اضعف من ان تعرفون بتلك الحقيقة .

تابعت هاتور قراءة النصوص، وعيناها تتسعان:

اللغة لا تولد إلا بلمسة الظل، والظل لا يستيقظ إلا بنفوسٍ حاقدة.
فالطقوس القديمة تُدفن، لكنها لا تموت لأن إيقاظها يكون بيد عبّثت
بالخيوط المخفية، وسيظل الباب مغلق إلا لمن صنع المفتاح.

انكمشت ملامح الملكة وهي تتبع التفسير:

هذا يؤكد شكوكي المشعوذة التي تبعد عن القصر... هي من استغلت
الطقوس القديمة وعبّثت بها. كانت تحقد على المملكة ولطالما تحدثت
عن لعنة سُّسْقَط الرجال.

فهز زيدان واقفاً وقال:

إذاً علينا أن نجد المشعوذة أولاً لأنها المفتاح.

هزت الملكة رأسها ببطء وأضافت:

لكن النص يشير إلى أن المواجهة ليست سهلة. العاصفة التي أيقظت
الظلال ... ربما تعني أن المشعوذة ليست مجرد امرأة عاديه. قد تكون
استمدت قوتها من شيء أعمق.

قرأت هاتور نص آخر.

الظل لا يواجه وحده، إنما يُبَدَّد بالنور. والوعْد المقطوع يُجْبِر حين يُكْسِر القيـد الأول. طرـيق الخلاص يـمر بـجـسـد الـأول . والعـنصـران مـتـحدـان لـكـن لا يـسـلـمـان دون ثـمنـ.

ارتعشت يـد اوـغـسـتا وهـي تـتـحـدـثـ:

الـجـملـةـ الـأـخـيـرـةـ... العـنـصـرانـ مـتـحدـانـ... تـعـنـيـ أنـ الـحلـ يـتـطـلـبـ الـجـسـدـ الـذـيـ يـحـمـلـ الـلـعـنـةـ، وـجـانـبـاـ خـارـجـيـاـ مـنـ عـالـمـ مـخـتـلـفـ. أـنـتـمـ مـفـاتـحـنـاـ، لـكـنـ هـذـاـ أـيـضـاـ يـعـنـيـ أـنـ الـمـوـاجـهـةـ مـعـ السـاحـرـةـ سـتـكـونـ أـخـطـرـ مـاـ نـتـصـورـ.

نظرـتـ هـاتـورـ إـلـىـ الـمـلـكـةـ وـقـالتـ:

أـينـ دـفـنـتـ الـمـلـكـ السـابـقـ؟

أـجـابـتـ:

لـقـدـ قـلـتـ لـكـمـ فـيـ حـديـقةـ الـقـصـرـ.

قالـ حـمـزـةـ :

لـنـ نـتـرـاجـعـ إـذـاـ كـانـ هـذـاـ هـوـ الـطـرـيقـ الـوـحـيدـ لـإـنـقـاذـ الـمـلـكـةـ وـالـوـصـولـ إـلـىـ الـعـالـمـ السـادـسـ، فـلـنـمـضـ إـلـيـهـ.

تحت أضواء القمر الباهتة قادت الملكة أوغستا المجموعة إلى حديقة القصر الخلفية. توقفت عند بقعة هادئة وأشارت إلى الأرض بحزن عميق، قائلة:

هنا... هنا يرقد الملك.

تقدمت إحدى الحراسات بصمت، تحمل بين يديها ثلاث مجارف قدمتها إلى حمزة ومصطفى وزيدان. أمسكوا بها وتبادلوا نظرات متعددة قبل أن يبدأوا الحفر.

اوغستا وقفت عينها مثبتتان على الأرض التي تحتوي رفات زوجها. نظراتها حملت مزيجاً من الحزن والرهبة:

لم أتخيل يوماً أن أراه يُخرج من مرقده... لكن لا خيار آخر لدى فإذا كان هذا هو السبيل الوحيد لإنقاذ ابني وشعبي، فلا بد أن أواجه هذا الألم.

قالت هاتور بلطف، محاولة تهدئه اوغستا:

ـ نحن هنا بجانبك لن تكوني وحدك في هذا.

الأرض قاسية والجذور ملتفة كأنها تحاول حماية ما دُفن تحتها. العرق يتصلب من جهاد الرجال بينما كانت أصوات الحفر تتداخل مع صمت الليل الثقيل.

وبيّنما اقتربوا من عمق القبر، أوقفتهم أوغستا بيد مرتجلة وقالت:
_تمهلو... اقتربتم كثيراً. انحنت على ركبتيها لتراقب ما يظهر من الأرض.

حين لمسوا الصندوق الحجري الذي احتوى الجسد، توقفت أنفاس الجميع للحظات حتى فتح حمزة الغطاء بحذر، وضعت الملكة يدها على قلبها لأنها تحاول تهدئة ضرباته المتسرعة.

ظهر الملك في حالته التي توقفت بها الحياة عنه، جسده يحمل آثار الوباء التي وصفتها لوسيتا من قبل. بطنه المنتفخ الذي انفجر ذات يوم لم يعد إلا فراغاً مشوهاً، وعيناه المغلقتان كانتا تحكيان فصول الألم الأخير.

تراجعت اوغستا خطوة إلى الوراء، وغضت وجهها بكفيها، وقالت بصوت مختنق:

كنت أتمنى لا أضطر أبداً لرؤيه هذا المشهد مرة أخرى...

همست هاتور:

سنعيد الأمور إلى نصابها وعدّ مني ثم أضافت:

الآن علينا أن نفهم، ونتبع التعليمات بدقة.

قال زيدان مشيراً إلى اوغستا:

لو كنت لا تريدين رؤية هذا، فنحن أكثر منك لا نرغب بذلك. ولكن هذه ليست مسألة رغبة بل ضرورة.

رفعت الملكة رأسها ومسحت دموعها :

أعلم ذلك... أعلم وسأفعل ما يلزم فقط... فقط أحتاج لحظة.

قال زيدان :

خذلي لحظتك، لكن تذكري أن الوقت ليس في صالحنا.

بعد قليل اشارت لهم فبدأ الرجال برفع الجسد المتحلل من القبر ببطء بينما الرائحة الكريهة اخترقت أنوفهم مما جعلهم يشعرون بالغثيان. حاولوا جاهدين تجاهل منظر الجسد المشوه وآثار الوباء التي نهشته

أمسك مصطفى بشعلة مضيئة، واقترب ليمنح هاتور الضوء الكافي. بدأت تفحص الجسد بعناية وملامحها تحمل مزيجاً من التركيز والأشمئزاز استخدمت أدواتها بحذر، متجنبة لمس الأجزاء التي بدا أنها قد تتحلل بمجرد ملامستها.

اقترب حمزة متماشياً بقدر استطاعته وقال بنبرة ساخرة :

لم أتخيل يوماً أن ينتهي بي الحال هنا، أرافق جثة متحللة في وسط هذا الليل البارد.

رد مصطفى وهو يحاول كتم أنفاسه:

صدقني، كنت أفضل أي شيء على هذا المشهد.

لكن هاتور لم تكن تسمعهم. كانت منصرفة كلياً إلى الجسد دفعت أصابعها إلى داخل الججمة المتشقة بحذر وعيناها مغلقتان، تهمس بكلمات غريبة فجأة، ارتجفت كأنها ترى شيئاً لا يمكن تصديقه.

فتحت عينيها ببطء وقالت بصوت مشوب بالرهبة:

رأيت معاناته... المرض لم يترك له فرصة رأيت كيف التهمه من الداخل وكيف اختنق ببطء حتى النهاية.

هناك شيء اراه ما هذا... لم تكمل الحديث.

أكملت الفحص أناملها تمر على العظام المتهدلة، تتفحص التفاصيل التي قد تحمل الإجابة. أضاء سحرها الأزرق المكان للحظات.

فتقوفت فجأة ثم رفعت رأسها ونظرت إلى الجميع بدهشة:

الملك... لم يكن أول من أصابه الوباء.

تبادل الجميع نظرات الدهشة والقلق.

سأله حمزة :

إذا لم يكن هو الأول، فمن كان؟

أجابت هاتور وهي تنهض ببطء:

ـ هناك شخص آخر... شخص أصيب أولاً جسده يحمل الإجابة التي نبحث عنها. إن لم نجد له نعرف كيف بدأت هذه اللعنة، ولن نعرف كيف تنهيها.

قالت اوغستا وهي تحاول استيعاب الأمر:

ـ لكن... من يكون؟ وكيف نجد من بدأ هذه الكارثة؟

صمتت هاتور للحظة ثم قالت:

ـ علينا أن نجد الأصل حتى ننهي على الفروع.

اوغستا بصوت متهجد :

ـ ربما تجدي الإجابة في المقبرة الجماعية هناك حيث دفنا جميع الرجال الذين ماتوا باللعنة إن كان هناك أول من أصابه هذا الشر، فسيكون بين هؤلاء.

نظرت هاتور إلى الملكة ثم سالت:

ـ وأين تقع هذه المقبرة؟

ردت اوغستا وهي تشير بيدها على الأفق:

في الغابة السوداء، هي على بعد نصف يوم من هنا. سأرسل معكم
حارستي الشخصية، إنها الأوفى بين الجميع وستقودكم إلى هناك بأمان.

نهضت الملكة نحو إحدى الحارسات الواقفات خلفها امرأة قوية البنية
ذات نظرات حادة تعكس ولاءها الذي لا يتزعزع.

قالت لها بصوت حاسم:

سيلفارا أنتِ مرافقة لضيوفنا كوني دليلتهم وحاميتها حتى يصلوا إلى
المقبرة.

انحنىت الحارسة برأسها احتراماً وأجابت :

أمرك يا مولاتي.

تحرك الجميع نحو عربة تنتظر عند بوابة القصر. كانت العربة ذات
تصميم فاخر، لكن مغطاة بطبقة من الغبار تدل على قلة استخدامها.
كانت السائقة امرأة عجوز ذات يدين خشنتين، تمسك بـ لجام الخيول
بمهارة واضحة، نظرت إلى الركاب بنظرات متحفصة قبل أن تشير لهم
بالدخول.

جلست هاتور بجانب سيلفارا التي أمسكت بسيفها بثبات، بينما جلس مصطفى وزيدان وحمرة على المقاعد المقابلة، يتداولون نظرات قلقة.

قال مصطفى محاولاً كسر الصمت:

الغابة السوداء... تبدو كأنها من قصص الرعب. هل سبق لأحد أن عاد منها سالماً؟

ردت سيلفارا دون أن تلتفت:

الغابة مظلمة ومخيفة، لكنها ليست قاتلة بحد ذاتها لكن ما يخيف النساء هو ما يروونه عن أشباح الرجال الذين ماتوا باللعنة. البعض يقول إن أرواحهم لا تجد الراحة، فتظهر لطارد من يقترب.

علق زيدان بنبرة ساخرة:

أرواح الرجال الغاضبة، يبدو أن المغامرة تصبح أكثر إثارة.

نظر مصطفى إلى زيدان مبتسمًا بخبث وقال:

الآن تتحدث عن الأشباح والرعب بكل حماسة أين كان هذا الحماس عندما نادتك النداهة كنت تعمم وتصرخ كطفل صغير:

لقد نادتني لقد نادتني.

رد زيدان متوجهًا:

كنت أحذركم الصراخ كان استراتيجية دفاعية.

قهقهه مصطفى وقال:

استراتيجية دفاعية؟ يا رجل صوتك كان أشبه بزئير قطة ضربت بالماء
أين الدفاعية في ذلك؟

تدخل حمزة ضاحكاً: وأين كانت استراتيجيةك عندما كنت تدفعني للأمام
و تقول كن في المقدمة النداهة لا تحب أصحاب العضلات.

رفع زيدان حاجبيه وقال بثقة مصطنعة:

كنت أختبر شجاعتك، ما فعلته كان تدريباً عملياً على قيادة المواقف
الصعبة.

مصطفى بصوت متهم:

قيادة المواقف الصعبة تقصد قيادة الهروب لقد كنت أسرع من
الخيول، بل كنت تسيق صراخك نفسه.

رد زيدان :

دعونا لا ننسى، الفارس الجيد ينسحب ليعود أقوى.

مصطفى وهو يضحك حتى كاد يسقط:

أنت لم تنسحب، أنت طرت.

ضحك الجميع بصوت عالٍ، حتى أن زيدان نفسه لم يتمالك نفسه وقال:
حسناً أتعرف... النداهة كانت مخيفة جداً.

توقفت العربة فجأة تاركةً هدوء الغابة يلتهم الأصوات. أطل مصطفى
من النافذة، وجهه يفيض بالقلق ثم سأله:

ماذا يحدث؟ هل وصلنا يا سيلفارا؟

أجبته بقلق:

لا... لم نصل بعد.

اندفع مصطفى خارج العربة، ليجد المرأة العجوز التي كانت تقود العربة
مكبلة بالسلسل وجهها شاحب، وعيناه غارقتان في خوفٍ صامت.
نادى على من في العربة، وحاول بكل جهده فك تلك السلسل الثقيلة.

بينما كان مصطفى يناضل مع القيود سأله العجوز:

من فعل بك هذا يا عمتى.

رفعت المرأة رأسها ببطء، نظرتها تائهة لكنها ثابتة على نقطة واحدة
ومن بين الظلال الكثيفة برزت لوسيّتا تسير، كما لو أنها ملكة ذلك
الظلم.

قال مصطفى متراجعاً قليلاً بدهشة:

أنت... أنت المرأة التي أوصلتنا إلى القصر

خرج بقية الركاب وعلى رأسهم هاتور، التي نظرت إلى لوسيتا بتحمّلٍ
واضح، وسألتها بصوت بارد :

ماذا تفعلين هنا؟

اقتربت لوسيتا قليلاً قائلة بنبرة ساخرة:

لقد قلت لك ذات مرة حافظي على الرجال، لأنهم ثروة ولكن ما كنت
أقصده حقاً... أن تحافظي عليهم مني.

ومع كلماتها، ظهرت خلفها مجموعة من النساء، وجوههن تحمل
علامات الحزن والحرمان وأعينهن تعكس حاجة لم تُشبّع لعقود.

تابعت لوسيتا:

لقد حُرمنا من الرجال لعشرات السنين. لم يعد فينا صبر نحن لا نريد
 سوى الحنان، أن نشعر أننا نساء مرة أخرى لقد اشتقتنا لوجود الرجال
 بيتنا.

ردت سيلفيرا بحدة:

أنت مجنونة هؤلاء الرجال تحت حماية الملكة لا يمكنك حتى التفكير بالاقتراب منهم.

ضحك لوسيتا بسخرية مرة أخرى وقالت:

حماية أي حماية؟ هل حمت زوجي من الوباء الذي اجتاح المملكة؟ هل منعت ابني من الموت عندما بلغ 200 عام؟ هل ستتوفر لي ابنتي زوجاً في المستقبل أين كانت ملكتك عندما فقدنا كل رجالنا؟ ملكتكم لا تستطيع حماية حشرة الرجال سيفرون معنا، وسنأخذهم بالقوة إذا لزم الأمر. فحن عشنا ما يكفي من الوحدة والعجز.

قال زيدان بصراحة:

قد تعانون من الوحدة، وقد تكون حياتكن مليئة بالألم. لكن ذلك لا يعطيك الحق في خيانة شرفك الشرف أثمن من أن يُباع في لحظة ضعف أو يُنس بداع شهوة عابرة.

لم يبدُ أن كلمات زيدان أثرت في لوسيتا، بل ردت بابتسامة خبيثة:

فات الأوان نحن قررنا ولن تمنعنا الكلمات بعد الآن.

ضحك حمزة بسخرية خفيفة وقال:

لا نريد أن نستخدم قوتنا ضدك، يبدو أنك تجهل من نحن.

تقدمت هاتور خطوة وجهها يفيض غضباً مكبوتاً وقالت:

لقد تماديتن تحركن فوراً وإلا سترون ما لا يعجبكن.

ردت لوسيتا :

إذا لم نأخذ الرجال، سنقتلكم جميعاً ثم نأخذهم على أي حال.

ضحك هاتور بهدوء، نظرتها ثابتة في عيني لوسيتا وقالت ببرود :

أنتم من طلبتم هذا المصير.

خطت سيلفارا الى الأمام ، ثم نظرت إلى الرجال قائلة:

هذه معركة النساء اجلسوا واستمتعوا بالمشهد ولا تتدخلوا .

صمت المكان للحظة، قبل أن تنفجر السماء بصيحة من هاتور التي ارتفعت عن الأرض فجأة كأنها عاصفة هو جاء تجسدت في جسد امرأة. عيناهما أضاءتا بوهج أبيض مخيف وملامحها تبدلت لتشع قوة وغضباً. طارت بسرعة جنونية نحو النساء، كالنسر الذي يهاجم فريسته، وبدأت تضربهن واحدة تلو الأخرى، كل ضربة كانت كأنها صاعقة تسقطهن أرضاً دون مقاومة.

لكنهن لم يكن سهلات المنال. النساء، رغم سقطاتهن الأولى، بدان بالتحرك بتناائم كأنهن جيش مدرب، خطواتهن موحدة، وحركاتهن مصممة لخلق حصار حول هاتور. هجماتهن كانت قوية ومنظمة، كل

واحدة تسدد ضربتها في توقيت مثالي، وكأنهن يحاولن السيطرة على الغضب الذي أصبح جسداً أمامهن.

لم تنتظر سيلفانا طويلاً. دخلت وسط المعركة بسيفها الطويل الذي لمع تحت ضوء القمر. ضرباتها كانت حاسمة وسريعة، تشتبك مع واحدة ثم تلتف لتصد هجوم الأخرى. كانت كالرياح القاطعة، تتنقل بينهن بخفة وقوة، ترفع صوتها كأنها قادحة جيش تنادي بأمر النصر.

على جانب المعركة، وقف زيدان مستنداً إلى العربة، يراقب المشهد بابتسامة عريضة وكأن كل ما يجري أمامه مجرد تدريب ممتع. رفع صوته بتشجيع واضح، وقال:

هذه هي الشجاعة الحقيقية يا حبيبتي، اهزميهن أريههن من هي هاتور أنتِ من ستدافعي عن كرامتنا أطفالنا في المستقبل. هيا يا ملكتي، لا تخيفي ظني!

ابتسامة هاتور رغم انشغالها في القتال، ظهرت للحظة عندما سمعت كلمات زيدان. لكن لم يكن هناك وقت للإلهاء. هجوم النساء كان يزداد ضراوة، وكلما سقطت واحدة، كانت أخرى تهاجم من الخلف.

وفي لحظة، توقفت هاتور في الهواء، كأنها تحولت إلى تمثال من الرخام، وأغمضت عينيها. رفعت يديها ببطء، وبذات كلمات غريبة ترددت في الهواء. أصوات غير مفهومة خرجت من شفتيها.

فظهرت سلاسل ذهبية من سحرها تضيء في الظلام التفت حول النساء واحدة تلو الأخرى، تقييد أيديهن وأرجلهن، وتسقطهن أرضاً كأنهن دمى عاجزة. صرخات النساء تحولت إلى همسات خافتة، وبدأت قوتهن تتلاشى تحت تأثير السحر الذي أحاط بهن.

وقفت هاتور في وسط ساحة القتال وجهها صارم وعيناها تعودان إلى لونهما الطبيعي قالت :

لقد حذرتك وهذا هو جزاء من يبعث معي ومع رجالـي.

اقترب زيدان يصفق ببطء :

رائع لم أتوقع أقل من ذلك يا حبيبـي. يجب ان نحتفل بكـ.

ابتسمت هاتور أخيرـاً، وتنفسـت بعمق وقالـت :

الاحتفـال؟ فلنـهي هذا أولاً ثم نتحدث عن الاحتفـالـات.

توجه مصطفـى نحو النساء المكـباتـاتـ، ووقفـ أمامـهنـ . أخذـ لحظـةـ ليـجمـعـ أفـكارـهـ ثـمـ تـحدـثـ :

لقد وقـعتـنـ فيـ فـخـ ذـلـكـ الفـخـ الذـيـ يـنسـجـهـ اليـأسـ عـنـدـمـاـ يـفـقـدـ الإـنـسـانـ الـبـوـصـلـةـ. أـنـتـنـ لـسـتـنـ مـجـرـدـ نـسـاءـ حـرـمـنـ مـنـ رـجـالـهـنـ، بلـ أـرـوـاحـ قـاـوـمـتـ الـمـسـتـحـيلـ وـبـنـتـ مـلـكـةـ مـنـ رـمـادـ الـحـزـنـ وـلـكـنـ الـآنـ... الـآنـ تـنـتـازـلـنـ عـنـ كـلـ هـذـاـ أـمـامـ رـغـبـةـ زـانـفـةـ؟ـ فـقـدـانـ الشـيـءـ لـاـ يـعـنيـ الـحـرـمـانـ مـنـهـ. اللهـ خـلـقـ

فينا شوفاً للطرف الآخر لكنه خلقه أيضًا محاطاً بالمسؤولية والشرف.
الحب ليس غرضاً يمتلك ولا رغبة تُشبع، إنه عهد مقدس لا يتحقق إلا
في الحال. أتذكرون هذا العهد؟ أتقبلن أن تحولن إلى نساء تحرکهن
شهوة لا تختلف عن عرائز الحيوانات؟

لقد وقفت وحدكنا بعد أن رحل رجالكنا، تحملتن الوحدة والعذاب، وأثبتتم
أنكن لستن بحاجة إلى منفذ فلماذا الآن تخترن السقوط؟ أنتن أقوى مما
تظنن القوة ليست في الاستسلام للرغبات، فإن اخترتن السير في هذا
الطريق المظلم، ستفقدن كل ما حققتن وستصبحن عبيداً لرغبة لن تشبع
أبداً.

وقف مصطفى للحظة ونظر إلى لوسيتا مباشرة :

اسألي نفسك يا لوسيتا... ماذا ستقولين لطفلك إذا عدت الليلة
وسألتك: كيف حفظت لي كرامتي يا أمي هل ستجيبينها بفخر أم
بخجل؟

كانت كلماته كالصاعقة التي مزقت جدران الصمت. دموع الندم بدأت
تتسدل إلى عيني لوسيتا، وملامحها التي كانت ملتهبة بالغضب تحولت
إلى خجل عميق. لم تستطع النظر في عينيه مجدداً ثم همست بصوت
 مليء بالحزن:

أخطأتنا... لم نفكر في أفعالنا أو عواقبها.

فأومنت احساس الخجل ورفعت عينيها لتنظر الى مصطفى الذي أكمل:
الاعتراف بالخطأ هو البداية. ولكن الأهم أن تتعلم مني منه، حريتكم
 ليست في نزع السلسل من أيديكن، بل في نزع اليأس من قلوبكن.
 اختارناليوم بين أن تكونننساء يفتخر بهن أطفالهن، أو أن تصبنن
 قصة تحكي كتحذير لمن يضيع نفسه.

قالت لوسيتا بصوت يملؤه الندم:

نأسف على فعلتنا.. الحرمان جعلنا كأشباح تائهة ابته المبيت في بيت
 الشرف، ولكن الآن أدركنا أن مكاننا الحقيقي داخله ولن نخرج من هذا
 البيت مرة أخرى، ولن نسمح للإيأس بأن يقودنا مرة أخرى.

تقدمت هاتور نحو النساء، نظرتها حادة ولكنها بدأت تلين مع كلمات
 لوسيتا. رفعت يدها ببطء، فانحلت السلسل السحرية التي كانت تكبلهن.

ثم قالت لهن :

لقد اخترتن الطريق الصحيح الآن فلا تنسوا هذا الدرس أبداً، فالخطأ
 الأول يمكن غفرانه، ولكن التكرار لن يترك فرصة للرحمة.

بعد لحظة تحركت المجموعة للعودة إلى العربية. وعندما بدأوا
 بالاستعداد للانطلاق، وقفت السانقة العجوز ونظرت إلى زيدان
 بابتسامة خبيثة وقالت:

يا فتى... تزوجني.

تجمد الجميع في أماكنهم للحظة، قبل أن تنفجر سيلفرا في ضحكة خافتة وهي تغطي فمهما. نظر زيدان إلى العجوز بعينين واسعتين من الصدمة، وقال:

اتزوجك؟ ألا ترين أنك بعمر جدي؟ وإذا بحث عن عمرك هنا قد أجده تجاوزت ١٥٠٠٠ عام

تابعت العجوز بخبث :

لكنني ما زلت مثيرة، أليس كذلك؟

صمت زيدان لبرهة، ثم نظر إليها نظرة تحمل مزيجاً من السخرية وقال:
لا أرى فيك سوى أنك مثيرة للشفقة.

ضحك العجوز وهي تهز رأسها وقالت بابتسامة ماكرة:

حتى وإن كان الأمر كذلك، المهم أن هناك إثارة أليس كذلك؟^{١١}

انفجر حمزة في الضحك من خلف العربية، وقال ممازحاً:

يبدو أن لديك معجبة يا زيدان ربما يجب أن تفكر بالأمر.

رد زيدان وهو يلوح بيده ليصرف الحديث:

ـ كفى مزاهاً لدينا أمور أكثر أهمية الآن... ثم تتمت لنفسه: اصوم
اصوم وافطر على تلك الكهله.

الفصل السادس والعشرون "حين يبكي القدر"

بعد قليلة من السير توقفت العربة عند أطراف المقبرة. نزل الجميع بوجوه يعلوها التعب والتوجس، ليقفوا أمام صخرة سوداء كبيرة. على سطحها المحفور بخطوط متآكلة ظهرت العبارة ((هنا يرقد رجال مملكة إيفيرمور)).

اقترب حمزة بخطوات بطيئة، عيناه تجولان فوق الأرض المتشفقة.
حتى قال بصوت جاد:

ـ حفرت هناك لأنهم دفنتوا الملك... فقد كان شخصاً واحداً فقط، لكن لن أحفر هنا لي استخراج كل هؤلاء.

رد مصطفى وهو يهز رأسه موافقاً:

ـ معك حق الحفر العشوائي لن يُفيدنا بشيء.
سيفارا، بثقة تقدمت وسط المقبرة حيث كانت الأرض أكثر ظلماً.
ركعت، ومدت يديها برفق إلى التراب البارد. كان صوتها عميقاً ومهيباً:

يا أرض المصائب واللغنات، يا شاهدة على موتٍ لم يكن رحيمًا، ويا حاملة بقايا أرواح أبيدت في صمت. أنا من يخاطبك اليوم بلسان الحياة وطلب السلام. أطلقني من دفتيهم كي يُروي الحق ويُغلق هذا الفصل الملعون استجبي لي كي لا تظلّي سجينه للعنة أبدية.

بدأت الأرض تهتز برفق، وكأنها تستجيب، ثم تصاعد الاهتزاز لأن نبضًا مخيفًا ينبعث منها. فجأة تمزق التراب بصوت أشبه بصراخ مكتوم، وخرجت الجثث من أعماق الأرض.

الأجساد مشوهة بشكل مرروع. تحمل بقايا الرعب الذي عاشه في لحظاتهم الأخيرة. كان الطاعون الذي أصابهم قد مزق بطونهم في حياتهم، تاركًا فجوات كبيرة تشبه الندوب المفتوحة. انتشرت رائحة الموت والخوف.

أجسادهم كانت متيسّة، مغطاة بقرروح سوداء متشققة، ومن بعض الجروح العميقـة، لا تزال حشرات صغيرة تخرج ببطء، ملابسـهم تحولت إلى خرق بالية، مبللة بآثار سوائل جفت على مر الزمن.

قالـت هاتور بصوت مبحوح:

ـ هذا هو أثر العنة... لا حياة ولا موت بل ظلام أبدي.

ـ سيلفارا:

لقد أجزت الأرض ما طلبته منها.. الآن انهي المهمة قبل أن تغلق الأرض أبوابها عليهم مرة أخرى.

تحركت هاتور بين الجثث. كانت أصابعها ترتجف، ولكنها كانت بحاجة إلى هذه اللحظات لتقرأ أفكارهم، لتكشف سرًا مخفياً في جوفهم. تنقلت بين الجثث المقززة، تلامس رؤوسهم، تحاول أن تسترق السمع إلى أفكارهم الميتة، لكن لا شيء كان يكشف عنها. كانت تتنقل بسرعة كالشبح، عينيها متتسارعتين بحثاً عن أول من أصابه اللعنة.

مرت ساعات طويلة حتى انبلاجت أول خيوط الفجر شعرت هاتور بالتعب الشديد وأصابتها الإرهاق من كثرة التنقل. وأيضاً أصابها شعور قاتل باليأس، وكأن الجثث كانت متشبّثة بأرضها، لا ت يريد أن تُكشف أسرارها.

قالت سيلفارا، بينما كانت تشاهد هاتور بتوتر:

ستبتلع الأرض الجثث من جديد، فعليك أن تجدي أول من أصابته اللعنة. الوقت ليس في صالحنا.

هرّت هاتور رأسها في صمت، ثم استجمعت قواها وأكملت. كل خطوة كانت أصعب من سابقتها، ولكنها كانت تعلم أن النتيجة كانت ستكون قاتلة إذا لم تتمكن من الكشف عن أول من أصابته اللعنة.

وفي لحظة، وكأن الجثث أصبحت تدور حولها حتى سقطت على ركبتيها، كان زيدان خلفها، شعر بما تعانيه وقف بجانبها وضع يده برفق على كتفها. وقال :

لقد فعلت كل ما بوسعك فلا ثمن لي نفسك فوق طاقتها، وأي كانت أنا معك.

رفعت رأسها وابتسمت ابتسامة صغيرة رغم تعبها، وكأنها تستمد قوة جديدة من كلمات زيدان. نظرت إليه بعينيها المفعمتين بالحب وقالت :
زيدان، إذا نزلت الجثث الآن فستظل الأرض تحتفظ بهم إلى الأبد لن نتمكن من إعادتها مرة أخرى ولن نعرف من بدأ اللعنة.

رد زيدان بنبرة واثقة حتى وإن كانت مخاوفه واضحة :

لكنني أعلم أنك قوية، وأنك ستتجدين الطريق أنا أثق بك أنت قادرة على فعلها.

صمتت هاتور لثواني، ثم ابتسمت ابتسامة غامضة و بدأ جسدها يرتفع ببطء عن الأرض وشاع أخضر يتوجّح حولها مكون سحب من الطاقة السحرية تقلب الضوء الأخضر في الهواء بشكل مخيف. كان هذا السحر الذي لم يعرفه سوى القليل.

ثم تكلمت بصوتٍ عميق، أضافت له التعويذة في الهواء المحيط بها. بدأت كلماتها تتردد في الفراغ، وكل كلمة كان لها صدى كالرعد في العقول الميتة كانت كلماتها مسمومة، مشحونة بقوة عتيبة.

قالت بصوتٍ رهيب تتلو التعويذة:

أيها الأموات الذين امترجت أرواحكم مع تراب هذه الأرض الملعونة، أيها الذين تسربت إليكم لغنة الموت حتى صارت جزءاً من كيانكم الممزق... أستدعיכم الآن، بأصوات لا تسمعونها، بأيدٍ لا تلمسونها. ولو للحظات، سأطرح سؤالاً واحداً، والإجابة واحدة التي ستخرج من بين شفاهكم الباردة من بدأ هذه اللغنة؟ من منكم كان أول من أصابه السم الذي يلعن الزمن؟ أجيبوني... أجيبوني بما تحفظ به قلوبكم الميتة، تلك التي أكلتها العفن وأطفأها الظلام، ولا تملك سوى أنين العذاب .

بينما كانت تهمس بتلك الكلمات، بدأت الأرض تحت قدميها بالاهتزاز. هالها الضوء الأخضر الذي كان يتناثر حولها وكأنها تسيطر عليه، مثلاً تسيطر الرياح على الأوراق المجففة. انتشر السحر في كل مكان، يتلوى حول الجثث كأفعى ضخمة. كانت الجثث ترتعش، وتبدأ في إظهار علامات غير طبيعية، وأصوات غريبة تبدأ في الخروج من أفواههم، وكأنهم يجيبون :

من أصابته اللعنة، دفن تحت أرضٍ تعيش فيها من أطلقـت اللعنة، ثم
كرر الصوت مره أخرى.

من أصابـته اللعنة، دفن تحت أرضٍ تعيش فيها من أطلقـت اللعنة.

صمت كل شيء بعد أن قالت الجثـث كلمـتهم وفجـأة بدأت الأرض تهـتز
مجدـداً، وكـأنـها تفتح فـمـها عـلـى مـصـراـعـيه ثم ابتـلـعـتـ الجـثـثـ مـرـةـ آخـرىـ.

قال زيدان :

ماـذـاـ يـعـنـيـ ذـلـكـ؟

أـحـبـتـ هـاتـورـ وـهـيـ تـفـكـرـ مـلـيـاـ:

يـعـنـيـ أنـمـنـ أـطـلـقـتـ اللـعـنـةـ هـيـ مـنـ دـفـتـ الجـسـدـ الـأـوـلـ،ـ وـهـيـ الـوـحـيـدةـ
الـتـيـ تـعـرـفـ طـرـيقـ إـنـهـاءـ اللـعـنـةـ.

نظرـتـ هـاتـورـ إـلـىـ سـيـلـفـارـاـ وـسـائـلـتـهـاـ:

مـنـ السـاحـرـةـ التـيـ تـشـكـ بـهـاـ الـمـلـكـةـ؟

قـالـتـ سـيـلـفـارـاـ بـثـبـاتـ:

إـنـهـاـ السـاحـرـةـ دـيـمـيـنـاـ تـعـيـشـ بـالـقـرـبـ مـنـ هـذـهـ الـمـقـبـرـةـ،ـ عـلـىـ بـعـدـ نـصـفـ
سـاعـةـ مـنـ الشـرـقـ.

مصطفـىـ :

يجب ألا نضيع الوقت أكثر. علينا الذهاب إليها فوراً.

اقربت سيلفارا من السائقة العجوز وأمرتها بلهجة صارمة:

خذينا إلى بيت ديمينا.

تجمدت العجوز للحظة، ثم ابتاعت ريقها بصعوبة، وظهر الخوف جلياً على وجهها. ثم قالت بصوت مرتجف:

أمرك يا سيدتي.

ركب الجميع وسارت العجوز بالخيول في صمتٍ ثقيل يخيم عليه التوتر. الرياح تعصف بهمساتٍ مبهمة وكانها تحذرهم مما ينتظرون. لم يمر وقتٌ طويلاً حتى قالت سيلفارا بصوتها الخافت:

يبدو أننا وصلنا إلى كوخ الساحرة.

عندما توقفت العربة، نزل الجميع بحذر. لكنهم فوجئوا بأن السائقة العجوز لم تكن على مقعدها والخيول التي تسحب العربة كانت تسير من تلقاء نفسها كأنها مسيرة من قوى خفية.

سأل حمزة بصوت مرتعش:

أين المسنة؟؟؟

ردت سيلفارا بحيرة:

لا أعلم.

لكن مصطفى قال بقلق واضح:

عليها أن نجدها لا يمكننا تركها هكذا.

سمعوا فجأة صوت غرفة غريبة قادمة من مكان قريب، كأنها صرخة أخيرة من عالم الموت. هرعوا نحو الصوت، وما وجدوه كان كابوساً متجمساً العجوز ممددة على الأرض، بطنها ممزق كما لو أن وحشاً كاسراً افترسها. كانت الدماء تنزف من فمهما وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة.

اقرب مصطفى منها، وسألها بعينين يملؤهما الرعب:

من فعل هذا بك من؟ أجيبينى!

نظرت المرأة بعينيها المطفأتين نحو سيلفارا، ثم أشارت إليها بيد مرتعشة قبل أن تسقط يدها بلا حياة.

نظرت هاتور إلى سيلفارا بابتسامة ساخرة، وقالت ببرود:

ولماذا تشير إليك؟ ألم تكوني معنا طوال الطريق؟

ردت سيلفارا بارتباك:

لا أعلم... لكن من فعل بها هذا لا يمكن أن يكون سوى ديمينا.

صمت الجميع، وحفروا لها حفرة في التراب الجاف، ودفنوها دون كلمة إضافية. كان زيدان ينفض يديه من التراب وقال:

ـ رحّمها الله كانت امرأة قوية، لكنها أيضًا كانت نحساً. في المرة الأولى وجدناها مصفدة بالسلسل، والآن مقتولة بهذه الطريقة.

رد مصطفى بغضب:

ـ وكانت هي النحس؟ أم نحن من جلسنا في الداخل وتركناها وحيدة؟ أعلم لماذا أشارت إليك يا سيلفارا. لأنها كانت تظن أنك السبب. أنت من أصررت على أن تقود بنا.

همّت سيلفارا بالكلام، لكن مصطفى قاطعها بغضب:

ـ لا وقت للحديث الآن. علينا أن نجد الكوخ وإذا كانت الساحرة هي من فعلت ذلك... سأمزق روحها بيدي.

بعد خطوات قليلة، ظهر الكوخ أمامهم. كان مظلماً، قابعاً وسط الأشجار وقفوا أمامه ينظرون إلى بعضهم البعض في صمت يثير القلق، وكان كل واحد منهم يحاول قراءة أفكار الآخر. همس مصطفى بصوت خافت: ـ ابقوا خلفي... ثم رفع قدمه ودفع الباب بقوة فكسره ودخل الجميع خلفه.

كان الكوخ خالياً من الساحرة، لكنه بدا كأنه ينبع بقوة غامضة. العاقاقير متاثرة على الأرفف، وكتب السحر مفتوحة على صفحات مليئة بالرموز الغريبة، بينما قدر كبير يغلي فوق نار خافتة، يصدر منه دخان وردي اللون يتتصاعد ببطء.

سأل مصطفى وهو يرمي المكان بعينين متحصلتين:

هل يمكن أن تكون هربت؟

ردت سيلفارا :

لا أظن ذلك ربما خرجت لتجمع الأعشاب لوصفاتها السحرية. عادةً ما تعود إلى كوخها في الليل علينا انتظارها.

جلسوا جميعاً في صمت، متربصين بالوقت لكن الانتظار تحول إلى ملل ثقيل فقلت هاتور :

لن أضيع وقتِي أكثر إنزعوا الألواح الخشبية للأرضية واحفروا. جسد من أصابته اللعنة مدفون هنا كما قال الأموات لي... أو من أصابته اللعنة دفن تحت من أطلقتها.

بدأ الجميع بنزع الألواح وحفروا تحتها لساعات، لكن جهودهم باءت بالفشل فلم يعثروا على أي شيء، لا جسد ولا دليل. تبعوا وأصحابهم الإحباط، وعادوا إلى أماكنهم، منتظرین مجيء الساحرة.

وعندما حل الظلام، ولم يظهر لها أثر، قال حمزة وهو يشير إلى الباب:
_يبدو أنها علمت بقدومنا فهربت...

لم يكمل جملته حتى قطع حديثه أصوات خطوات تقترب من الكوخ.
همس مصطفى:

ـ اختبئوا!

تفرق الجميع إلى زوايا مظلمة داخل الكوخ، يتربّون الداخل. فتح الباب
بطء، ودخلت ديمينا وقفّت لحظة تنظر إلى الفوضى التي حلّت بковها
سألت نفسها: من كثر الباب و حفر وبعثر كل هذا ارسم الغضب على
وجهها ثم استدارت لتغادر.

لكن قبل أن تخرج كانت هاتور خلف الباب فدفعته بيد ثابتة وقالت:

ـ أهلاً يا ديمينا... يبدو أن هذه الليلة ستكون طويلة جدًا.

نظرت ديمينا بثبات إلى هاتور :

من أنت؟ أنت لست من عالمنا... رائحتك غريبة عن جن هذا العالم
بدأ البقية بالخروج من مخابئهم، واحداً تلو الآخر، بوجوه تحمل الحذر
والغضب رفعت ديمينا حاجبيها باستهزاء وقالت:

ماذا تريدون مني؟ لكن عندما وقع نظرها على سيلفارا، ارتسمت ابتسامة خبيثة على وجهها وقالت بسخرية:

هل أرسلتكم زوجة أبي لقتلي؟

قاطعتها هاتور بغضب:

زوجة أبيك عن ماذا تتحدثين لقد جئنا لنعلم أين مكان أول جسد أطلقت عليه اللعنة ثم نقتل لأنك السبب في كل ما حل ب الرجال شعب إيفيرمور. وعليك أن تخبرينا الآن من كان أول جسد أصيب بلعنتك وأين دفنته؟ وإلا... اقتربت هاتور بخطوات ثقيلة وحدقت في عيني ديمينا وأضافت بنبرة حادة: سأمزق أحشاءك الآن.

ضحك ديمينا ضحكة قصيرة وقالت:

ومن أخبركم بهذه الأكاذيب؟ ثم وجهت عينيها نحو سيلفارا وتابعت بابتسامة ملغزة:

لم لا تقولين لهم الحقيقة أنت لم تفارقها أنت خدمتها الوفيه وكنت اراك بجوارها دائمًا؟ لم لا تخبرينهم من الساحرة الحقيقية هنا؟ ومن التي أطلقت اللعنة؟

تحركت سيلفارا بغضب نحو ديمينا، وضربتها بقوة على وجهها، حتى سال الدم من فمه. صرخت سيلفارا بصوت يقطر غضباً:

اصمتني يا كاذبة كفاك عبّا ... سأقتلك الآن وأنهني هذه المهزلة.

مسحت ديمينا الدم الخارج من فمهما بيدها اليمني وقالت:

لن أصمت ولن أتوقف حتى أخبرهم عن ملكتك المزيفة، وعن حقيقتك التي تحاولين إخفاءها.

أخرجت سيلفارا سيفها بحركة سريعة، واندفعت نحو ديمينا، محاولة ضرب عنقها. لكن في اللحظة الأخيرة تدخل حمزة وصد الضربة بسيفه ودفع سيلفارا للخلف بقوة نظر إليها بغضب وقال:

يكفي يبدو أنها تقول الحقيقة، وإلا لما كنت بهذه السرعة في محاولة إسكاتها ماذا تخفين عنا شيئاً سيلفارا؟"

سيلفارا بتوتر:

لا... لا أخفي شيئاً... لا أخفي شيئاً على الإطلاق... ولكن صوتها كان هشاً يفضح قلقها.

قطعتها ديمينا :

اصمتني يا سيلفارا هل تريدين قتلي؟ هل تودين القضاء على وريثة عرش إيفيرمور؟

ارتسمت الدهشة على وجوه الجميع، وسألتها حمزة بصوت حاد:

كيف يمكن أن تكوني وريثة العرش؟

ابتسمت ديمينا ابتسامة تحمل خليطاً من الكبراء والألم وقالت:

نعم أنا وريثة العرش... ابنة الملك أرماديوس.

اتسعت عينا هاتور وهي تستوعب الحقيقة، ثم قالت بصوت متقطع:

هذا يعني... أوغستا هي أمك؟

ضحك ديمينا بسخرية قبل أن تجيب:

بل هي زوجة أبي كانت دائمًا ترحب في التخلص مني لأجل الاستيلاء على العرش، ونجحت بالاستيلاء عليه ولكن هذا العالم لم يمنحها احقيـة امتلاكه لأنها ليست الوريثة الشرعية.. لقد خدعتكم جميعاً.

هاتور:

أنتِ كاذبة الوريث الشرعي هو كاليسـtar!

تبـدت تعابير ديمينا فجأة من السخرية إلى الحزن قبل أن تقول: كاليسـtar؟ كاليسـtar كان أخي... لكنها قـتـلتـه... زوجة أبي أوغستـانـعـم قـتـلتـه باستخدام اللعنة كان أول ضـحـيـةـ لها ودفـنـتهـ أسـفـلـ القـصـرـ بـنـفـسـهـاـ.

تبادل الجميع النظارات الصادمة، ثم قال زيدان متأمـلاً:

هـذاـ يـفـسـرـ لـمـ نـرـىـ كالـيسـtarـ عـنـدـمـاـ كـنـاـ فـيـ القـصـرـ...

فاطعهم هاتور :

ولكن هذا لا يثبت أنك بريئة من السحر، وإنما فلماذا نجد في كوخك كل هذه الأدوات السحرية؟

ردت ديمينا :

لأنني كنت أحاول البحث عن علاج لهذه اللعنة هربت من أوغستا بعدما حاولت قتلي واختبأت في الغابة مع الحيوانات، أعيش في خوف دائم وأجمع الأعشاب... أبحث عن سبيل لإنقاذ من تبقى.

هاتور :

الآن أصدقك.. ثم التفت إلى البقية واردفت: هل تذكرون عندما كنت أقرأ أفكار الملك أرماديوس؟ رأيت شيئاً غريباً وصمت حينها...

قال زيدان متسائلاً:

نعم كنت أود أن أسألك عن ذلك، لكنني نسيت.

تابعت:

رأيته يموت بينما كانت أوغستا تقف هناك، تبتسم ولا تبكي كما كانت تقول لم أفهم حينها لذلك لم أخبركم.

علق حمزة :

هذا يفسر مقتل السائفة العجوز الحيوانات هي من قتلتها.

توجهت جميع الأنوار نحو سيلفارا، التي باتت ترتجف في مكانها.
تقدمت هاتور خطوة نحوها وقالت:

ماذا ستقولين لتبرري كل هذا؟

انهارت سيلفارا على الأرض وانفجرت في البكاء، ثم قالت بصوت مرتعش:

لقد وعدتني أوغستا... وعدتني أن اللعنة لن تمس ابني إذا ساعدتكم على قتل الأميرة لم أكن أملك خيارا آخر كنت خائفه على ابني... أرجوكم سامحوني..

قالت هاتور نأسف لك يا أميرة ديمينا سوف نأتي بعرشك وسنفك اللعنة تعالى معنا وانت يا سيلفارا افعلي شيئاً جيد في حياتك وساعدينا... اذا فكينا اللعنة لن يموت ابنك ولا احد من جديد بهذه اللعنة.

ابتسمت سيلفارا وهي تمسح دموعها وقالت انا اتيه سأساعدكم .

رد مصطفى نحتاج الى الراحة ستنام هنا الليلة هل معك طعام يا أميرة.

حضرت ديمينا طبقاً غريباً، كان الطعام داخله يبدو كأنه خليط من الألوان عدة قطع صغيرة ذات ملمس لحمي، وبعضها يشبه أوراق النباتات المتداخلة، مع قطرات من سائل برتقالي لامع يتضاعد منه بخار خفيف.

وضعته أمامهم بابتسامة وقالت:

ـ تفضلوا طعام بسيط لكنه يحمل شيئاً فريداً.

ـ أمسك مصطفى بقطعة متربدة وهو يشتم رائحتها:

ـ طعمه... كأنه لحم مشوي.

ـ ضحك زيدان بينما تذوق قطعة أخرى:

ـ لحم؟ لا هذا طعمه يشبه الدجاج مع شيء من التوابل.

ـ رد حمزة وهو ينظر إليهم بدهشة:

ـ أنتم تمزحون معي الطعم أشبه بطبق بامية مطبوخة جيداً

ـ أما هاتور، التي كانت تتناول قطعة صغيرة، فقالت بنبرة جادة:

ـ بالنسبة لي طعمه يشبه عظماً مغلياً.

ـ ابتسمت ديمينا وقالت:

ـ هذا الطعام يتحول طعمه بناءً على رغبة من يأكله. كل شخص يتذوق ما يتمنى.

ـ جلسوا يتناولون الطعام ببطء، يتحدثون عن مغامرتهم وما ينتظرون.

بعد أن انتهوا من الطعام، ناموا جميعاً على أرضية الكوخ، بينما ظلت ديمينا مستيقظة، تراقب النافذة بقلق واضح.

عند بزوغ الفجر استيقظ الجميع وبدأوا الاستعداد للرحيل ركب سيلفرا مكان السائق وقادت العربة بحذر.

بينما كانت العربة تسير، همس زيدان إلى مصطفى:

لو أنك أخرجت ذلك الرجل الذي يُجيب على الأسئلة من خاتمك، لكان وفر علينا الكثير من العناء.

تهد مصطفى وقال:

تقصد ثوكيلا؟ لم يعد يظهر. لا أعلم السبب لكنني أشعر أن خاتم اليأس قد أثر فيه.

نظر حمزة إلى الأفق وقال:

علينا أن نعتمد على أنفسنا الآن.

أكملت العربة بسرعة جنونية كأنما تحمل على عجلاتها ثقل الأحداث والمصير الذي ينتظر ركابها. وصلت إلى بوابة القصر الكبري، حيث وقفت سيلفرا بثبات وأمرت الحراسات بفتح الباب انصاعت الحراسات، واندفعت العربة نحو الداخل، تخترق الحديقة المخضرة.

ترجل الجميع من العربية، وخطا كل منهم بخطوات متعددة نحو القصر.

داخل القاعة كانت تجلس أوغستا على عرشها، تراقبهم بابتسامة ملغزة
رفعت رأسها قليلاً وقالت:

هل قتلت الساحرة؟ هل فكتم اللعنة؟

قبل أن يجيب أحدهم ظهرت ديمينا من خلفهم بخطوات هادئة، وقالت
بصوت جلي:

تقصد�يني أنا؟ أم أنت تتحدى عن نفسك؟

تجمدت الابتسامة على وجهه أوغستا، لكنها سرعان ما استعادت رباطة
جأشها وقالت ببرود:

لما لم تقتلوها؟

ردت هاتور بصوت ساخر:

هل نقتل الوراثة ونترك الساحرة؟

اتسعت ابتسامة أوغستا، لكنها هذه المرة كانت تحمل نذير شؤم قالت:
أرى أنكم علمتم الحقيقة كنت أظن أنني سأوقعكم في شبакي، تقتلون
ديميَا وأرتاح منها للأبد لكن يبدو أنني استهنت بكم.

تبعدت ملامحها فجأة، واسودت عيناهَا حتى اختفى بياضهما، وتشقق وجهها كالأرض القاحلة. رفعت زجاجة غامضة اللون كانت تخفيها في يدها وشربت منها بعثهم. بدأ جسدها يتغير بشكل مخيف؛ تبرز أسنانها، يكبر حجمها، وصوتها يتحول إلى زمرة وحشية وهي تصرخ:

أنا الموت ذاته قتلت زوجي وابنه وحكمت بالموت على رجال المملكة.
كل هذا من أجل العرش، ولن أتنازل عنه إلاّ أو أبداً.

التف الجميع حول الوحش الذي باتت أوغستا تتحول إليه لكن فجأة صدحت صرخة ألم قطعت أنفاس القاعة. التفت الأنظار بفزع ليجدوا حمزة مستلقياً على الأرض، صدره ينزف محول المكان إلى لوحة من الألم الأحمر.

واجهت هاتور اوغستا وهرع مصطفى بجنون وكأن روحه قد سبقت جسده، وسقط على ركبتيه بجوار حمزة. رفع رأسه بيدين متشنجلتين، كأنهما ترفضان الإيمان بما تراه عيناه همس بصوت مرتعش بالكاد يستطيع السيطرة عليه:

ـ حمزة... يا أخي... لا تقل لي... لا تقل إنك راحل... لا تقل إنها الحقيقة.
ـ قل إنها كذبة... كابوس سيزول.. فقط افتح عينيك.

اقرب زيدان عينيه غارقان في بحرٍ من الدموع التي انهمرت بلا استئذان وجلس بجوار حمزة، أمسك بيده وضغط عليها قال بصوت مكسور:

أجبني يا حمزة كنت معنا منذ لحظة كيف حدث هذا؟ لا تتركني أعيش هذا الجنون وحدي! كيف تمزق حياتنا هكذا؟

فتح حمزة عينيه بصعوبة، نظراته تحولت إلى مرآة عاكسة لألم عميق لا يوصف. حاول أن يتكلم، لكن كلماته خرجت بصعوبة مثل أنفاس أخيرة تهرب من بين شفتيه:

سيلفارا... خائنة.

صُدم مصطفى وكأن الكلمات رصاصة جديدة أصابت قلبه: لا يمكن أن تكون نهايتك هنا بين يدي... لا يمكن.

ابتسם حمزة ابتسامة ضعيفة وقال بصوت متقطع بالكاد يسمع: الموت... ليس النهاية... بل بداية... سأرحل إلى ليث... ولبيد... وأهلي... لكن... لا تجعل الغضب يأخذك... لا تدع الانتقام يستهلكك.

التفت إلى زيدان، ورفع يده المرتعشة ببطء، كأن كل ذرة من طافته الأخيرة تجمعت لتلامس دموع أخيه. مسحها برفق وقال:

وأنت يا زيدان... لا تطفئ ضحكتك... ضحكتك هي النور الوحيد... الذي يضيء هذا العالم المظلم... لا تتركها تموت... لا تتركني أحملك الحزن في قلبك وأنا أرحل.

وبصمت كثيف، أغمض عينيه، تاركاً وراءه فراغاً لا يملؤه شيء رحل بلا صوت، بلا وداع طويل، لكنه ترك صرخات مصطفى وزيدان تعانق سقف القاعة.

صرخ مصطفى، يهز جسد حمزة وكأن رجاءه الأخير كان بإيقاظه:

لا تذهب يا أخي لا تتركني أصرخ وحدي في هذا الجحيم! كيف تفعل هذا بنا؟ كيف تختر الرحيل؟ من سيسير معي؟ من سيحمل هذا العبء معي؟

أما زيدان، فقد انهار بجواره، وجعل يهز جسد حمزة بكل قوته وكأنه يحاول أن ينزع روحه من الموت صاح بصوتٍ يائس، بالكاد يفهم: حمزة استيقظ.. كنت أنت القوة التي تجعلني أضحك، كيف أضحك الآن وأنت غائب؟ كيف أعيش هذا الفراغ وحدي؟؟

الحزن ينهش أرواحهم، كل أنفاسهم تحولت إلى شهيقٍ كثيف، وكأنهم يتلعون الغصات بدل الهواء. خلفهم، كانت المواجهة بين هاتور وغستا تصاعد، لكن بالنسبة لهم لم تعد الحياة تعني شيئاً. فقد فقدوا أكثر من أخي وصديقٍ فقدوا سندتهم قوتهم وكل ما يجعل للأمل مكاناً في قلوبهم.

اشتعل مصطفى غضباً عندما شاهد سيلفارا تلعق السيف الملوث بدم حمزة وتقهقه بصوت كريه.

قال مصطفى بصوت يختلط فيه الحزن بالغضب، بينما يحاول أن يكبح دموعه:

ارقد بسلام يا أخي... سأثار لك... سأفصل رأسها عن جسدها وأحضره لك لترى ماذا فعلت بها ثم تتمم لنفسه:

لن أقتلها بخاتم الدمار ولن أستخدم السحر سأقتلها بسيفك بسيفك وحده يا حمزة.

تناول سيف حمزة من جواره ثم ركض نحو سيلفارا وصرخاته تتردد كعاصفة عاتية هجم عليها بضربة مباشرة، لكنها صدت هجماته بسهولة وهي تضحك بسخرية باردة.

صرخ مصطفى بغضب:

لماذا قتلتني؟ كيف استطعت أن تخدعينا؟ أكنت تلعبين بنا طوال هذا الوقت؟"

ردت عليه بصوت يحمل كل معاني الاحتقار:

مشكالكم أيها البشر أنكم تصدقون أي شيء يُقال لكم بسهولة. هل ظننت حقاً أنني سأخون أخي؟

تجمد مصطفى في مكانه للحظة وهو يردد في داخله كلماتها:

أختها؟ خرجت كلماته متقطعة من الصدمة: كيف... ماذا تقصدين؟

نعم أوغستا هي أختي وصدقني كنت أستمتع وأنا أراقبكم تصدقون أكاذيب السخيفة عن ولدي وعن خوفي عليه يا لك من طفل ساذج، مثل صديقك الغبي الذي قتله والآن سأقتلك وستلحق به.

لن أدعك تفلتين بفعاليك.

لم يكمل جملته حتى اندفعت سيلفرا بسيفها، تحاول أن تسدد ضربة قاتلة أخرى، لكنه صدتها بقوة حتى جعلها التفت من قوته ومن ثم ركلها بقدمه في ظهرها بقوة جعلتها تسقط على وجهها تمددت على الأرض كحية جريحة، مدت يدها لتلتقط سيفها الذي أفلت من يدها لكن مصطفى كان أسرع وركلة بعيداً ثم التفت إليها منها وقال بجود:

لا تقلي... سأرسل أختك للحاق بك قريباً.

رفع سيف حمزة عالياً ووجهه مشبع بالغضب والانتقام وبضربة واحدة فصل رأسها عن جسدها تدرج رأسها على الأرض ككرة القيت بلا اكتئاث بينما جسدها بقي متجمداً للحظة قبل أن ينهاي بقوه.

أخذ مصطفى نفساً عميقاً ثم نظر إلى رأسها الساقط و إلى جسدها وقال بصوتٍ خافت، بالكاد يسمعه أحد:

العدالة... ليست كافية... حمزة... عد لي الآن... عد يا أخي.

حين كانت أوغستا منشغلة بالقتال وقعت عينيها على رأس سيلفرا والدماء تتسلب منها كخيوط من الجمر عيناها اتسعا، وجسدها انتفض بغضب جامح. أختي صرخت بصوت مخنوق كالرعد، قبل أن يتفجر غضبها.

هاتور التي كانت تقف في مواجهتها لم تفلت من بطش الوحش يد أوغستا تحولت إلى كتلة هائلة من القوة، انقضت على هاتور بضربة واحدة، أطاحت بها أرضاً وجعلتها تسقط فاقدة للوعي.

فلم يعد ما يمنعها الآن من الانقضاض على مصطفى بجنون كأنها إعصار لا يُوقف. مصطفى وقف بثبات وكأنه يدرك أن اللحظة الحاسمة قد اقتربت، تراجع بخطوات محسوبة وبنظرة هادئة، سحب سيف حمزة بحركة خاطفة وغرزه في قدم أوغستا قبل أن ترفع يدها لضربه صرخة الوحش ملأت الأرجاء، لكنها لم تتراجع.

فرفع مصطفى قبضته نحو السماء، ونادي :

يا سندان أعطني سيف البرق.

السماء خارج القصر اشتغلت فجأة، والسحب السوداء تلاطمـت كأنـها استجابت لندائهـ. فجـأة، انشق سقف القصر بـقوـة عـاصـفةـ، وـسيـفـ منـ البرـقـ الصـافـيـ انـطـلـقـ مـنـهـ، مشـعـاـ بـضـوءـ يـمزـقـ الـظـلـامـ، ليـحـطـ بيـنـ يـديـهـ كـانـهـ قدـ خـلـقـ خـصـيـصـاـ لـهـ.

قال مصطفى بصوت ملوء الغضب:

أوغـستـاـ لـقـدـ كـتـبـتـيـ نـهـاـيـاتـكـ سـأـمـزـقـكـ قـطـعـةـ قـطـعـةـ وـسـأـطـعـمـ أـشـلـاعـكـ للـظـلـامـ الـذـيـ أـنـجـبـكـ... أـنـتـ لـسـتـ سـوـىـ صـفـحةـ سـأـحـرـقـهـاـ فـيـ كـتـابـ هـذـاـ العـالـمـ.

ضـحـكتـ وـرـدـتـ بـسـخـرـيـةـ قـاتـمـةـ:

كـتـبـتـ نـهـاـيـاتـيـ؟ يـاـ لـكـ مـنـ أـحـمـقـ مـغـرـورـ أـنـاـ لـسـتـ مـجـرـدـ نـهـاـيـةـ، أـنـاـ الـبـادـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ مـعـاـ، وـأـنـاـ الـآنـ أـكـتـبـ فـصـلـاـ جـديـداـ... لـنـهـاـيـةـ أـرـوـاحـكـ الـبـائـسـةـ الـتـيـ لـاـ تـسـتـحـقـ سـوـىـ الـعـذـابـ.

قـبـلـ أـنـ يـتـمـكـنـ مـصـطـفـيـ مـنـ التـحـرـكـ، تـجمـدـ أـطـرافـهـ حـاوـلـ رـفعـ يـدـهـ لـيـضـرـبـهـ بـالـبـرـقـ وـلـكـنـ قـوـتهاـ جـعـلـتـهـ كـالـعـاجـزـ لـاـ يـعـلـمـ مـاـ حدـثـ لـهـ حـتـىـ لـاـ يـقـدـرـ أـنـ يـمـشـيـ لـاـ يـقـدـرـ أـنـ يـحـركـ قـدـمـيـةـ فـقـطـ يـشـاهـدـ المشـهـدـ البـشـعـ دـوـنـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ التـدـخـلـ لـقـدـ رـفـعـتـ يـدـهاـ إـلـىـ فـمـهـاـ وـعـضـتـهـاـ بـأـسـنـانـهـاـ الـحـادـةـ كـانـهـاـ شـفـرـةـ مـنـ الجـحـيمـ، تـمـزـقـ لـهـمـهـاـ بـلـاـ تـرـددـ. وـسـقـطـتـ ذـرـاعـهـاـ مـبـتـورـهـ

على الأرض الدم الأسود سار يتدفق كالشلال يصدر صوتاً أشبه بالغليان.

بدأت تتمتم بكلمات أصداها ترددت في القصر . رفعت ذراعها المقطوعة عالياً، وقد تحولت إلى شظية متفرقة من الخراب، وصرخت بصوت يكسر النفوس:

((يا حراس الفناء يا أسياد الفراغ الأبدي. يا جبابرة الخراب وأسياد العدم بدمائى أفتح البوابة وبجسدي أحىي اللعنة، افتحوا أبواب الجحيم الأعظم لتبتعلوا العالم في لهيبكم. ولتولد أوغستا من جديد... سيدة لكل ظلام.

أثناء ترديدها التعويذة، بدأ الهواء يتكتّف حولها، ليصير مشهدًا مرعبًا من الفوضى. جسدها بدأ يتوجه بنور مظلم كالظللاں التي تتسلل في الليل، والدماء السوداء تدفقت من ذراعها المقطوعة كأنه بركان من الشر يثور من أعماق الأرض. ثم في لحظة ترجلت الأرض نفسها، وابتلع الشق الذي تصدع في الأرض ذراعها. ثم من هذا الشق ، بدأت تسمع همسات مرعبة كأنها أصوات أرواح ملائكة من الجحيم ، تتألم وتصرخ بصوتٍ لا يهداً. في تلك اللحظة خرجت أشواك من رأسها بسرعة مروعة، ظهرها انشق ليخرج منه جناحان ضخمان، مظلمان يغطيان السماء، يدها المقطوعة استبدلته بثعبان ضخم ينبع بالحياة

ديمينا نظرت إلى أوغستا بعينين مليئتين بالدموع وصرخت:

الاشبعين من التشوّه والقذارة كيف فعلت هذا؟ كيف استطعت قتل كل رجال المملكة؟ كيف قتلت أبي؟ الملك الذي كان أملنا جميعاً وكان زوجك؟

قالت أوغستا ببرود:

أبيك... لقد كان مجرد عائق في طريقي، الجميع هنا مجرد بيادق في لعبة لا يفهمون قواعدها...

ديمينا:

لقد قتلتـهم جميعاً... أبي، إخواني، كل من أحبـتهم هذه المملكة... لأجل ماذا؟ القوة؟ الملك؟ لا تظـني أنـ هذا سيجلب لكـ السلام. لنـ يهدـأ قلبك أبداً، حتى لوـ سيطرـي علىـ كلـ شيء

أوغـستـا لمـ تـبـدـي أيـ نـدـمـ بدـلاًـ مـنـ ذـلـكـ، ارـتـسـمـتـ ابـتسـامـةـ قـبـحـةـ عـلـىـ شـفـتيـهاـ:

ـ تـؤـلمـينـ رـأـسيـ مـنـ حـدـيثـكـ تـكرـرـيـنـ قـتـلـتـيـ أـبـيـ قـتـلـتـيـ أـخـواتـيـ قـتـلـتـيـ قـتـلـتـيـ سـاقـتـكـ أـيـضاًـ لـيـ اـرـتـاحـ مـنـ صـوتـكـ المـزعـجـ ...

تحركت أوغستا تجاهـهاـ وـمعـ كـلـ خطـوةـ تـأخذـهاـ تـتـسـبـبـ فـيـ حـفـرةـ عـمـيقـةـ فـيـ الـأـرـضـ دـيمـينـاـ شـعـرـتـ بـبـرـودـةـ تـجـتـاحـ عـظـامـهـاـ وـلـكـنـهاـ لـمـ تـسـمـحـ لـهـذـاـ

الشعور بأن يقيدها . دون أن تفكر كثيراً مدت يدها بسرعة إلى حقيبتها الجلدية و اخرجت القوارير الزجاجية التي كانت تحملها ثم التفت إلى مصطفى و قالت بصوت متوتر:

ـ نحن لا نملك وقتاً إذا لم تتدخل س تكون جميماً اموتاً.

و قبل أن تنهي جملتها أطلقت القوارير باتجاه أوغستا و في اللحظة التي تلامست فيها القوارير مع الهواء المحيط، انفجرت مكونه عاصفة ثلجية أحاطت بأوغستا و حبس جسدها في مكعب من الثلج ...

حينها رجع مصطفى يتحكم في أطرافه تتم :

ـ نحن في مواجهة شيء أكبر من أن نحبسه بهذه السهولة .. تابع وهو يصرخ : ـ ديمينا حاوي ان تفيفي هاتور قبل أن يذوب الثلج..

لكن فات الأوان بدأت شقوق تظهر على المكعب الجليدي وانبعث منه صوت أكثر من مجرد صرخة فجأة الشقوق التي بدأت تتسلل تزايدت بسرعة حتى انفجر الجليد فيفوضى و تناشرت شظاياه في كل الاتجاهات .

اوغستا:

ـ هل هذا هو كل ما تستطيعون فعله؟ أنتم تغامرون بالنار... وأنا النار التي لا تنطفئ أبداً.

رفع مصطفى سيفه بخمول :

ـ _ مهما كانت قوتك لن تستطعين طمس النور.

او غستا:

ـ _ النور؟ النور ضعف أما أنا فأنا الليل أنا الكابوس الذي لن تستيقظوا منه أبداً.

زيدان كان لايزال بجاتب جسد حمزة المسجى ودموعه لا تتوقف حتى جمع شجاعته ووضع رأس حمزة برفق على الأرض وهمس بصوت مكسور:

ـ _ أعلم أنك رحلت، لكنهم يحتاجونني الآن وإن كان موتي ينتظرنـي...
فسأكون سعيداً بالذهاب معك.

بلحظة من الجنون نهض وركض نحو سيف ملقى بجواره، قبض عليه بقوة وانطلق نحو أوغستا غضبه يسبق خطواته، وصرخة مزللة تخرج من أعماقه. لكن أوغستا دون أن تلتفت إليه حتى رفعت يدها بضررية مميتة فاصطدم جسده بعنف وطار في الهواء حتى سقط على الأرض وفقد الوعي.

بدأت تفيق هاتور وعندما فتحت عينها وقعت على زيدان الذي لا يتحرك بصوت مليء بالذعر صاحت:

زيدان!...

ثم وجهت عينيها نحو أوغستا، وملأت كلماتها الهواء كتعويذة:

لقد كتبتِ موتكِ الآن.

نادت على مصطفى :

اضربها بالبرق... لا تتوقف.

استجاب مصطفى للأمر، رفع سيف البرق عالياً وضرب أوغستا بوابل من الصواعق المتوجة الانفجارات كانت تهز الأرض، لكن أوغستا بدلاً من أن تصاب، بدأت تضحك.

قالت وهي تضحك:

أنت تدغدغني..

لكن هاتور لم تكن تنتظر تأثير البرق. طارت بخفة، وارتفعت في الهواء، تحركت بسرعة كطيف خفي، متجاوزة أوغستا لتقف خلفها

مباشرة في تلك اللحظة، امتدت أظافر هاتور وكأنها تحولت إلى خنادر حادة بغضب همست في آذن أوغستا :

لقد أذيت أغلى شخص في حياتي... وبهذا حكمت على نفسك بالموت.

قفزت على كتفها وتشبت برقبتها كحيوان مفترس يرفض الإفلات من فريسته. بدأت أظافرها تخترق جلدها وتمزقه دون رحمة، الدماء السوداء انفجرت كنافورة ملوثة.

صرخت أوغستا وتحركت في كل اتجاه، تضرب جسدها بوحشية لمحاولة التخلص من هاتور، لكنها لم تستطع.

ظلت هاتور متمسكة بها، وكل حركة كانت تزيد من عمق الجروح صرخت أوغستا:

لن... تقتليني أنا الخلود...أنا الخلود.

هاتور لم تعد تسمع شيئاً سوى دقات قلبها الغاضب، دفعت بأظافرها أعمق وأعمق حتى شعرت برقبة أوغستا تضعف تحت قبضتها. في لحظةأخيرة، دفعت بكل قوتها فقطعت الرأس بالكامل.

سقط جسد أوغستا الضخم على الأرض كأنما سقط جبل، والرأس المقطوع تدحرج بعيداً عيونها مفتوحة على اتساعها، تفيض بالغضب والرعب الذي لم ينقدّها.

هبطت هاتور بينما أنفاسها تتلاحق ودموعها تختلط بدماء المعركة ثم نظرت إلى زيدان الذي أبى النهوض وتوقف عن الحركة اقتربت منه ببطء:

ـ انتهى الأمر... لقد انتهى.

ثم ركعت بجانبه ولا تزال أنفاسها متقطعة عيناها تائهة بين الخوف والحزن، يديها المرتجفتين تمتدان ببطء نحو وجهه الشاحب.

وضعت رأسه برفق على حجرها، وبدأت دموعها الساخنة تنساب كأنها تروي الأرض الجافة، تسقط على وجهه الملطخ بالتراب والجروح. همست بصوت مرتعش يكاد يتلاشى بين شهقاتها:

ـ زيدان... أرجوك... لا تتركني... لا أستطيع أن أفقدك لا يمكنني العيش بدونك...

ثم انحنت نحو رأسه وأغمضت عينيها وهي تهمس كأنها تناجيه:

ـ أصبحت قوتي... أصبحت النور الذي يهديني وسط الظلم... لا تتركني لا تتركني وحدى أغرق في ظلامي.

و مع آخر قطرة سقطت على خده، ارتعشت جفونه ببطء وفتح عينيه بصعوبة نظر إليها وابتسمة ضعيفة تزين شفتيه المرهقتين.

ـ هاتور... قال بصوت خافت :

كنت أعلم أنك ستأتيين لأجلّي...

شہقت من المفاجأة، وضمت پدیہ بقوہ:

لا تتحدث لا تجهد نفسك.

لأنه رغم ألمه رفع يده المرتعشة ببطء ولمس وجهها ليمسح دموعها
بأصابعه، وقال يائسامة باهته:

لا تبكي يا أغلى ما أملك رؤيتكم تبكين... هي الألم الحقيقى بالنسبة لى.

ثم تابع ساخراً:

إذا كان هذا هو ما أحتاج أن أحمله لأرى وجهك قرب وجهي لما ترددت في فعله منذ أن كنا في عالم الأموات ..

انحنى برأسها وهي تضحك ثم وضعت جبينها على جبينه لتشعر بحرارته ثم هممت:

أعدك لن أتركك أبداً ولن أسمح لأي شيء في هذا العالم أن يأخذك منه.

مطفى كان يراقب المشهد بصمت لا يريد ان يقطع عليهم المشهد
ويعد وقت قليل تقدم نحوهما ومهلا لزيдан باتسامة :

ـ قم يا بطل... أخذ زيدان يده ووقف بثبات، ثم سار هما الأثنان إلى جسد حمزة

في هذا الوقت نزلت ديمينا للقبو الذي يقع أسفل القصر وفقت بجلال وحزن عميق في يدها رأس أوغستا وما زالت قطرات الداكنة تسيل من عروقها المقطوعة. حفرت الأرض بصبر حتى وصلت إلى حيث جسد أخيها لوكيستا انحنت نحوه بعينان دامعتان تلمعان في ضوء القناديل الخافتة.

ثم رفعت الرأس عاليًا، وسمحت للدم أن يتقدّم على الجسد المتخلل مرددة :

ـ أول من أصيب باللغنة، يرتوي بدماء من أطلقـتـ اللعنة فلينتهـ الظلـام ولترفعـ القبةـ ولـيـعـدـ الرـجـالـ لـمـجـدـهـ لـلـيـعـشـ الـفـتـيـانـ مـتـجـاـزـينـ عـامـ الـبـلـوغـ.

مع كلماتها الأخيرة تلاشت قبـهـ غيرـ مرئـيهـ تحـاوـطـ المـلـكـةـ وـتـحملـ المـرـضـ لـكـلـ بـالـغـ.

نظرت ديمينا إلى جسد أخيها ثم همسـتـ لهـ:

ـ آنـ الأـوانـ لـتـرـتـاحـ يـاـ لوـكـسـتاـ...ـ سـأـجـعـلـكـ فـيـ مـكـانـ يـلـيقـ بـكـ...ـ ثـمـ حـمـلتـ بـقـايـاهـ بـيـنـ يـديـهـ وـخـرـجـتـ بـبـطـءـ .

قررت ديمينا أن تبني مقبره تليق بحمزة، ليذكر شعب عالمها التضاحية الذي قدمها بشري من أجل إنقاذ الجن. اجتمع الرجال والنساء كل على طريقته حمزة بصفته مسلماً غسل وكسن وفقاً للشريعة الإسلامية. مصطفى وزيدان صلّيا عليه وقاموا بمراسم دفنه بمهابة واحترام.

أما لوكستا فقد حملته ديمينا مع نساء شعبها إلى الغابة المقدسة حيث أدوا شعائرهم الخاصة، وأحرقوا جسده في محقة طقسية وسط صلواتهم وأهازيجهم الحزينة التي ارتفعت في أرجاء المكان.

بعد يومين اجتمع شعب إيفيرمور من النساء والأطفال في ساحة القصر، لأول مرة تحت سماء مفتوحة أعينهم كانت تحمل أملاً جديداً، ولكنها مشبعة بالحزن على ما فقدوه.

وقفت ديمينا بهيبتها الملكية الجديدة على منصة مرتفعة كانت ترتدي عباءة زرقاء مطرزة برموز أسلافها، وشعرها الطويل ينسدل كسيل من الذهب الداكن.

كانت خلفها امرأة عجوز تدعى الكاهنة ميتال كانت تحمل في يديها تاجاً ذهبياً مزييناً بأحجار كريمة تقدمت المنصة وقالت بصوت مرتفع:

يا نساء وبنات وأبناء إيفيرمور، اليوم نعيد النور إلى هذا الشعب. ثم التفت إلى ديميناواردفت: _ ديمينا... وريثة العرش وراعية السلام لقد حان وقتكم لتقودي شعبك نحو مستقبل جديد.

وضعت التاج على رأسها وهتفت بصوت عالٍ :

تحيا الملكة ديمنا.

ارتفعت الهتافات في كل مكان من النساء والأطفال يصفقون بحماس. ووسط تلك الهتافات التي لا تنتهي، رفعت الملكة يدها نحو السماء فاهتزت الأجواء من حولها وعُزف نغم خفي في الهواء، يسبح في صمتها القوي. ثم في لحظة واحدة شق باب ضخم من العدم وظهر أمامها وكأنما خلقه سحرها المطلق.

فبعد توجيهها مباشرةً حصلت على احقيـة امتلاكـها العالم الخامس ومنه حق التحكم في بـاب العالم السادس ثم أخرجـت صندوقـاً ذـا تصـمـيم عـتيـقـ، مـزـخرـفـ يـُشـعـ بـوـهـجـ غـرـيـبـ . رـفـعـتـ الصـنـدـوقـ نحوـ هـاتـورـ التـيـ تـقـفـ بـجـوارـهـاـ،ـ ثـمـ قـالـتـ بـصـوـتـ مـنـخـفـضـ :

هـذاـ لـكـ يـاـ رـفـيقـيـ .

فتحـ هـاتـورـ الصـنـدـوقـ بـبـطـءـ حيثـ كانـ المـفـتـاحـ وـوـرـقـةـ قـدـيمـةـ تحـويـ كتابـةـ بـالـغـةـ الـغـمـوـضـ أـخـذـتـ المـفـتـاحـ بـيـدـهاـ الـيـمـنـىـ،ـ وـادـخـلـتـهـ فـيـ الـبـابـ،ـ وأـمـسـكـتـ الـوـرـقـةـ فـيـ يـدـهاـ الـيـسـرىـ ثـمـ بـدـأـتـ تـقـرأـ :

((من الأرض تخرج الحياة، لكن في داخلها تقبع حياة قديمة ... فابحث عنها ولا تغرك المظاهر...))

فانفتح باب العالم السادس.

الفصل السابع والعشرون: غياهبيا

وقف الثلاثة في ساحة تحت الأرض غمرها الهدوء الجدران كانت مغطاة بطبقة شفافة من معدن يدعى الأونيكس الحيوي يشع وهجاً خافتاً. المساحات المفتوحة بين الأبنية بدت وكأنها ميادين عظيمة، تلمع أرضاها بألوان زاهية بسبب البلاورات الصغيرة المنتشرة في كل مكان.

المنازل كانت شامخة لكنها ليست ثابتة. كل شيء بدا متصلة بلب المدينة، يضج بحياةٍ ماضيةٍ تشعر الناظر بثقل الزمن الذي مرّ عليها. كانت المدينة واسعة لكنها الآن مهجورة.

تأملوا مجموعة من الكريستالات كانت متوجدة ومتناشرة في إحدى الزوايا تتلألأً بلطف وقتها اهتزت الأرض بعنف، البلاورات إنطفأت نورها دفعة واحدة وخيم الظلام الكثيف.

تشبث الثلاثة بما حولهم الجدران الأرض أو حتى بعضهم البعض، بينما استمرت الهزة طويلاً مصاحبة صوت صخور تشقق في الأرجاء. وعندما هدأت الهزة أخيراً، زفر زيدان أنفاسه بصعوبة وقال بتوتر:

ما الذي يحدث هنا؟

ردت هاتور وهي تضع يدها على جدار معدني متصل بالكريستالات
تحاول استشعار نبض المكان:

هذا الهرزات تشير إلى ضعف اللب. المدينة أصبحت غير مستقرة وهذا
يعني أنها هجرت مؤخراً

نظر مصطفى حوله، مأخوذاً بحالة المكان وسائل:

لكن كيف يمكن أن تُهجر مدينة عظيمة بهذه السرعة؟

أجابت وهي تشير إلى الجدران التي بدأت تفقد بريقها شيئاً فشيئاً:
الغرانيون... سكان هذه المدينة هم جن متقل لا يبقون في مكان إذا
شعروا بأن اللب يضعف وفور ظهور العلامات الأولى يرحلون يرحلون
بلا رجعة ومن حالة هذا المكان فإن علامات الضعف قد ظهرت منذ
زمن.

سؤال زيدان:

وأين يمكن أن نجدهم الآن؟

أجابت وهي تركز نظرها على الأرض:

علينا أن نتبع الأنفاق التي لا يظهر فيها أي ضعف.

زيدان: وكيف سنعرف تلك الأنفاق..

هاتور: قلب هذا الكوكب وهو مصدر كل الطاقة هنا وجميع الطرق والمدن تتصل به إذا وصلنا إلى مكان مستقر بلا هزات سنجد هناك سكاناً أو على الأقل أدلة تشير إليهم.

سارا الاثنان خلفها بحذر يراقبون التفاصيل التي توحى بأن الحياة كانت هنا منذ وقت قريب. الأنفاق الممتدة بدت وكأنها متاهة لا تنتهي. وفي النهاية وصلوا إلى مفترق طرق يتفرع إلى عدة أنفاق مظلمة.

سؤال مصطفى بتردد:

أي طريق علينا أن نسلك؟

انحنىت وخلعت بلورتين صغيرتين من الأرض ثم ضربتهما ببعضهما بخفة فانطلقت اهتزازات خفيفة ترددت عبر الأنفاق المختلفة فلاحظ الجميع أن معظم الأنفاق اهتزت باستثناء طريقين.

رفعت رأسها وقالت بثقة:

هذان الطريقان آمنان.

نظر زيدان إلى الطريقين ثم أشار إلى أحدهما بابتسامة خفيفة:

لنأخذ هذا الطريق. يبدو أقل كآبة.

رد مصطفى :

أتمنى أن يكون حدسك صائبًا هذه المرة.

ساروا بعض الوقت في ظلام دامس فأخرجت هاتور نارا من يديها لتنير الطريق لم يكن هناك في النفق صوت سوى أنفاسهم المتواترة وخطواتهم التي كانت تسمع فجأة بدأت الجدران تُضاء بحشرات صغيرة بلون أزرق شفاف. كانت تلك الحشرات تزحف بأعداد هائلة، تتكثس على الجدران وتضيء الطريق بشعاعها الخافت بينما مساراتها اللزجة خلف آثاراً مشعة، جعلت الجدران تتنفس.

وقف زيدان متأنلا المشهد وقال بدهشة:

ما هذا الجمال؟ كأننا نسير في حلم.

هاتور :

تلك تُسمى حشرات البردف قرأت عنها في أساطير قديمة يُقال إنها تملك قدرة على شفاء آلام العيون.

نظر زيدان إليها بعينين حائرتين، ثم سأله :

وهل للعين شفاء حقاً؟

توقف مصطفى عن السير لوهلة وقال :

لماذا تتحدث وكأنك تؤمن بعدم وجود شفاء؟

رد زيدان :

لأن العين التي أتحدث عنها ليست تلك التي ترى، بل تلك التي تشعر.
عين النفوس... لا أرى ما في نفسك ولا ترى ما في نفسي. هل لهذه العين شفاء؟

مصطفى:

تخيل لو أن أفكارك مجرد أفكارك، أصبحت معلنة للناس هل سيكون ذلك عدلاً؟ ثم من رحمة الله أنه لا يحاسبنا على ما في نفوسنا من شر بل على ما نفعله ونقوله الله يعلم ضعفنا، ولهذا يحمينا من أنفسنا.

هز زيدان رأسه وقال:

ولكن لماذا عن الذي فعل المعصية؟ من جعل ما في نفسه واقعاً، إلا يحق أن نعلم ما في نفسه؟

مصطفى :

حتى وإن فعل، فإن الله قد يستره ليعود إليه بالتوبة.

بدأ زيدان غير مقتنع تماماً، فقال :

لكن لماذا عن حكماء أوريانت؟ ألم يقرأوا عقولنا؟

ضحك مصطفى بخفة وأجاب:

لا يا صديقي لم يقرأوا عقولنا. حكماء أوريانت هم نوع من الجن،
أذكياء بما يكفي لاستنتاج ما في نفوسنا من تصرفاتنا أو ربما تحدثوا
مع فرناننا، أو عرفوا من تفاصيل أخرى. لكن ما في العقول يظل ملكاً لله
وحده.

قال زيدان وهو مبتسم :

هل تعلم؟ حين كان الحكيم جرميس يقرأ عقلي كنتُ الغنة في سري ولم
اعلم لماذا لم يلاحظ؟

ضحك مصطفى وقال:

أنت معضلة حقيقة يا زيدان.

لكن تلك الابتسامة سرعان ما تلاشت عن وجهه زيدان، وحل محلها حزن
ثقيل. نظر إلى هاتور بعينين ملؤهما ألم وقال بصوت خافت:

أجل... أنا معضلة أحببت جنية تركت أرملة وأطفالها دون تفكير فقدت
أصدقائي واحداً تلو الآخر كل من أحببتم رحلوا أنا العائق أتمنى لو
أستطيع أن أخرج من هذا العالم، لعل العائق يختفي.

هاتور:

وهل ترى حبي عائقاً أيضاً؟

زيدان:

نعم لأنّه حب محكوم عليه بالفشل مادما سنجني من هذه العلاقة؟ هل سيتزوج البشر بالجن؟ هل سنعيش حياة مستقرة؟ هل ستتوقفين عن التجوال وتبقين معّي؟ كان هناك معلم في قريتنا قديماً رجل حكيم يزورنا كل عام دائمًا ما كان يقول لا تنظر إلى زهرة خلف سياج عالي، لأنّها إن لم تكون في متناول يدك، فلن تكون لك حتى لو مدت روحك كلها نحوها. وأنت... أنتِ أجمل زهرة رأيتها، لكنّي أخطأت عندما ظننت أنّني أستطيع قطفك.

هل ترى حبي خطأ؟

هز زيدان رأسه وقال بصوت متهدج:

بل هو أجمل شيء حدث لي ولو عاد الزمن، لتمنيت أن أحبك من ذي الحظة الأولى التي خلقت فيها لكن لا أستطيع أن أنكر أننا لن نكمل أبداً أنتِ شمس، وأنا قمر كلّ ما يجري في مداره. هل تظنين أن الشمس والقمر سيتوقفان يوماً ليحتضنا بعضهما؟

أجبته الدموع تترفق في عينيها، لكنّها لم تسمح لها بالسقوط:

الشمس تعلم أنها لن تلتقي القمر، لكنها لا تستطيع التوقف عن الحلم
 بذلك تحلم أن ترى وجهه قريباً، ولو للحظة واحدة.

في تلك اللحظة، همست لنفسها بصوت لم يسمعه أحد:

لماذا وعدتني بالحب إن كنت تراه وهم؟

تمهل مصطفى بخطواته عن زيدان وهاتور، متباططاً عمداً حتى يجد
 الكلمات المناسبة، ثم التفت إليه فجأة و قال وهو يقترب منه:

زيدان لماذا الآن ..

زيдан:

لا أفهمك !!

مصطفى:

تحبها فجأة ثم تصدها فجأة لماذا تفعل؟ هل تمثلك قلباً وعقلاً، أم أنك
 تتلاعب بما لا تفهم؟

أجابه زيدان وكأن السؤال كان متوقعاً:

أنا فقط أتبع وصية حمزة.

سؤاله في دهشة:

وصية حمزة؟ وماذا في وصيته يجعلك تتخذ قرارات كهذه؟؟ ثم متى
وجد حمزة وقت ليخبرك وصيته؟

زيدان:

لا تعجب فنصيحته اعتبرها وصية، ثم أنت قلت لي الشيء نفسه، يا مصطفى. ألم تكن أول من حذرني من هذه العلاقة؟ ألم تقل لي إن هذا الطريق لن يجلب سوى الألم؟ حمزة فقط وضع كلماته كخاتمة لما كنت أنت بدأته.

هز مصطفى رأسه بشيء من الضيق وقال:

نعم أردت أن أحذرك، وما زلت مقتنعاً بذلك لكن هذا ليس سبباً لتقرار الآن أن تطفي ما أشعنته سابقاً، لماذا هذا التراجع الآن؟"

أغمض عينيه وكأن الإجابة تحمل ثقلاً يصعب حمله، ثم فتحهما ونطق بصوت منخفض مليء بالحزن:

لأنني أدركت أن الحب... زائل... الحب يا مصطفى جميل لكنه ضعيف أمام الموت، كيف جعلت امرأة تحبني وانا اعلم انها سترااني أموت أمامها في اي لحظة اما مقتول أو شيخ هرم هزني المرض؟ الموت الذي تفوح منه رائحة الحب أشد قسوة من الموت نفسه لا أريد أن أتذوقه ولا أريد لها أن تتذوقه.

مصطفى:

لكن الحب لا يُقاس بما قد يحدث بعده بل يُقاس بما يمنحك إياه الآن.
هذا الهروب الذي تخبي خلفه لن يحميك من الألم، بل سيزيديك فراغاً.

صمت زيدان بعد تلك الكلمات يفك ويقيس اثرها عليه.

ارتفع صوت هاتور وخرجت دموعها التي كانت تكبحها:

إن كان الحب زائلاً في نظرك، فلماذا وعدتني به؟ لماذا جعلتني أرى
فيه نوراً إذا كنت ترى ظله فقط؟

نظر إليها زيدان للحظة، ثم أشاح بعينيه بعيداً وكأن مواجهتها أصعب
من مواجهة نفسه وقال بصوت خافت:

لأنني كنت أصدق الوعد حين قلته... لكنني الآن أخشى أن يكون هذا
الوعد نفسه سبباً في هلاكتنا.

لم يمهلها الوقت أن تفكر في كلماته حتى ترد عليها إذ سمعوا صوتاً
غريباً يتعدد في أعماق النفق، تراجعوا في ذهول أرواحهم تقاد تنفجر
من فرط التوتر لم يكن الصوت فقط هو ما فاجأهم، بل المكان ذاته الذي
بدا وكأنه ينبض بالحياة بشكل مرعب.

تسارعت خطواتهم ومع كل خطوة كانوا يقتربون من مصدر الصوت،
لكن المفاجأة الحقيقة كانت في الكائن الذي ظهر أمامهم. رأسه كان

أشبه بكرة زجاجية ضخمة، تلمع بضوء خافت يشبه شعاع القمر على سطح مياه هادئة. داخل رأسه يوجد بحر من الرموز والأرقام تتحرك بلا توقف كأنها أغاز لا تفهم عيناه نقطتان ذهبيتان متوجتان.

جسده كان طويلاً ونحيلأ، ملفوفاً بوشاح من الضباب الداكن الذي يتحرك كما لو كان يتنفس. بشرته تتحرك برشاقة، تارة تظهر رموز فرعونية وتارة أخرى تندمج مع لغات منسية. يداه الطويلتان بأصابعه الحادة تترك آثاراً مضيئة في الهواء عندما يتحرك.

تكلم فكان صوته يتردد في أعماق عقولهم أكثر من أن يكون مسموعاً بالأذن فقط قال ببطء :

مرحباً بك يا زيدان و يا مصطفى، وأنت... يا بنت الجن والشياطين.

الدهشة سيطرت على الجميع، مصطفى وقد اختلطت عليه المشاعر سأل :

من أنت؟ وكيف تعرف أسماءنا؟

قال الكائن بصوتٍ رزين، يملؤه اليقين:

أعرف كل شيء، أعلم كل شيء. أنتم تبحثون عن العالم السابع، عن ملك العالم ، عن الخلاص من النهاية أليس كذلك ؟

أجاب زيدان:

نعم لكن كيف عرفت؟

الكائن:

قلت لك أنا أعلم كل شيء، تظنون أنكم في طريق النجاة. ولكن الحقيقة أن نجاتكم ليست في العوالم السابعة، بل هي بين أيديكم. أنتم من ستقررون مصيركم، وليس العوالم التي تظنون أنها ستمنحكم الخلاص.

قالت هاتور بصوتٍ منخفضٍ، يتسرب من بين شفتيها:

كيف لنا أن ننجو إذن؟ ما الذي علينا أن نفعله؟

فجأة، رفع الكائن يده في حركة حادة، وكأنما يقطع هواء الليل، ثم قال بعنفٍ غير متوقعٍ:

من صفات الجن أن لا يكشفوا أسرار الاميرات فلا تتمادي ثم ضحك ضحكةً مفزعـة، وكأنما يستمتع بالعب في عقولهم .

مصطفى:

إذ كنت تعرف كل شيء، فماذا تريد منا؟

أجاب الكائن ببرود ونبرة غير مبالغة:

أنا لا أجيب على أسئلة أنا فقط أطرح الألغاز، من ينجح في حلها، له الحق في سؤالي سؤالاً واحداً ومن يفشل، ستكون روحه ملكي إلى الأبد..

مصطفى:

لن تكون اروحنا في يدك فهذا ليس عدلاً.

ضحك الكائن مرة أخرى، ضحكة مليئة بالتشفي.

عدل... عن أي عدل تتحدث؟ إنكم أنقذتم العوالم الأولى، الثانية، الثالثة، والرابعة، وحتى الخامسة فهل ستستطيعون أن تنقذوا قريتكم وتجلبو لها العدل خرجم خمسه وصرتم اثنان وامامكم عالمان من يا ثرى سيسقط في هذا العالم ومن سيسقط في العالم السابع فلا تتحدثون عن العدل لأنكم لن تتذوقوا... ثم وكأنما قرأ ما في قلب مصطفى فأضاف:

انشغلو بأنفسكم أولاً، فكل ما تحاولون فعله هنا لن يغير شيئاً. جمیعکم مجرد نزلاء في عوالم لا تعرفونها فاحترموا آداب الضيافة.

شعر مصطفى بشيء غريب، كأن العالم كله يضغط عليه شعر كان روحه تسحب منه ببطء أخذ يلهث، محاولاً التنفس بصعوبة، حتى تكلم بصوتٍ ضعيف:

أشعر أنتي أموت... كأن... روحني تنسحب مني ثم سقط على ركبتيه.

ركع زيدان بجوار مصطفى، يمرر يده على ظهره في حركات دائرة محاولاً أن يساعد ه على التنفس ثم سأله بصوت بقلق:

بماذا تشعر .. ما الذي يحدث لك؟

تحدث مصطفى بصوته مضغوط لأن الكلمات تخرج من تحت جبل:

أني أختنق... أنا أختضر... روحني تبتعد.

التفت زيدان إلى الكائن فوجد رأسه تدور حول نفسها فصرخ به:

دعده، مادا تفعل له..

رد الكائن في جمود:

قلت لكم دخلتم دائري والحل الوحيد هو حل الغازي.

صرخ زيدان :

وما هي الغازك؟ قولها ودعه.

نظر الكائن إلى مصطفى للحظة فجأة احتفى الألم الذي كان يعتريه، ونهض وكأن شيئاً لم يكن. وقتها تحدث بصوته عميق يملأه الغموض:

الغز الأول، أنا سيد العقول أنا المجهول إن كنت تسأل فأنا الجواب وإن كنت تخاف، فأنا السقوط اقترب لتحلني، أو أحلك من كل يقينك. فمن أنا؟

في لحظة تحولت رأسه الزجاجية إلى ساعة رملية، وصدر صوت من داخله:

أمامكم دقيقتان.

بدأت حبات الرمل تتتساقط بسرعة هائلة، واحدة تلو الأخرى.

قال مصطفى وعيناه تملؤهما الحيرة:

ماذا عساه أن يكون؟

أجبت هاتور بقلق:

لا أعرف.

زيدان:

هذا الكائن من عوالم الجن فلا بد أنك تعرفيه وتعرفي الغازه.

عاد الصوت من الكائن مجدداً بنغمة تهديدية:

بقي دقيقة واحدة.

قال مصطفى يائساً:

لا يوجد وقت، اسرعى لم يبق في الرمال إلا الثالث!

صاحت هاتور:

لا أعرف... لا أعرف.

صرخ زيدان هو الآخر لكن بغضب:

لا بد أن تعرفي، هذا ليس وقت التردد إما أن ننجو جميعاً أو ننتاثر في
هذا الظلام للأبد... لم يعد أمامنا وقت.

التفت إليه بغضب :

هذا ليس من شأنك.

رد زيدان عابساً:

أفعل ما أفعله لأجلنا جميعاً، وأنتِ تقولين ليس من شأني؟ هل أنتِ حقاً
تضعين مصلحتك الشخصية فوق مصلحة الجميع؟ هل ذلك لأنكِ تُصررين
على نيران الحب، التي أخاف ان تحرقا، أم لأنكِ أناية لا تفكرين إلا في
نفسك؟

صرخ مصطفى محاولاً تهدئة الموقف:

توقف أيها الأحمق هذا ليس وقت النقاش أو العراك لنحاول التفكير
جميعاً في اللغز!

ثم توجه إلى هاتور قائلاً:

أرجوك لم يعد لدينا وقت الرمل يتتساقط بسرعة، ونحن في الشواني
الأخيرة.

رفعت رأسها ثم قالت بصوتٍ عالٍ كاسرةً التوتر:
الغاريث... أنت الغاريث.. وحش الألغاز.

رجع وجه الكائن من جديد، واختفت الساعة الرملية، ثم قال بصوت
 مليء بالأعجاب:

هو اللغز الأول... بقي اثنان.

ثم أضاف غير مكترث بما يجري من حوله:

اللغز الثاني أنا وحش بلا جسد، أعيش في عقول البشر. أخلق عالماً
من اللاشيء، وأربع من يصدقني لا أملك أيدٍ أو أسنان، لكنني أقييك
دون قيود أكون صغيراً في البداية، ولكن إن غذيتني، أبتلع عالماً
بأسره فمن أنا؟

مرة أخرى تحولت رأسه إلى ساعة رملية، وأصوات حبات الرمل تتتساقط بسرعة مذهلة.

قال زيدان وعينيه تتسعان من الشكوك:

كنت تعلمين حل اللغز الأول وصمت؟

أجابت:

أرجووك... جرحتني بما فيه الكفاية فلتصمت ولا تحدثني عن شيء.
دعني أعيش في حطامي، في الألم الذي يحرقني.

مصطفى محاولاً استعادة تركيزه:

توقف يا زيدان ولنفكر معًا في هذا اللغز أنا لن أقولها مجددًا كفاسكم من
هذا العبث.

زيدان صمت وراقبه بقلق بينما هاتور الشاحن بنظرها بعيداً وكأنها تخشى أن يلتقي بصرها بعينيه. تصاعد التوتر مع كل حبة رمل تتتساقط في الساعة الرملية.

ثم وكم من وجد المفتاح وسط المتأهله رفع مصطفى رأسه فجأة وتمتم:

إنه الشك... كوحش غير ملموس، يولد في ذهن الإنسان كفكرة صغيرة، يتسلل ببطء. لكن إن لم يحتوى فإنه يسيطر على العقل والفكر،

ينسج عوالم من الأوهام والمخاوف، تلك التي قد تكون أقوى من أي وحش حقيقي."

ثم التفت إلى الغاريث بثقة وقال:

الشك الإجابة هي الشك.

رجعت رأس الكائن كما كانت واحتفت الساعة الرملية ثم تراجع قليلاً وكأن شيئاً أدهشه بعدها قال:

اجابه صحيحة يبدو أنني أمام أذكياء... حتى لو كانت الإجابة تأتي متأخرة.

لكن هذا اللغز الأخير سيكون أعقد مما تخيلون. هل أنتم مستعدون؟

تحولت رأسه إلى كرة بلورية سوداء هذه المرة، وتوهجت بنقاط متلائمة بعدها ظهرت الساعة الرملية. خرج الصوت من داخله:

أنا الذي لا يُرى، لكنني أشعر، أنا موجود منذ البدء، ولكنني بلا شكل أستطيع أن أهدم أقوى قلاعكم، وأرفع أثقل أوزاركم كلما شاركتني، تضاعفت، وكلما أخفيتني، استوطنتك أنا أعيش في الجميع، لكن لا أحد يريد الاعتراف بي... فمن أنا؟

بدأت الساعة الرملية داخل رأسه بالعمل وببدأ الرمل يتتساقط بسرعة وكأنه يعاند الزمن.

قال مصطفى، وقد وضع يده على رأسه محاولاً التركيز:

ما هذا؟ شيء غير مرئي لكنه ملموس؟... هل يمكن أن يكون الريح؟

ردت هاتور:

لا... الريح لها شكل وتأثير واضح هذا شيء أعمق... ربما... الذنب؟

هز زيدان رأسه:

لا.. الذنب لا يهدم القلاع... لكنه... يتضاعف إذا شاركته؟

صاحب الغاريث وهو يضحك بصوت عالٍ:

بقيت ستون ثانية.. هل هذا كل ما لديك؟

ازداد التوتر بينهم، ونظر مصطفى إلى الساعة الرملية بعصبية:

الوقت ينفذ...

هاتور :

أحاول التفكير... لكنه ليس بشيء ملموس... يبدو وكأنه فكرة أو

شعور... ربما الحزن؟

قال زيدان، وهو يضغط قبضتيه محاولاً تهدئة نفسه:

الحزن؟... لا... إنه شيء أكثر خطورة... شيء يلتهمك إن لم تواجهه.

صرخ الغاريث: عشرون ثانية!

انخفضت أصواتهم، وبدأ التوتر يزداد. همس مصطفى وكأنه يتحدث إلى نفسه:

ـ ما الذي يعيشـه الجميع... ولا يعترفون به؟ ما الذي يدمر القلاع ويثقل النفوس؟

بدأ الرمل ينفد وحباته الأخيرة تتتساقط. صاحت هاتور فجأة:
ـ الخوف... الخوف هو الجواب.

لكن زيدان هز رأسه :

ـ لا إنه أعمق من الخوف. هو شيء يولد الخوف ذاتـه... إنه الندم.

رفع زيدان رأسه نحو الكائن في اللحظة التي ستسقط فيها آخر حبة من الرمل، وقال بصوت عالٍ:

ـ الإجابة هي الندم!

توقفت الساعة الرملية، وعم الصمت المكان. عاد الغاريث إلى هيئته الأصلية، ونظر إلى زيدان وهو يقول:

أحسنت يا بشرى لقد كدت أفوز بروحك، لكنك نجوت في آخر لحظة
الندم هو الإجابة، لكنه قد يكون صديقكم الم قبل، إن فشلتكم في
رحلتكم...

بعد أن انتهت الألغاز الثلاثة، استقام الغاريت وكان الهمة التي أحاطت
به اشتدت ظلاماً وعمقاً... قال بصوته الرنان:

لقد أثبتتم أنفسكم، ونجوتم من قبضتي فكما وعدتكم، لكم الحق بسؤال
واحد فقط لكن احذروا... السؤال هو كل ما لديكم فاختاروا بحكمة.

نظر الثلاثة إلى بعضهم البعض يفكرون في السؤال الذي سيخرجونه.
مصطفى كان يشعر بقلق عميق يحتاجه تردد في دخله سؤال واحد:

ما سر هاتور؟ وماذا تخفي شيئاً عنا؟... لكنه لم يجرؤ على النطق به.
بدا أن شيئاً في قلبه يرفض خيانتها بهذه الطريقة.

رفع صوته مبعداً تلك الأفكار :

أين نجد الغمرانيين؟

أطلق الغاريت ضحكة ساخرة، ثم أومأ برأسه كمن يعرف الإجابة
مبيناً:

الغمانيون... ذلك الجنس الذي لا يترك أثراً إلا حيث تكون الأرض على شفا الضعف والانهيار. لقد غادروا مديتها القديمة التي كنتم فيها للتو بسبب ضعف اللب لهذا قد استوطنوا مدينة جديدة.

ثم أشار بأطرافه الشفافة إلى أحد الأتفاق وقال:

بعد عدت امتار سيظهر مفترق اسلكوا النفق الثاني إلى اليسار، وستصلون إلى أطلال مكان كانوا قد هجروه هو ايضاً. هناك ستجدون علامات تدلّكم على اتجاههم... لكن احذروا... الغمانيون لا يثقون بالبشر، ولا يحبون الزوار غير المدعوين. قد تندمون على ملاحقتهم.

ثم، وكأنه يتلاعب بمصطفى، نظر إليه مباشرة بعينيه البليوريتين وقال بابتسامة ماكرة:

أما عن سؤالك الحقيقى، الذي كتمته في قلبك ولم تسأله، فلن أجيب عنه لأن الإجابة ليست عندي... بل في داخلك أنت.

قبل أن يتمكن أحد من الرد، بدأ جسد الغاريث يذوب كالدخان، وانطفأت هالته تدريجياً حتى اختفى تماماً، تاركاً وراءه صمتاً خانقاً وحيرة.

مصطفى تجنب النظر إلى هاتور، لكنه شعر بثقل السؤال الذي لم ينطق به، وكان الغاريث قد أثاره في داخله بمهارة شريرة.

الفصل الثامن والعشرون: دم المختار خلاص غياهبيا

بعد ساعات من السير في الطريق الذي وصفة وحش الألغاز.. بدأت الأجراءات تتغير حولهم الجدران الباردة كانت تضيء بوجه أحمر خافت ينبعث من الكريستالات الصغيرة المغروسة فيها، على نور هذا الوجه خرج أمامهم رجل مهيب، طويل القامة بجسد أزرق متوج بخطوط حمراء متشابكة كأنها شرائين تحمل طاقة الحياة. كانت عيناه أيضًا تتوجهان بلون ذهبي تحدث بصوت عميق وقوى:

ـ كيف تجاوزتم حدودكم أيها البشر ودخلتم عالمنا؟

ـ تبادل الثلاثة نظرات حذرة قبل أن تجيب هاتور:

ـ نحن لا نسعى للعداء، نحن هنا لطلب المساعدة.

ـ اقترب الكائن بخطوات ثقيلة، وصوته يزداد حدة:

ـ أنا لا أتكلم عنك يا أميرة أنا أتكلم عن البشر ... البشر لا يجلبون إلا الخراب.

ـ هاتور:

ـ تعلم من أنا ورغم هذا توقفني.

ـ اجاب:

انـا أركاديـوس حارـس هـذا المعـبر وـكـنـت أـتـمنـى أـنـ أـوقـفـكـ لـكـنـ لـسـتـ منـ يـتـخـذـ القرـارـ هـنـا... سـأـخـذـكـ إـلـىـ قـانـدـنـا، لـكـنـ يـكـونـ مـتـسـامـحـاـ إـنـ وـجـدـكـ خـطـرـاـ عـلـىـ مـديـنـتـنـا.

هـاتـورـ:

شـكـرـاـ لـكـ أـركـادـيـوسـ نـحـنـ مـمـتـنـونـ.

ارـدـفـ بـسـخـرـيـةـ:

لاـ اـطـلـبـ اـمـتـنـاكـ يـاـ اـمـيرـةـ، فـقـدـ جـلـبـيـ الـبـشـرـ إـلـىـ عـالـمـنـاـ.

قادـهـمـ عـبـرـ الـأـنـفـاقـ التـيـ بـدـأـتـ تـتـسـعـ تـدـرـيـجـاـ حـتـىـ وـصـلـوـاـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ مـخـفـيـةـ تـفـيـضـ بـالـطاـقةـ. كـانـ الـمـنـازـلـ مـبـنـيـةـ مـنـ الـكـرـيـسـتـالـاتـ الـحـيـةـ، تـتـوـهـجـ بـأـلـوـانـ تـتـغـيـرـ مـعـ مـرـرـوـنـ الـوقـتـ. كـانـ شـعـبـ الـغـمـرـانـيـنـ يـتـحـرـكـونـ فـيـ كـلـ اـتـجـاهـ، أـجـسـادـهـمـ الـزـرـقـاءـ تـشـعـ بـهـدـوـءـ، بـيـنـمـاـ الـخـطـوـطـ الـحـمـراءـ عـلـىـ جـلـودـهـمـ تـبـضـ مـثـلـ دـقـاتـ قـلـبـ جـمـاعـيـ.

لـكـ الـأـجـوـاءـ تـغـيـرـتـ فـورـ رـؤـيـتـهـمـ لـلـبـشـرـ. تـوـقـفـ الـغـمـرـانـيـوـنـ عـنـ الـحـرـكـةـ، وـهـمـ يـحـدـقـوـنـ بـهـمـ بـعـيـونـ مـتـوـهـجـةـ تـحـمـلـ مـزـيـجـاـ مـنـ الـخـوـفـ وـالـغـضـبـ يـهـمـهـمـوـنـ فـيـمـاـ بـيـنـهـمـ :

بـشـرـ؟ هـنـاـ؟ كـيـفـ سـمـحـوـاـ لـهـمـ بـالـدـخـولـ؟

لـقـدـ اـنـتـقـلـنـاـ لـتـوـنـاـ مـنـ الـخـطـرـ فـيـأـتـيـ الـيـنـاـ عـلـىـ الـأـقـدـامـ؟

لماذا لم يُغلق المعبر؟ البشر هم سبب ضعف التب..

تجاهل أركاديوس تلك الهمسات، لكنه نظر بحدة إلى الثلاثة وقال:

لا تتحدثوا، ولا تردوا. لن يحميكم شيء إن أثارتم غضبهم.

وصلوا إلى مبني ضخم، مصنوعاً من كريستالات شفافة تتوهج باللون الأحمر القاني. عند مدخله وقف قائد الغرانبيين، كان أطول قامة من أركاديوس، بجسد أزرق يفيض بالطاقة، وخطوطه الحمراء تشع بشكل مستمر مثل باقي شعبه يحمل عصا طويلة من الكريستال، وعيناه تشعان بقوة تجعل النظر فيها صعباً.

قال أركاديوس:

سيدي زارون، هؤلاء البشر جاؤوا بطلب من ابنة الملك تهان وأعتقد أنهم يبحثون عن شيء لا يمكننا تجاهله.

نظر زارون إلى الثلاثة نظرة طويلة وصمت للحظة، ثم قال بنبرة متحفظة:

أنتم تبحثون عن العالم السابع، أليس كذلك؟

سأل مصطفى متعجبًا: وكيف علمت؟؟

اردف زارون: كل ما يحدث في العوالم نعلمها في العالم السادس، لأن هنا قلب عوالم الجن.

ثم ابتسامة لم تخلو من التهديد وقال:

العالم السادس ليس مجرد مكان. إنه سر اللب و قلب العوالم السبعة.
ضعفه بدأ من البشر أنفسهم، من حروبكم وطمعكم فعالم الجن يتاثر من
عالمن البشر والآن جئتم تطلبون المساعدة فلماذا نساعدكم بينما أنتم
السبب في هذا الدمار؟

اجاب مصطفى :

أنت لم تمننا الفرصة لتعلم إن كنا مصلحون أو مفسدون.

ضحك زارون بمرارة وقال:

فرصة... لماذا امنحكم فرصة وأنتم اتيتم لطلب المستحيل. هل باب
العالم السابع ومفتاحه بهذه السهولة... إن كنتم تعتقدون ذلك فأنتم
مخظون.. تظنون أن اللب مجرد طاقة يمكن التلاعب بها.. لا... إنه
الحياة... إنه روح هذه العوالم و ضعفه يعني نهايتها .. ولذلك هنا اللب
ووحيده يملك مفتاح الوصول للعالم السابع ولن يسلمكم إياه ..

حاولت هاتور التدخل:

اللب تعني ان قلب غيابهيا.

اردف زارون مقاطعاً:

نعم انه هي..

قال زيدان:

ـ نحن مستعدون للي اي شيء كي نتجاوز هذا العالم..

تردد زارون ثم قال بصرامة:

ـ لكنكم بشر...وشعبي لن يقبل بوجودكم هنا.

سأل زيدان بقلق:

ـ وماذا سنفعل؟

اجاب زارون:

ـ سأسمح لكم بمقابلة الملك، ولكن عليكم أن تثبتوا أنكم لا تحملون
الخراب...اتبعوني.

سار زارون امامهم وأركاديوس خلفهم، بينما عيون سكان المدينة كانت
ترافقهم والهمسات تزداد اكثراً:

ـ لماذا يسمح لهم القائد زارون بالبقاء؟

ـ هل يثق بهم؟

البشر دائمًا يجلبون الموت معهم.

همس زيدان لمصطفى:

لا أشعر بالراحة هنا... يبدو أنهم يعتبروننا أعداء.

رد مصطفى:

يبدو... من أخبرك تلك المعلومة هي فطنتك؟؟ ارحمني مما أنا فيه منذ دخولنا هذا العالم والجميع هنا يقول أنهم يكرهون البشر ثم تأتي وتقول يبدو..

نظر زيدان إليه بامتعاض ثم قال :

لن أحدثك في شيء.. ثم وجه كلامه إلى زوران سائلا:

إلى أيّن تقودنا الم يكن ملوككم في الكريستاله الضخمة اقصد البيت الذي كنا امامته .

زوران باشمئاز:

لا ... ولا تسأل عن شيء.

ساروا خلفه في دهاليز مدينة العمرانيين، بدأ زارون يقودهم عبر شوارع ضيقة مليئة بالكريستال المتألق. كان الضوء ينبعث من كل زاوية، محدثاً انعكاسات ساحرة على الجدران المضيئة. الشوارع كانت

تزدحم بالغمريين، الذين كانوا يسرون بصمت، أجسادهم الزرقاء
تنتاغم مع خطوطهم الحمراء المتوجهة. بدا وكأنهم يتحركون مع
التيار، لا يلتفتون إلا على وجوه الغرباء الذين اقتحموا عالمهم.

وصلوا أخيراً إلى قاعة ضخمة، حيث جدرانها كانت مغطاة بالكامل
بأحجار كريستالية ناعمة ومتوجهة في قلبها كان هناك عرش ضخم
مبني من نفس البلاورات، عليه يجلس الملك...

قال زارون بصوت عميق:

ـ هذا هو الملك أزغاريس.

ثم انحنى قليلاً أمام الملك وقال:

ـ مولاي البشر وابنة تهان قد حضروا أخيراً.

نظر الملك إليهم بنظرة عميقة ثم تحدث بنبرة حازمة:

البشر.. أنتم هنا بسبب طموحاتكم الزائفة، تدفعكم رغبتكم في امتلاك
مفتاح باب العالم السابع .

قال مصطفى :

ـ نحن لا نبحث عن مفاتيح فقط، نحن نبحث عن توازن. نحن هنا من
أجل عالمنا... ومن أجل العالم كلها.

ابتسم الملك ابتسامة باهتة، لكنها كانت تحمل خلفها عاصفة من الغضب
المكبوت ارتفعت عيناه الذهبيتان :

توازن؟ أنت لا تدركون معنى الكلمة... أنت البشر بعقولكم الصغيرة
تظنون أن العوالم مستقلة، لكن ما تفعلونه في أرضكم يرتد صدأه هنا،
في هذا المكان. كل خراب في قلوبكم، كل طمع يحرك أفعالكم، يتحول
عذنا إلى شقٍ جديد في قلب غياهيبا.

وقف من مكانه ثم اقترب خطوة، وكان الأرض نفسها انكمشت تحت
ثقله بعدها تابع:

حين تحرقون أرضكم، يختنق هواونا. حين تريقون دماء بعضكم،
يصرخ لبّ هذا العالم. عقولكم تصنع آلاتكم، وآلاتكم تثقب جدار العوالم.
أنت لم تدخلوا عالمي اليوم فقط، أنت تسكنون جراحه منذ قرون.

حاول زيدان أن يتحدث، لكن صوته انطفأ حين التفت الملك نحوه بحدة،
ثم نظر إلى الثلاثة جميعاً وقال بصراحته:

قلوبكم تحمل الخراب..

خطت هاتور إلى الإمام قبضاتها مشدودتان ووجهها يشتعل بالغضب ثم
هتفت بصوت مدوٍ:

لا يحق لك أن تصف بنت ملك العوالم بهذا الوصف لقد تجاوزت كل حدودك، أيها الملك اللعوب.

ارتجمت القاعة من صرخة أزغاريس:

تجرؤين أن تصفيني باللعوب... أنا ملك العالم السادس، يقال لي هذا القول؟

رفعت ذقنهما بشموخ ويدها امتدت نحو صدرها كأنها تحمي شرفها:

وأنا أميرة العالم السابع، ابنة ملك العوالم وسيديك أنت، ولن أقبل أن أهان أمامك لقد قلت إن قلبي يحمل الخراب... وأنا أقول لك الآن ما حمل قلبي خرابٌ قط بل ملك المتصدع هو الذي يقطر عتمة..

تجمد لحظة كأن سهم كلماتها اخترق صدره، ثم لوح بيده بعصبية، محاولاً تهدئة الموقف:

كنت أقصد البشرَيْنِ... لا أنت.

هاتور رفعت يدها في وجهه بصرامة :

كفاك تبريرات واهية نظرت إليّ والكلمة قد خرجت ولن تمحي..

التفت الملك أزغاريس ببطء نحو زوران :

ماذا جلبت إليّ يا زوران؟

انحنى زوران بخوف بينما العرق يتصلب من جبينه، وصوته يرتجف:

سامحني يا مولاي... لم أعلم أن الأمر سينتهي إلى هذا الحد.

هاتور دفعت كلمات زوران جانبًا وهي تصرخ بحدة:

لا تتحدث إليه... تحدث إلى أنا... أنا من تريد، وأنا من تطلب. أريد مفتاح العالم السادس، اعتبره طلباً، اعتبره أمراً، اعتبره ما شئت... لكنني سأحصل على المفتاح.

ارتسمت على وجه الملك ابتسامة ساخرة، ثم رفع يده فجأة وأشار إليها بإصبعه كالسهم:

أنا لا أؤخذ بالتهديد، يا ابنة العوالم. ولو لا أنك ابنة تهان، لفصلت رأسك عن كتفيك الآن... وعلقتها على بوابة قصري لتكون عبرةً لمن يجرؤ على مخاطبتي بهذا الصلف. ولكن... والدك وحده من يحجب عنك عقابي.

ثم تابع بصوت أشد قسوة:

إذن تريدين مفتاح العالم السادس؟... المفتاح لن يُمنحك إلا لمن يصلح قلبك... لمن يعيد نبضه إلى التوازن. إذا أردتم المفتاح حقاً... فانزلوا إلى

أعماق غياهبيا أصلحوا ما أفسدتم، طهروا القلوب التي دنسنها خطاياكم أو استعدوا لتكونوا جزءاً من ظلام هذا العالم إلى أبد الآبدين.

قال مصطفى:

نحن مستعدون لأي شيء... كي نصل إلى العالم السابع ولكن... كيف نصلح الألب... أو القلب الذي تتحدث عنه؟

التفت الملك نحوه، ثم أجاب بصوت بارد :

إصلاحه لا يكون إلا على يد المختار.

هاتور:

ومن هذا المختار؟ وماذا يكون؟

جلس الملك أزغاريس فوق عرشه مرة ثانية وضرب الأرض بعصاه الثقيلة فانطافت أضواء المنبعثة من الكريستال واشتعلت النقوش على الجدران كأنها تستيقظ من سبات عميق. قال بصوت يخرج من أعماق الأرض:

منذ الأزل انكسر قلب غياهبيا بسبب افعال البشر جرح أبيدي لا يندمل، ومنذ ذلك اليوم صار قلب العالم السادس يتغذى على الدماء، فدمه نزف

في العوالم وعوضه لا يكون إلا من دم المختار. كل جنٍّ من الغمرانيين يولد بخطوط حمراء على جسده، تلك الخطوط هي لعنة الدم التي تربط أرواحنا باللب، لكن مرة كل ألف عام يولد استثناء، يولد واحد بخطوط ذهبية، أو تبدأ خطوطه حمراء ثم تتحول مع السنين إلى ذهب متوجّه، وهذا هو المختار. روحه ليست روحًا واحدة مثناً، بل روح بآلف روح، ودمه ليس كدمائنا بل دم ذهبي يشبه النور السائل، وجوده وحده يكبح جنون القلب ويهدي غضبه ويحمد تأثير البشر والعوالم الأخرى على غياهيبا. كلما خطط المختار نحو نضجه، بدأت خطوطه في التوهج ليلاً، جسده يقاوم ظلام اللب، لا يضعف ولا يمرض مثناً. وعندما يكتمل نموه يُقاد إلى قلب غياهيبا نفسه، فإن قدم دمه طوغاً هدا اللب، وانطفأت عواصفه، وتنفس العالم السادس قرناً جديداً من البقاء، أما إذا رفض قدره وتمرد، فإن الذهب يتتحول إلى سُمّ أسود، ويثور القلب غضباً، فلا يكفي دم آلاف الأرواح لتهذنته، وعندها يتتابع اللب العوالم واحداً تلو الآخر، يبدأ بغياهيبا ولا يتوقف حتى يصل إلى عالم البشر. هكذا عاش الغمرانيون في دورات أبدية، بين ميلاد مختار جديد وموته قرباً، وكلما سال دمه الذهبي على الشقوق هدا القلب الممزق، ونجت العالم... حتى يحين موعد المختار القادم.

قال زيدان:

قصة جيدة ولكن لم نعلم منها ماذا سنفعل :

اجاب الملك:

دورة المختار الجديدة بدأت منذ خمس سنوات فكان من المفترض أن يظهر المختار الجديد وقتها ولكنه امتنع من اظهار نفسه والكشف عن هويته، مهمتكم ان اردم المفتاح ايجاده واقناعه بتقديم دمه للقب..

خرج الجميع من القاعة، والأفكار تترافق في رؤوسهم. كيف يمكنهم البحث عن شخص قد يكون لم يولد بعد؟ وكيف يقعون أحداً بالضحية بحياته لأجل عالم بالكاد يعرفونه؟ بدأ المهمة مستحيلة، لكنهم لم يكن لديهم خيار.

ثبت زارون فجاءة، ونادى بصوت جهوري على جنديين كانا يقفن على
مقربة:

زیک... زاک... تقدموا.

اتى الجنديان على الفور، متشارباهي الملامح بشكل مدهش، وكأنهما انعكاس لبعضهما البعض. كانا طولين، بأجسام صلبة كالصخور، لكن عيونهما تحمل بريقاً من الطرافة التي جعلت من الصعب أخذ جديتهما بعين الاعتبار.

قال زارون مشيرًا اليهما:

هذان زيك وزاك، الأخوان الذكيان، أو كما أحب أن أسميهما الأسدان.
يفهمان كل شيء عن عالم غياهبيا، وسيكونان مرشددين لكم هنا. لا
تخدعوا بظهورهما قد يبدوان مهرجين، لكن لا أحد يعرف خبایا هذا
الشعب مثلهما.

نظر مصطفى إلى زيك وزاك بشيء من الشك، بينما انحنى الأخوان
بانسجام مبالغ فيه وقلا بصوت واحد:

سنكون عيونكم وأذانكم... وربما عضلاتكم، إن احتجتم.. ثم أضاف
راك مبتسمًا:

لكن خدماتنا ليست مجانية... نحب الطعام الجيد.

هموا على اصطحابهم إلى السوق الكبير حتى يتسلى لهم العثور على
المختار كان السوق يعج بالحياة وكانت الأكشاك مصفوفة بعناية على
جانبي الشارع، وكل باائع ينادي بأعلى صوته على بضاعته.

كرستالات الأحلام... تبعث رؤى المستقبل في نومك... صاح أحد
البائعين وهو يرفع بلورة صغيرة مشعة.

رداءات الخلود ارتديها ولن تشعر بالتعب أبداً... صرخت امرأة أخرى
وهي تعرض عباءات مزينة بخيوط فضية.

عصا القوة العظمى ضرية واحدة تكسر الصخور.. قال رجل عجوز
بنبرة مغربية وهو يلوح بعصا ضخمة.

كان السوق مليئاً بكل ما هو غريب وغير مألوف: أكواب تصدر
موسيقى عند الشرب، حقائب تتغير ألوانها حسب مزاج حاملها،
وأساور تبعث دفناً في البرد ونساماً في الحر.

وقف زيك وزاك أمام أحد الأكشاك المليئة بقطع الكريستال التي تشبه
قطع الحلوى. النقط زيك واحدة وقال بجدية مصطنعة:

هذا يا أصدقائي ليس مجرد كريستال. إنه كريستال الصبر. كلما انتظرت
وأنت تحمل هذه القطعة، ستشعر أن الزمن يمر أسرع.

رد زيك مازحاً:

ـ وهو أيضاً يجعل الطعام طعمه أفضل، أو هكذا قال لي البائع قبل أن
يخدعني.

ضحك الجميع قليلاً، لكن الجو كان مشحوناً بالتوتر. وبينما كانوا
يتنقلون بين الأكشاك، تساعل مصطفى بصوت عالٍ:

ـ كيف نجد المختار في هذا العالم المزدحم؟ كيف نعرفه أصلاً؟"

ابتسم زاك وقال بسخرية:

الحل بسيط نسأل كل شخص نراه هل لديك خطوط ذهبية... وإن لم يكن لديه نسأله هل تعرف أحداً لديه؟

تابع زيك بخث محمل يلأستهزاء:

أو ربما نسأل من نقابه هل أنت المختار؟ إذا قال لا ننتقل لغيره.

توقف زيدان مرة واحدة أمام أحد الأكشاك التي تعرض خناجر صغيرة لامعة، كل واحد منها محفور بنقوش غريبة تبدو وكأنها تروي قصة قيمة. كان أحد الخناجر يتميز بمقبض أسود تتخلله خطوط ذهبية تتوهج بخفوت مع حركة الضوء.

حدق زيدان بالخنجر بإعجاب وقال:

هذا يبدو رائعًا... كم سعره؟

رد البائع :

احسنت الاختيار وثمنها أربع بانكور فقط... هي قطعة نادرة جداً، صنعتها أيدي أمهر الحرفيين.

تراجع زيدان قليلاً، ورفع حاجبيه بدھشة:

أربع بانكور؟ ومن أين لي بهذا؟

اقترب زيك وأخرج أربعة عملات لامعة من جيبه ناوله إياها قائلاً:
ـ سأدفع لك ولكن تذكر اتفقنا أن نساعدكم هنا لا أن نصبح بنكاً متنقلًا.

تناول زيدان العملات بابتسامة محرجة وقال :

ـ أشكرك و لا تقلق سأردها لك ... ربما.

دفع زيدان النقود للبائع، الذي ناوله الخنجر : اختيار موفق، يا سيدي.
قد يكون هذا السلاح صغيراً، لكنه يستطيع أن يوقف أكثر المخاطر
فتكتاً.

تدخل زاك بابتسامة عريضة :

ـ أوه سلاح سحري الآن؟ لا تنس، أن تشكر زيك عندما تنفذ حياتك
بواسطته.

قلب زيدان الخنجر بين يديه يتفحصه باهتمام.

ليكمل زيك وهو يرفع يديه :

هذا آخر قرض مني. المرة القادمة عليكم تدبر أموركم بأنفسكم... أو ببع
شيء من أغراضكم!

اكملوا التجول في السوق يفتشون بين الدكاكين والطرقات المكتظة،
يسألون الباعة والمارة عن أي خبر يتعلق بالمختار. لم يكتفوا بالسؤال،

بل كانوا ينزعون الأغطية عن وجوه الناس ليتأكدوا من ملامحهم، فلا يتركون وجهًا مستترًا إلا كشفوه. بعض التجار حاول الاعتراض أو الاحتجاج، لكن الأخوين كانوا يرددان بحزن:

— هذا أمر السلطان... ومن يعرض كأنه يعرض على إرادته.

وهكذا سكت الجميع تحت رهبة الاسم، واكتفى كثيرون بخوض رؤوسهم خشية أن يقع عليهم الشك.

كان الجو في السوق مشحوناً بالتوتر يتخلله صمت ثقيل كلما مر زيك وزاك بين الصفوف.

وبينما يواصلن بحثهما الحاد، لم يغب عن أعينهما أن الزمن يفرّ من بين أيديهم، وأن صدى كلمات الملك ما زال يلاحقهم:

— ابحثوا عن المختار... فالوقت ينفذ.

خرجوا من السوق حتى اصطدموا بمشهد يقطع القلب الغرانيون في الطرق يجررون أجساد موتاهم بأذرع مرتجفة، بعضهم ينشج بصمت، وبعضهم يرفع بصره إلى السماء، يبحث عن معنى وسط الفاجعة. كانت رائحة الموت تملأ الهواء، والهمسات المذعورة تنتشر بينهم كما تنتشر النار في هشيم يابس.

سألت هاتور أحد الغمرانيين العجائز الذين يتأملون المشهد:

ما هذا؟ لماذا يموت شعبكم هكذا؟

تنهد الرجل بعمق وأجاب بصوت متقطع:

لا نعلم... كنا نعيش آلاف السنين بلا موت، بلا مرض لكن الآن... لا أحد منا سالم فجأة يسقط الغمراني ميتاً، بلا سابق إنذار البعض يقول إنه ضعف قلب غياهبيا... والبعض الآخر يظن أنه غضب الآلهة... كان صوته مليئاً بالخوف، وكأن كل كلمة كانت تقطع من روحه قطعة

تقدم زيدان بخطوات بطيئة نحو زيك وقال له وهو يشير إلى الجثث:

وأنت يا زيك ما تفسيرك لما يحدث؟

أجاب زيك ببرود يخفي سخريته:

ربما أكلوا جميماً من كريستالات الحياة المقلدة التي تباع في السوق... دائمًا هناك تخفيضات على الأشياء المشبوهة.

انفجر زاك في ضحكة مكتومة قبل أن يدفع زيك بكتفه قائلاً:

توقف عن هذا الهراء، إنهم يعانون، وأنت تحاول صنع كوميديا من المأساة!

رد زيك وهو يرفع يديه دفاعاً عن نفسه:

على الأقل أضحك قلوبهم قبل أن تتوقف تماماً!

نظرت هاتور إليهم بوجه متهجم ثم التفت إلى الرجل المسن مجدداً وتابعت :

كم عدد الذين يموتون كل يوم؟

أجاب الرجل بنبرة متعبة:

أعدادنا تتناقص سريعاً وكل يوم يمر يأخذ معه أرواحاً أكثر من ذي قبل وإذا لم يتغير شيء من هذا قريباً... لن يبقى أحد ليحمل ذكرى هذا العالم.

مصطفى:

علينا الإسراع. إن كان قلب غياهبياً يطلب المختار ليهدا، فعلينا العثور عليه قبل أن يفقد هذا العالم أنفاسه الأخيرة.

زيدان:

نريد أن نستريح ونأكل شيئاً الرحمة هذه باتت تشق كاهلنا.

راك:

إن أردتم ان تستريحوا يمكننا أن نساعدكم ولكن عليكم أن تصبحوا مثلنا، على الأقل شكلياً... نستر وجوهكم... وماذا ايضاً!!!

نظر زیک إلى زاک بتعییر یشوبه التردد:

هل فقدت عقلك؟ إذا غطوا جوهرهم ورافقونا، ستظن والدتنا أنهم من الغُرانيين. لكن إن اكتشفت حقيقتهم، ستغضب كثيراً.

رد زاک بثقة:

والدنا لن تعرف حتى لو كشفتهم قلبه أرhim، وستتفق على استضافتهم.

اختفى زاك فجأة، وعاد بعد بضع دقائق حاملاً ملابس غريبة مصنوعة من خامات لامعة:

البسوا هذه الأغطية، ولن يشك أحد في أمركم.

نظر الجميع إلى الملابس بارتباك، لكن لم يكن لديهم خيار آخر...

بعد قادهم زيك وزاك نحو منزلهما طرق زاك الباب بحذر.. بعد لحظات فتحت امرأة زرقاء بخطوط حمراء سميئه الجسد مهيبة المظهر، ذات وجه ممتليء و حنون احتضنت زيك وزاك بقوه، وقالت بموده:

أخيراً عدتما...

ثم توقفت مدهشة عندما رأت الثلاثة يقفون خلفهما بوجوه مغطاة،
قالت وهي تحدق فيهما بريبة:

من هؤلاء؟ ولماذا يخونون وجوههم؟

رد زيك بتوتر :

هم أصدقاء الملك.

ولماذا يغطون وجوههم؟؟؟

أجاب زاك:

إنهم يعانون من حمى النجامييس...

حوى النجامييس؟؟؟

تابع زاك:

أجل مرض خفيف يُصيب الغُمرانيين عندما يتعرضون لجرعة زائدة من ضوء الكريستالات. لا شيء خطير، فقط يحتاجون إلى الراحة في الظل حتى يهدأ تأثيره.

رفعت الأم حاجبيها بحذر، ونظرت إليهم بإمعان ثم قالت:

حسناً... طالما أنه ليس معدياً، ادخلوا واستريحوا. سأعد شيئاً يُعيد لهم قوتهم.

غمز زاك لزيك بخففة وهمس:

مرض؟ حمى النَّجَامِيس؟ منذ متى أصبحت طبيباً؟

رد زيك بسخرية:

منذ أن قررت أنقذ رقبتك ورقابهم!

المنزل كان البسيط، جدرانه مغطاة بمعدن الأورنيكس اللامع، مما يضفي عليه لمسة من الغموض والأناقة في ذات الوقت. الضوء الذي ينساب من النوافذ الشفافة ينعكس على الأرضية، ليخلق ظللاً تتحرك مع كل خطوة. الأثاثات متواضعة، لكن مريحة مع أغطية ناعمة متغطى المقاعد في زاوية الغرفة طاولة طويلة من الحجر الأسود، جلس الجميع بصمت، مراقبين بعضهم البعض.

لتدخل الأم بعد قليل تحمل طبقاً ضخماً من الطعام المتنوع. كان الطعام يعكس التنوع الثقافي لعالم غياهيبا، حيث تبعت منه روائح غريبة، بعض الأطعمة تحتوي على حشرات لامعة، بينما البعض الآخر عbara عن خضروات غريبة الشكل.

وضعت الطبق على الطاولة بحركة حانية، وابتسمت بوجوههم وهي تقول بصوت هادئ:

تناولوا الطعام، إنه معد خصيصاً لكم فلا تخجلوا.

نظر زيدان إلى الطبق أمامه، حيث كانت الحشرات تتحرك داخله ببطء مثير للاشمئزاز. قال بتردد وهو يحاول كتم شعوره:

ـ عمتي أم زيك وزاك... لست جائعاً، ما هذا؟ إنه... يتحرك!

تغيرت ملامحها على الفور، وتحولت من الحنان إلى الغضب. رمقت زيدان بنظرة حادة وقالت بلهجة مخيفة:

ـ آخر من رفض طعامي، صنعت منه حساءً بيدي، ولن يمنعني أحد إن اضطررت لذلك مجدداً. كل الآن، إلا ستصبح أنت الطبق الرئيسي الليلة.

شبح وجه زيدان، وابتلع ريقه بصعوبة. رفع الغطاء عن وجهه بحذر، وكأن كل حركة تكلفه شجاعة مضاعفة، وقطف جزءاً صغيراً من الطعام بأطراف أصابعه. مضغه ببطء، بينما كانت عيناً تالورا تراقبانه بلا رحمة.

حينها، التفت الأم نحو الآخرين وقالت بحدة:

ـ ماذا تنتظرون؟ كلوا لن يخرج أحد من هنا قبل أن ينتهي طبقه.

بدأ الجميع يأكلون على ممضض، في حين كان زيك وزاك يضحكان بشراهة ويأكلان دون تردد. إعادة الأم نظرها إلى زيدان بعدما رأته يُجبر نفسه على البلع، وابتسمت فجأة بحنان وهي تقول:

أوه، هكذا الأولاد يجبرونك على إخراج أسوأ ما في داخلك ليأكلوا!
إنها طريقتهم، دائمًا يدفعونك للجنون ليصبحوا راضين.

فجأة لم يتحمل زيدان وقفز عن كرسيه وركض إلى إحدى زوايا الغرفة حيث وجد علبة من الكريستال. انحنى فوقها وبدأ يتقيأ بصوت مسموع.

راقبته بصمت لثوانٍ، ثم تقدمت نحوه بخطوات بطيئةً. مدت يدها ورفعت الغطاء عن وجهه دون تردد. حدقت في ملامحه لفترة قبل أن تقول بصدمة:

بشرى!

نظرت إلى زيك وزاك بنظرة تجمع بين الحزن والغضب، وصاحت بصوت مخنوق:

هل هذه ترببي لكم؟ تضحكان على والدتكما وتختفيان بشريين؟

حاول زيك التدخل قائلًا:

أمي، أنت لا تفهمين...

قاطعت حديثه:

ما الذي لا أفهمه... أدخلتم البشر إلى منزلي؟ البشر الذين كانوا سبب دمار عالمنا؟ ومن هذه أشارت إلى هاتور فكشفت عن وجهها وقالت بتردد: جنية من العالم السابع؟

أخذت الأم نفساً مرتجفاً، كان صدرها يختنق بالوجع، واغرورقت عينها بالدموع وهي تقول بصوت مبحوح:

ما كنت يوماً مستعدة لهذه الحياة وحدي... لكن القدر لم يسألني رحل ابيكما بارفوس عنِي سريعاً، وترك لي وصية من لحم ودم، أنتما... كنتما الشيء الوحيد الذي منعني من الانكسار تماماً. كلما نظرت في عيونكما شعرت وكأنني أتشبث بما تبقى لي من روح.

توقفت لحظة تحاول كبح دموعها ثم تابعت بمرارة:

عملت حتى نزفت يداي، كابت الجوع والصمت والوحدة، لكن صوت ضحكتكما كان يرذني من حافة السقوط. لم يكن أمامي خيار سوى أن أُبقيكما على قيد الأمل، حتى لو مثُ من الداخل ألف مرة.

اقربت من زيك، رفعت كفها المرتجفة إلى وجهه:

أنت... كنت أكبر من عمرك دائماً. تحملت ما لا يُحتمل كنت جداراً أَسندت ظهري إليه وأنا التي كان يجب أن أكون سندك كنت أخشى أن

أنظر في عينيك لأنني كنت أرى رجلاً صغيراً يكتم خوفه كي لا يزيد خوفي.

ثم استدارت نحو زاك وتتابعت:

وأنت... كنت تحاول أن تصبحك على الموت، أن تجعلني أصدق أن الغد أجمل مما هو عليه. كم مرة ضحكت من قلبِ محطم فقط لأنني لم أتحمل أن أطفي نورك؟ لم أكن أقوى أم كما كنت تقول... كنت أمّا تترنّح على جراحها وتختبئ وراء ابتسامتك.

تراجعت إلى الخلف خطوة:

كبرتما وأصبحتما رجالاً يحتمي الملك بظل سيفهما. لكنني... الآن حين رأيت البشر تحت سقف بيتي شعرت وكأن كل تضحياتي تحولت رماداً هؤلاء الذين مزقوا عالمنا، الذين سرقوا كل شيء من بين يدي، كيف استطعتما إدخالهم إلى هنا؟ ألا يكفي ما ذقته بسبب ضعف قلب غياهبيا؟....

اقرب زاك منها وقال بهمس :

أمي... سامحينا لم نرد أن نفتح جرحك من جديد كل ما فعلناه أنا نحاول أن نعيد شيئاً من التوازن لعالمنا... نحن لا نثق بهم، لكننا مضطرون والقائد زارون هو من وضعنا في هذه المهمة

تنفس زيك ببطء، ثم نظر إليها بعينين ترتجفان من الدموع المكبوطة
وقال :

كنت دائمًا تقولين إننا قوتك، لكن الحقيقة... إنك أنت قوتنا. لولاك ما
كنا شيئاً فلاتخافي يا أمي... نحن لن نخذلك أبداً.

عانتهما الأم فجأة، كأنها تريد أن تطمس العالم كلّه بين ذراعيها
وتقيهما معها وحدها ثم بدأت تبعد زراعيها ببطء وقالت :

إن كان ما تقولاته حَقّا... فأنا أثق بكما ثم التفت إلى زيدان
ومصطفى وتابعت:

استريحوا هذه الليلة ولتعلموا... أنني سأبقى عيناً لا تنام.

بعد فترة وجيزة غرق المنزل في سكون غريب، إلا أن هاتور ظلت
مستيقظة، تحدق في السقف وكأنها تفكّر في شيء بعيد.

في الجهة الأخرى، كان زيدان قد غط في نوم مضطرب. فجأة، وجد
نفسه مرة أخرى في ذلك الحلم المزعج. كانت النداهة ، تقف أمامه في
الظلام، شعرها يتماوج كسائل أسود، وعيانها كشمعتين مضاعتين بنور
شرير. اقتربت منه بخطوات بطئه وهي تهمس:

ـ زيدان... تعال إلى جدتك ثرين ألا تزيد العناق.... وقبل أن يدرك ما يحدث، هجمت عليه بشراسة، وأحكمت قبضتها على رقبته، كانت أصابعها باردة كالموت، وضغطها يزداد صرخ وهو يحاول التحرر منها:

ـ اتركيني! اتركيني!

استيقظ فجأة وهو يصرخ، يمسك رقبته بقوة، وكان أثر قبضتها مازال يلتف حوله هرع مصطفى إليه بسرعة وجلس بجانبه ثم سأله بقلق:

ـ زيدان ما بك؟ ما الذي حدث؟

مازال لهاته يسمع وهو يجيب:

ـ لقد حلمت بها... مجدداً... الندامة... في شكل جدتي ثرين لم تعد تتركني منذ أن نادت علي. كأنها تطاردني حتى في نومي.

ـ مصطفى:

ـ لا تقلق يا صديقي كل هذا سينتهي فلم يتبق لنا سوى هذا العالم ونصل إلى مرادنا ولن تراها مجدداً.. سنعود إلى العاير وسنعيش كما كنا في سكينة.

ـ ثم أضاف بابتسامة مطمئنة:

ـ تخيل معي، قريتنا تعود للحياة، الزوار يتذفرون من كل البلدان، ونصبح مركزاً للتجارة مرة أخرى. الكتان للشام، التوابل للعالم... سنزدهر، وستصبح كل هذه الكوابيس مجرد ذكرى.

هؤلت أنفاس زيدان قليلاً وهو يتخيل المشهد أمام عينيه لكنه ظل محفوظاً في السقف وكان شيئاً ما بداخله يخبره أن هذه النهاية لن تكون بهذه السهولة.

بعد ساعتين أيقظ زيك وزاك الجميع من سباتهم.

تثاءب زيدان وقال بصوت خافت:

ـ متى الوقت فلا أعرف إن كنا في الليل أم النهار هنا... هذا الضوء لا يتغير أبداً.

ضحك زيك وقال:

ـ هكذا هو غياهيبا، دائم الإضاءة بفضل البلورات فلا شمس ولا قمر هنا.

تجهز الجميع وقبل أن يخرجوا، تقدمت الأم نحو ولديها. احتضنتهما بقوه، وكأنها تحاول أن تنقل لهما شيئاً من قوتها تراجعت قليلاً، أمسكت بوجهيهما بيديها، ثم استدارت نحو زيدان ومصطفى وهاتور وقالت :

هؤلاء أبنائي، هم ما تبقى لي من هذا العالم وإن أصحابهم أذى من خلفكم، سأجعلكم تتذوقون ألم مئات السنين التي عشتها في عذاب.

ثم عادت تنظر إلى زيك وزاك. مدت يديها لتحيط وجهيهما بحنان، وضمت كلاً منها على عجل، وقالت بحزن:

كونوا لهم عوناً، لكن لا تضحوا بأنفسكم. أريد أن أراكما تعودون لي سالمين. لقد عانيت كثيراً فلا تجعلوني افقدكم الآن.

هز زيك وزاك رأسيهما معاً وهمسا بصوت خافت:

لن نخذلك يا أمي سنحنيك وسنحني عالمنا.

الفصل التاسع والعشرون: خلاص القلب

بعد خروجهم بوقتٍ قليل قالت هاتور بصوت هادئ يحمل حيرة:

إلى أين سنذهب الآن؟ هل هناك أحد من الغُمرانيين يمكنه التنبؤ بالمستقبل؟

ابتسم زيك بخبث وقال:

هناك شخص يدعى أنه مازال يستمع إلى أخبار أهل السماء . يمكنني أن آخذكم إليه .

تدخل مصطفى معترضاً:

هل أنتم أيها الجن تؤمنون بهذه الخرافات أيضًا؟ إن الغيب لا يعلمه إلا الله.

رفعت هاتور حاجبها وقالت:

وماذا سنفعل؟ المختار هو أملنا الوحيد فدعنا نحاول.

تنهد مصطفى قائلًا:

حسناً لنجاول لكن لا تتوقعوا أن أدعم هذا الرأي.

أخذهم الأخوان إلى مكان منعزل مظلم ومحاط بجدران مليئة بالرموز الغريبة :

قال زيك بصوت مرتفع:

مرحباً يا بدقات!

ظهر بدقات من بين الظلال، كاكيان غريب الشكل، عيناه تلمعان بلون زمردي، وابتسمة غامضة ترسم على وجهه قال بصوت هادئ عميق:

مرحباً بزيك وزاك... وبينت تهان والبشريان.

اندهش زيدان وقال بسخرية:

يبدو أنه يعلم شيئاً بالفعل. ربما هذا التنبؤ ليس هراءً كما توقعت.

تقدمت هاتور بخطوة وطلبت:

نريد معرفة من هو المختار. هل ظهر؟ وإن كان موجوداً، أخبرنا أين يمكن أن نجده.

ضحك بدقيرات ضحكة غامضة، ثم قال وهو يجلس على كرسيه المزين بالكريستالات السوداء:

سؤال جميل... لكن حسابه كبير... أطلب خمسين بانكور.

قالت هاتور دون تردد:

لا يهم الثمن، فقط أعطنا الإجابة.

نظر زيدان إلى مصطفى بابتسامة ساخرة وقال:

يبدو أننا لسنا الوحيدين الذين لديهم أناس يصدرون الخرافات. هنا حتى الجن لا يعلمون، ويستعينون ببعضهم البعض.

بدقيرات لم يرد على تعليقاتهم، بل بدأ يتمتم كلمات غامضة، والجدران من حولهم بدأت تتوجه ببطء... حتى انه وقف واحد يلف ويدور حولهم خطواته ثقيلة ومصحوبة بزفيرات غريبة، كلما اقترب من أحد الجدران كانت الرموز المتوجة تزداد لمعاناً. فجأة توقف في منتصف الغرفة، ورفع يديه نحو السقف، وصدر عنده زفير طويل، قبل أن تتوجه عيناه بلون زمردي أكثر إشراقاً. تتمم بكلمات غير مفهومة، ثم قال:

المختار سيظهر بعد خريفين من أراض البشر... سيكون ظهوره مذهلاً وسيعود من بعد خروجه السلام لعالمنا... أول حرف من اسمه هو ميم... وأخره قاف.

صمت الجميع للحظة، قبل أن ينفجر مصطفى قائلاً سخريّة: مخرق؟!

ضحك زيدان وقال بتحمّل:

ولماذا لا يكون حرفاً آخر؟ مثل الألف بدل الميم؟

ضحك مصطفى بصوت أعلى وقال: تقصد أخرق؟

هز زيدان رأسه وقال:

آخرق... مثل هذا الأحمق الذي يعتقد أنه يتربأ! سأثبت لك أنه لا يعلم شيئاً.

تقدم بخطوات ثابتة نحو بدقّرات ورفع صوته:

يا بدقّرات، إن كنت حقاً تتبأ ولديك قدرة على معرفة الغيب، فلتثبت ذلك لي الآن لدّي طلب، وإن استطعت تحقيقه سأعترف بقدراتك.

ابتسما بدقّرات ابتسامة ساخرة وقال:

وما هو طلبك يا بشري؟

قال زيدان بابتسامة ماكرة:

لو كنت حقاً تعلم الغيب، لكنت علمت مطلبي قبل أن اطلبه وداعاً إليها
الأحمق!

التفت إلى هاتور وقال بنبرة جادة ممزوجة بالسخرية:

لا تدفعي له شيئاً... إنه مدعي..

مصطفى:

هذا هو أخي زيدان الذي أعرفه..

بدقراط تمتم بكلمات غامضة ثم بدأ ينسحب نحو الظل وكأنه يحاول
الهروب أو التخفي. هرع زاك خلفهم بقلق وقال:

لقد أثارتم غضبه، لا أعتقد أن هذا سينتهي على خير.

ضحك مصطفى بلا مبالاة وقال وهو يصفق بيديه:

أتمنى ذلك... فربما أخيراً نحصل على شيء مثير.

في طريقهم ظهر رجل غريب، بلحى لامعة وملابس مهترئة زادت
غرابة وعيناه تحملان بريئاً مزيجاً من البلاهة والحكمة، وكان العالم
بأسره سرّ يعلمه لكنه لا يكترث.

قال بصوت غريب متقطع:

تحركوا... تحركوا... ابحثوا عن المختار... آه... لن تجدوه تحت الحجارة أو خلف الأبواب... المختار ليس شيئاً... أو ربما هو كل شيء... من يدري؟

توقف قليلاً، ينظر بعينين متسعتين إلى زيك وزاك، ثم تابع وهو يشير إليهما بحركة عشوائية:

أنتم... أنتم هناك أراه فيكم... أو ربما لا؟ لا، لا... لا أراه لكنه يختبئ... يختبئ كما يفعل القطة حين يخاف، أليس كذلك؟ ههه، المختار يظهر عندما لا تبحثون عنه، لكنه لا يختفي... هو فيكم... فيكم أنتم، أم... ربما في أحدكم؟

نظر للجميع بخبث طفولي وقال:

احذروا... أحياناً... عندما تبحثون عن المختار تجدون... النهاية بدلاً من البداية... اختاروا بحكمة... أو بغباء فالطريق واحد ههه، أليس كذلك؟

ثم استدار فجأة وكأنه نسي وجودهم، وبدأ يبتعد ببطء، يتمتم بكلمات لا معنى لها، حتى تلاشى كأنما لم يكن هناك أبداً.

نظرت هاتور إلى ضهر الرجل وهو يبعد وقالت باستخفاف:

من هذا الأبله؟

أجاب زيك:

لا تقولي إنه أبله فقد كان يوماً من كبار أثرياء غياهبيا، اسمه كاليسين، رجل حكيم وعالم مرموق لكن .. لا نعرف ما الذي حدث له. فجأة فقد كل ما يملك وأصبح مجنوناً.. وتخلى عنه الجميع.

مصطفى :

لا أحد يبقى على حاله... الحياة تدور، والمرء لا يعلم متى يسقط أو ينهض."

تفرق الجميع في أرجاء غياهبيا بعد ذلك، يطردون الأبواب ويتحدثون مع الغمرانيين، يسألون بلهفة عن المختار، يبحثون في الوجه عن علامات مميزة. لكن الإجابات كانت مخيبة للآمال؛ البعض تجاهلهم، والبعض الآخر أغلق الأبواب في وجوههم بخوف، إذ لم تكن رؤية البشر مألوفة في هذا العالم.

كان زيك وزاك يسارعان إلى تهدئة الموقف، يطلبان من زيدان ومصطفى تغطية وجوههم، قائلين:

غطوا وجوهكم الغمرانيين سيتحدثون إن شعروا بالأمان.

ومع ذلك، لم يجدوا أي خيط يقودهم للمختار، بل واجهوا جدراناً من الصمت والتجاهل.

وفجأة، وسط البحث المستميت، اهتزت الأرض تحت أقدامهم. صوت مدوٍ شق السماء، كأنه غضب من الأعماق. البيوت الكريستالية بدأت تتحطم واحدة تلو الأخرى، صرخات الغُمرانيين ملأت الهواء، والذعر عم المكان.

في خضم الفوضى، هوت بلورة ضخمة من السقف نحو هاتور تجمدت مكانها للحظة، عاجزة عن الحركة لكن زيدان قفز دافعًا إليها من تحت البلورة فسقط الاثنان أرضًا، بينما البلورة انفجرت إلى شظايا حولهما. فتساقطت الصخور الصغيرة على زيدان لكنه لم يتحرك، جعل من جسده درعًا يحميها.

نظرت هاتور إلى وجهه، نظرات مليئة بالدهشة والامتنان، وكأنها ترى زيدان لأول مرة قالت :

لماذا تدافع عنِي؟

زيدان.

انا لا ادفع عنك بل عن قلبي فلن اتحمل فقدانك.

قبل أن يسقط حجر آخر، رفعت هاتور يدها، مستعدية طاقتها الداخلية، وكانت درعًا من الطاقة أحاط بهما، يلمع بوهج ذهبي منع الحطام من الاقتراب منها.

تنفس زيدان بعمق وقال بابتسامة:

نسيت ألكِ تملكين أكثر من مجرد الكلمات.

ردت هاتور بابتسامة خجولة:

لا أظن أنني كنت سأتمكن من استخدام هذه القوة لولاك...لماذا تبتعد عنِي؟

زيدان:

أنا أحبك... لكن لن يتزوج بشري بجنية.

همست:

ولماذا تقول هذا الآن؟

لأن الحقيقة أفضل من الوهم.

ثم استدار بعيداً تاركاً إياها في صمت مثقل بالمشاعر.

توقف الزلزال، لكن المشهد أمامهم كان أشد قسوة من الهزة نفسها. الأرض امتلأت بشظايا البلاورات المحطمة، وامتزجت بدماء داكنة تميل إلى اللون الأزرق النيلي، لون دماء الغمرانيين. الجثث متاثرة في كل مكان، بعضها مطمور تحت الحطام، وأخرى مرمية بوضعيات مؤلمة وكأنها تعبّر عن لحظاتها الأخيرة.

صرخات الأطفال في كل مكان وبعضهم يركض بلا هدف، أصواتهم تختلط بأنين المصابين الذين بالكاد يتحركون. الأمهات يبحثن بجنون عن أبنائهن، يصرخن بأسماء لا يُجاذب عنها سوى بصمت القتلى.

أما زيدان، فقد كان ينظر إلى جثة طفل عمراني صغير ممسكة بلعبة مكسورة، دموعه متجمدة في عينيه، لكنه لم يتكلم. مصطفى، الذي بدا أنه يحاول الحفاظ على تماسكه، قال بصوت منخفض:

لا وقت للأسى الآن، علينا المساعدة.

بدأوا جميعاً يتحركون، يبحثون عن أحياط تحت الأنقاض، بينما عيونهم تراقب السماء الكثيبة التي بدت وكأنها تبكي مع هذا العالم المنكوب.

ظهر كاليسين الرجل المجنون بين الحطام كظلٍّ مثقل، خطواته كأنها تحمل ثقل عالمٍ كامل. عيناه الغائمتان تجولان في الموت المبعثر أمامه، كأنهما تعرفانه عن قرب... لكنه لا يقترب منه وقف فجأة، رفع رأسه إلى السماء الشاحبة، ثم قال بصوت يختلط فيه اليأس بالتمرد:

لقد تعبت... تعبت من حمل ما لا يُحمل، من السير في طريق لا نهاية له. كل النظارات تحكم على قبل أن أنطق، وكل يوم يقطع من روحي ما يكفي ليحيي رجلاً آخر. لماذا لم يقتلني هذا العالم بعد؟ لماذا يتركني حياً لأنجرع نفس المرارة مراراً؟

صمت لحظة، كأن نفسه ضاقت به ثم أضاف:

أحتاج أن أضحك، ولو ضحكة زائفة تخدع قلبي بأن الفجر سيأتي.
لكنني أعرف أنني أسير لحياة ليست لي... كأنها وديعة في يد شبح
غادرني منذ زمن.

كلماته انسابت بين الركام كأنها طعنات في صدر الحاضرين. وقفوا في
صمت مسلول، لا يدرؤن أهي حكمة عاشهما أم نزيف روح تتلاشى.

قال زيدان وهو يرمي بعينين متسعتين:

هذا الرجل ليس مجنوناً... نحن المجانين..

قال مصطفى بنبرة حاسمة:

لا وقت لنزيف الكلمات إن بقينا هنا سندفن معهم، الطريق الوحيد هو
القلب... قلب غياهبيا... هناك سنجد الحقيقة، سواء حملت لنا الخلاص
أو الهاك المختار لن يأتي إلينا، والوقت لن يرحمنا. إن أردنا إجابة فلن
نجدها إلا هناك... بعد أن أنهى حديثه أشار لزيك:

خذنا إلى القلب.

زيك:

لكن بدون المختار سنمومت.

مصطفى:

وإن بقينا هكذا سنمومت أيضًا..

نظر زيك إلى زاك في تردد ثم تقدم وأشار بيده. فاتفتح جدار صخري خرج منه ممر طويل غارق في العتمة. دلفوا واحداً تلو الآخر دون تردد.

الجدران ملساء سوداء، تسقط فيها خطوط ضوئية تتحرك ببطء، والهواء ثقيل يضغط على الصدر. الأرض تتغير مع خطواتهم، بلا انتظام؛ صلبة، ثم رخوة، ثم حادة الحواف وأصوات خافتة تخرج من الأعماق. لم يكن هناك أثر للريح أو الرطوبة، فقط ثبات خانق يملأ الفراغ.

استمروا في السير ومع كل خطوة يخطوها يدنوا من نغمة ثابتة تزداد وضوحاً، نبض يتتردد في الجدران وفي عظامهم. الأصوات تداخلت حتى صارت طنيناً متداً، وكل واحد منهم أحس بالاهتزاز يسري في جسده.

ظلوا على هذا الحال حتى انشق الطريق عن هاوية، فوقها جسر بلوري ممدود في الفراغ يشع بضوء أحمر داكن، كان الدم يسري فيه.

وعندما عبروا، انفتح أمامهم فضاء هائل قبة لم ثبن بل نمت، جدرانها من بلورات حية تنفس مع كل نبضة. وفي مركزها كان القلب كتلة عملاقة لا تشبه الحجر ولا النار بل خليط من الاثنين، ينبع بضوء متقلب بين البنفسجي والقرمزي ومع كل نبضة كان الفضاء كله يرتجف.

قال زيك بابتسامة قائمة وهو يرمي المكان:

هنا... حيث يتقطع كل شيء. وهنا تتلاقى كل الأرواح.

نظر مصطفى إلى القبة بشدة وقال بصوت ثابت:

هل داخل القبة يضحى المختار بنفسه، أليس كذلك؟

أجاب زيك:

نعم.

مصطفى:

إذن سأدخل.

قال زيدان وهو يحاول منعه:

توقف أيها الأحمق هل تدرك ما الذي قد تفعله بنفسك؟

ـ ادرك جيداً فكما هؤلاء الشعب يعاني أهلاًنا وأهل العاقير هناك يعانون.
ـ سأفتح هذا الباب، لو تطلب الأمر دمي لست أقل من هؤلاء الذين ضحوا
بأنفسهم من أجل العاقير، لبيد، ليث، حمزة والكثير غيرهم أنا أخوكم
الأكبر، ولست مجرد صديق لكم ولن أتراجع.

ـ لكن هاتور تدخلت وهي تتبع مصطفى بنظرة مشددة:

ـ أنت لا تفهم شيئاً من يضحي بنفسه يجب أن يكون من هذا العالم لا
ـ أنت.

ـ رد مصطفى دون أن يتراجع:

ـ وإن كان كذلك، سأحاول لا أستطيع الوقوف هنا دون أن أفعل شيئاً.

ـ أجابته هاتور بصوت حاد:

ـ وإن لم يكن الأمر كما تتوقع، ستضيع تضحيتك سدى.
ـ في تلك اللحظة، تدخل زيدان وقال بلهجة هادئة محاولاً تهدئه الموقف:

ـ هاتور تقول الصواب يقول الله تعالى: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.
ـ تراجع مصطفى عن الخطوة التي كان يهم بها وهمس:
ـ ونعمـة بالله.

ـ نظرت هاتور إلى زيك وزاك وقالـت:

لقد سمعنا أن هذا القلب حي هل هذا صحيح؟

أجاب زاك:

هو كذلك

تقدمت بضع خطوات وعندما اقتربت من قلب غياهبيا، انخفضت الأصوات حتى يثن لها الحديث وكأن القلب يعلم بوجودها :

يا أيها القلب، أريد أن تحدث معك.

تردد صوت مهيب، من الأرض نفسها :

هل معكم المختار؟

أجابته هاتور:

لا... لم نأت بالمحتر، ولكننا نبحث عن الإجابة.

قال القلب بصوت كأنه ينبع من الجحيم:

أي إجابة؟ إن لم يكن معكم المختار فقد جلبت لأنفسكم الموت.

تدخل زيك بابتسامة غامضة وقال:

أنا هنا.

تابع زاك :

سُنمت من المراوغة... هنا أنا أيضًا هنا.

رفعت هاتور عينيها نحوهما يعلوها الارتباك والحيرة وهي تقول:

عن ماذا تتحدثان؟.

أجاب زيك:

حين ولدت أنا وأخي، جئنا بخطوط ذهبية خافتة، لكن الخوف تملّك
أمنا من أن يقتلنا شعب الغُمرانيين. لم تجد سوى أن تضعنا بين يدي
الحكيم كاليسين، الذي ألقى علينا تعويذة غيرت خطوطنا إلى الحمراء.
منذ تلك اللحظة، فقد الحكيم عقله، لأنَّه تجرأ أن يبعث بطبيعة غيابه.
أما أمي، فقد فعلت ذلك خوفاً من أن تفقدنا، كما فقدت أبي من قبل.
ونحن حبًا بها أخفينا حقيقتنا. سرنا بينكم كأننا نبحث عن المختار...
بينما كنا نحن المختار. أخفينا ذلك فقط كي لا تكتشفونا.

هاتور:

إذن... المجنون كان يقصدكم؟ حين قال إن المختار في دخلنا!!

أجاب زيك وزاك معاً، كأن صوتهم خرج من قلب واحد:

نعم... لكن حين رأينا مصطفى يضحي بنفسه من أجل قريته، ومن أجل
عالم ليس عالمه، أدركنا وفهمنا أن المختار ليس من ولد بالعلامة فقط،
بل من اختار أن يحمل النار عن الجميع.

مد زيك يده نحو يد زاك، فاشتبكا، وتقىدا معاً نحو قلب غياهبيا. وفي لحظة خاطفة، انفجر نور شديد غمرهما، ومسح خطوطهما الحمراء، لتعود ذهبية متوجهة. تبادلا نظرة صامتة ثم التفتا إلى من حولهما و قالا بصوت واحد :

لا تدعوا أمنا تحزن ما سنفعه الآن هو من أجلها... ومن أجل غياهبيا... ما حاولت أن تخفيه خوفاً... كشفه القدر لأنّه كان أقوى من كل خوف..

مع دخولهما إلى القبة تحاوط القلب تحول المكان إلى عالمٍ من الضوء القوي و بدأ لون القلب يتحول إلى الأحمر القاني و تكتمل الصورة مع أنغام الهمسات المرعبة.

مسك زيك خجره وزاك قابله بخجر مماثل، قبضتاهما مشدودتان حتى بياض المفاصل، وكل منهما وضع نصله البارد على عنق الآخر في لقطة تجمد الدم في العروق. ابتسامة خبيثة ارتسنت على وجهيهما تحدّ صامت استعداد كامل لأن يسيل الدم.

لكن قبل أن يكتمل المشهد الدامي اخترق مصطفى القبة واندفع بسرعة تفوق النظر ودفع زيك وزاك بعيداً بكل قوته ليحطم توازنهما في لحظة واحدة

لم ينتظر ثانية رفع سيف البرق، عالياً وضرب قلب غياهيبا بكل عنف.
اهتزت القبة وانفجرت أصداء الضربة في كل أركانها

ثم... حدث ما لم يتوقعه أحد امتص القلب البرق واخذ يتلوى ويتفتت،
ثم يتشكل من جديد...

أذرع تبشق، سيقان تتكون، كتلة الظلام تحول لوحش هائل يقف
 أمامهم، عيناه جمرتان وفي قبضته، خاتم يشع بضوء غريب، كان
 الموت نفسه يتنفس من خلاه.

صرخة هاتور قطعت الهواء:

إنه... إنه يحمل خاتم الموت.

قال زيدان بلهجة مذعورة:

ـ خاتم الموت؟ ماذا يعني هذا؟

هاتور:

ـ الخاتم هو من يضعف اللب هو اللعنة التي اجتاحت القلب... ولهذا
 تحدث الهزات ولهذا يموت شعب الغرانيتين بالآلاف.

قاطعهما زيك :

ـ لا افهم شيء ؟؟

قالت:

من سمات خاتم الموت احتياجه إلى أن يرتوى بالدماء حتى يهدا وجوده في قلب غياهبيا يعني انه السبب في كل شيء.

زيك:

ولهذا كان دم المختار هو الحل الوحيد.. دم المختار يساوي ألف روح عندما يُسفك على القلب يهدا الخاتم ويحمد لقرابة ألف عام.

زار القلب فكان صدى زائره كأن الجبال نفسها تنهار. الخاتم في يده بدأ يشع بضوء دموي، كأنه يستعد لابلاع الأرواح الحاضرة. رفع يده المكاللة بالخاتم المسؤول، وأطلق شعاعاً أحمر ارتجت معه الأرض. فجأة بدأت الجثث المتاثرة على أطراف القبة تتحرك وكأنها عادت للحياة تلك الجثث كانت للملائكة المختارين الذين ضحوا بأنفسهم على القلب ارتفعت الأجساد المتآكلة، عيونهم الخالية من الروح، تحمل طاعة عميم للوحش.

صاحت هاتور وهي تحاول صدهم:

إنه يوقظ الأرواح التي تغذى على دمائها! لن يرحم.

صاح زاك بغضب:

هؤلاء أرواح الغمرانيين الذين ضحوا من أجلنا كيف يمكننا أن نحاربهم؟.

زيك رد:

عليها أن حررهم لا أن نحاربهم هم سجناء لهذا الوحش ومصيرنا أن ننقذهم.

رفعت هاتور يديها فأطلقت طاقه من النور في جميع الاتجاهات فشكلت حاجزاً مؤقتاً اوقف تقدم الموتى:

هذا لن يدوم طويلاً، علينا أن نتكاشف الآن.

مصطفى تداني من الوحش :

إنه يريدنا أن ننشتت، لكننا لن نعطيه ما يريد... ثم قفز عالياً، وسد ضربة هائلة من البرق إلى قلب الوحش لكنها ارتدت، وأطاحت به إلى الخلف.

ضحك الوحش بصوتٍ مروع:

لا يمكنك تدميري، فالآلاف الأرواح تحارب معي.

زيدان الذي كان يختبئ خلف الحاجز، وجه سهماً باتجاه إحدى الجثث الزاحفة السهم اخترق صدرها، لكنه لم يسقطها. نظر في دهشة، ثم صاح:

لا يمكننا قتالهم بالطريقة العادلة! إنهم محميون بسحره.

قالت هاتور، وهي تطلق دوائر من النور لصد هجمات الوحش:

نحتاج إلى تفكيك تعويذة الخاتم. زيك، زاك، أنتما الوحيدان القادران على ذلك!

تبادل زيك وزاك نظرة سريعة، ثم أوماً برأسهما. زيك قال بصوت حازم: مصطفى، شتت انتباهه! زيدان حاول منع الموتى من الوصول إلينا. نحن سنكسر الخاتم..

المعركة تبدأ في أعنف صورها.

مصطفى ينطلق نحو الوحش، يهاجمه بسيف البرق بضربات متلاحقة. البرق يتاثر في كل اتجاه، يخلق عواصف صغيرة تقطع طريق الموتى الزاحفين.

زيدان، من مكانه المرتفع، يطلق سهامه بدقة، يوجهها نحو أرجل الموتى لإبطائهم، بينما يحاول الحفاظ على هدوئه وسط الفوضى.

باسم النور والقوة، أحرركم!" صرخت هاتور، ودومات الضوء التي أطقتها كانت تزيل الظلم عن بعض الجثث، تعيد لهم بقایا وعيهم للحظات قبل أن يسقطوا بلا حراك.

أما زيك وزاك، فقد اقتربا من الوحش. وقف الاثنان أمامه، يرافقان أيديهما معاً، وخطوطهما الذهبية تتوجه بشدة. صرخ زاك:

ـ نحن لسنا فقط المختارين، نحن من سيفسد خطتك..

الوحش، في حركة مباغتة، رفع يده، وأطلق موجة من الظلم اجتاحت القبة بأكملها.

الظلم أسقط الجميع أرضاً، إلا زيك وزاك، اللذين ظلّا واقفين، مشعين بالنور. زيك قال: "هذا هو وقت النهاية، يا أخي."

ـ زاك أوما برأسه:

ـ دماء المختارين لن تذهب سدى مجدداً.

اتحدت طاقتهم، وتحول نورهما إلى رمح هائل من الطاقة النقية. تقدم الوحش نحوهم، فرفع زيك وزاك الرمح معاً ثم أطلقاه نحو الوحش.

ـ أيتها الأرواح السجينية، تحرري صرخ زيك.

الرمح اخترق الخاتم مباشرةً، وحدث انفجار هائل من النور. الوحش صرخ بألم، وبدأ جسده يتحلل إلى ظلال تتلاشى. الجثث المتناثرة سقطت أرضاً، وعادت القبة إلى صمت مخيف.

ابتسم زاك وزيك وهما يلتقطان أنفاسهما بعد المعركة الطاحنة. نظر زاك إلى مصطفى وقال بابتسامة مرهقة:

لولا شجاعتك، لكان الآن مجرد دماء يتغذى بها الخاتم."

ابتسم مصطفى، لكنه قال بلهجة ساخرة وهو يهز رأسه:

أنقذتم من قال هذا؟! بل أنقذت نفسى من والدتكما فلو عدت بدونكم، لصنعت منا جميعاً حسائعاً... والحقيقة؟ والدتكما أكثر رعباً من الوحش الذي حاربناه.

لحظة ساد الصمت ثم انفجر الجميع بالضحك حتى أن زيدان، الذي كان يمسح الغبار عن وجهه قال ضاحكاً:

أوافق مصطفى الرأي. لقد رأيت غضبها مرة... هذا الوحش يبدو لطيفاً بالمقارنة.

زيك :

ربما تكون على حق. والدتنا لا تعرف المزاح عندما يتعلق الأمر بنا. لكننا لن ننسى وقوفكم معنا، مهما كان السبب.

كانت هاتور تراقبهم من بعيد بصمت. عيناهَا كانتا ملئتين بالغموض، ووجهها يحمل مزيجاً من الحذر والتفكير العميق.

بينما انشغل الجميع بمزاحهم وضحكاتهم، تحركت نحو بقايا الخاتم المكسور التي كانت مت坦اثرة على الأرض. وقفَت فوقها للحظة، تراقبها بتمعن وكأنها ترى فيها أكثر مما يراه الآخرون.

رفعت يديها برفق، وهمسَت بتعويذة خافته:

انبعث نور خافت من أطراف أصابعها، وجُمعت شظايا الخاتم معًا في دوامة من السحر. في لحظة، اختفى كل شيء داخل قطعة صغيرة من الضوء، ثم أغلقت يدها عليه.

نظرت حولها لتتأكد أن أحداً لم ينتبه. بابتسامة صغيرة، همسَت لنفسها:

بقايا القوة لا تترك للقدر قد نحتاجها يوماً.

عادت إلى المجموعة بنفس الهدوء الذي تحركت به، وكأن شيئاً لم يكن.

عاد السلام إلى قلب غياهبيا، واختفى الظلم الذي كان يخيم على المكان. برقت الكريستالات بتألق لم تشهده من قبل، وأعاد القلب قوته التي كانت مهددة بالزوال. ازدادت الأحجار الكريمة تألقاً، وانتشرت

الحياة في كل أرجاء المدينة. حتى المرضى الذين كانوا يئنون منذ سنوات طويلة، شفوا وકأن قوى غياهبيا ذاتها قد غسلت آلامهم.

حين عادوا إلى المدينة، وجدوا استقبلاً حافلاً بانتظارهم. شعب غياهبيا، الذي عاش في خوف طويل، اصطف في الشوارع يهتف ويرفع الرايات. العيون كانت تدمّع فرحاً، والأصوات تعلو بنداءات الشكر.

خرجت أم زيك وزاك من بين الحشود، ركضت نحو ولديها واحتضنتهما بقوّة وكأنها وقالت بصوت مرتجف، لكنه مليء بالفخر:

لقد فعلتما... إنقذتما غياهبيا دون أن افقدكم. كنت أخشى أن يُكرر القدر مأساتي، لكنكم أثبتتما أنكم أقوى من كل لعنات العالم.

ابتسم زيك، ونظر إلى والدته بحب، وقال:

الفضل لا يعود لنا وحدنا يا أمي، لقد كان مصطفى هو من أنقذنا عندما كنا على وشك السقوط. هو ورفاقه كانوا القوة التي احتجناها.

تقدمت من مصطفى وأصدقائه وقالت :... أنتم لم تنقذوا غياهبيا فقط، بل أنقذتم أبني. لن أنسى هذا الجميل ما حييت. أنتم الآن جزء من عائلتنا، وجزء من غياهبيا إلى الأبد.

الشعب الذي كان يستمع إلى كلماتها انفجر بالهتاف:

يعيش البشر... يعيش البشر... كانوا يهتفون بقوة وشغف، وكأنهم
يعيدون بناء جسور الثقة بين العوالم.

تقدم القائد زارون، ذلك الرجل الذي كان يُعرف بحزمه الشديد، نحو زيك وزاك. وقف أمامهما بثبات، ثم ابتسם بفخر نادر الحدوث وقال:

أبطالي وأسدائي... كنت أعلم أن هناك قوة عظيمة في داخلهما، لكنني لم أكن أعلم أنكما ستكونان المختارين. لقد أثبتتما أن الدماء الذهبية تحمل أكثر من مجرد إرث، بل تحمل الأمل. أنتما فخر غياهبيا.

انحنى كلاهما قليلاً كتحية احترام.. قال زاك بهدوء:

لم نكن لنفعل هذا وحدنا، لقد كنا جميعاً يداً واحدة، وكل منا كان مختاراً بطريقته الخاصة.

إيضاً استعاد كاليسين عقلة حتى بدا وكأن غياهبياً استعادت أحد أعمدة حكمتها المفقودة. اقترب من والدة وهمس :

رأيت الآن ما حدث حين تركت الأمر للقدر.

ابتسمت بارتياح، وقالت وهي تتفحص وجهه:

كاليسين... هل تتذكري؟

نعم، لقد استعدت عقلي بظهور المختارين. هم من جلبوا التوازن الذي كنت أحتجه لأتحرر من عباء الفوضى.

مرحباً بعودتك يا صديقي القديم.

اجتمع الجميع في قصر الملك أزغاريس، الذي كان ينتظرون بترقبٍ وشغف. وقف وخطب في الحضور:

لقد فعلتم مالم يجرؤ أحد على فعله... المختاران زيك وزاك أثبتتا أنهما يستحقان أكثر من الاحترام ومن الآن أمنهما لقب أسياد قلب غياهبيا وسيكونان الوصيآن على القلب.

أما ابنة تهان ورفاقها، فإن شكر غياهبيا بأسرها لن يفيهم حقهم. لهم منا جوائز عظيمة، وعرفان خالد.

مصطفى:

شكركم يكفيانا، لكننا لا نحتاج شيئاً سوى إذن للعبور إلى العالم السابع.

فوجئ الجميع بصراحته، لكن كاليسين تدخل:

العالم السابع ليس مجرد مكان يمكنكم الوصول إليه بسهولة. المختاران يحملان في داخلهما جزءاً من قلب غياهبيا؛ خطوطهما الذهبية ليست مجرد زينة، بل هي الرابط الذي يمكنه فتح بوابة العالم السابع. فهما مفتاح العبور.

التفت زيك وزاك إلى بعضهما، نظراتهما تحمل مزيجاً من المفاجأة والحزن. أغمساً أعينهما، يحاولان استشعار الرابط الذي تحدث عنه كاليسين. كان الأمر كما لو أن صدى خافتًا يناديهما من أعماق الأرض. مذاً أيديهما، وبدأت هالات من الضوء الذهبي تنبعث من جسديهما، مشكلة طاقة غريبة تحركت في أرجاء القصر.

قال زيك بصوت مهيب:

نشرع به... إنه في داخلنا، القلب يرشدنا.

أضاف زاك: علينا اتباع التعليمات التي تصل إلينا.

قام الاثنان برسم حركات معقدة في الهواء بأيديهما، ما أثار هالة من السحر حولهما. فجأة، ظهرت أمامهما بوابة صغيرة، بدا كأنها تمتد إلى قلب غياهبيا. انطلق منها صندوق صغير مزين بالنقوش القديمة، وكان القلب ذاته قد أرسله تقدم مصطفى وأخذ الصندوق، لكنه قال بهدوء: هذا ليس لي.

ثم سلم الصندوق لهاطور، التي فتحته بحزن.. دخل الصندوق وجدت ورقة قديمة ومفتاحاً صغيراً يتلألأً أمسكت بالمفتاح ووضعت إصبعها عليه، ثم قرأت بصوت عالٍ الكلمات المكتوبة على الورقة:

"سرتحمل..."

كانت الكلمة تحمل طاقة غامضة هزّت القاعة بأكملها. الضوء المحيط بالمفتوح ازداد توهجاً، وبدأ المفتاح يتحرك من تلقاء نفسه، كما لو كان مدفوعاً بقوة خفية. استدار المفتاح في الهواء ببطء، حتى وجد ثقباً في جدار القاعة واندفع نحوه. في تلك اللحظة، انفتح الباب بصوت هائل، كاشفاً عن بوابة متألئة تمتد نحو العالم السابع.

الفصل الثلاثون: مملكة العوالم

خطا الثلاثة إلى العالم السابع فاستقبلتهم عظمة لا يمكن وصفها بسهولة الأرض كانت تلمع بلون ذهبي، و السماء فوقهم امتدت بصفاء أزرق غامق، تخللها خيوط ذهبية متوجة ترتبط بجبلين شاهقين في الأفق، كأنهما يحضنان العالم بينهما. بين هذين الجبلي، كان هناك عنكبوت ينسج شبكة العجيبة. الخيوط لم تكن فقط ممرات، بل كانت أشبه بطرق شفافة مضيئة، تتفرع في كل اتجاه نحو ملايين البوابات التي تطفو في الهواء، كل واحدة تنبع بطاقة مختلفة، تؤدي إلى عالم خاص بها.

المنازل في هذا العالم كانت تحفًا معمارية مذهلة، مزيجًا من عبقرية البشر وسحر الجن بعضها كان يبدو كقلاع زجاجية شفافة، تعكس الضوء بألوان قوس قزح، وأخرى كانت معلقة على خيوط العنكبوت، وكأنها أعشاش سماوية هناك أبراج مرتفعة بُنيت من حجارة بلورية،

تعكس السماء كأنها جزء منها، وبيوت صغيرة محفورة داخل الجبال، أبوابها مزينة بنقوش قديمة تخبر قصص العوالم المختلفة.

أما شعب العوالم، فكانوا كائنات متعددة الأشكال. الجن كانوا الأطول والأكثر أناقة بعيون تتوهج وأجنحة خفيفة كالضوء تظهر وتختفي. بينهم كائنات أشبه بالبشر، لكن بسمات تختلف، كجلد مضيء أو هالات سحرية تحيط بهم. كانت هناك مخلوقات طائرة تشبه الطيور، لكنها بحجم البشر وذات ريش معدني يعكس الضوء في جميع الاتجاهات.

في الأفق، كانت أسراب من الطيور العجيبة تحلق بحرية. بعضها كان بأحجام هائلة، بأجنحة شفافة كزجاج ملون، وأخرى صغيرة، تشبه الفراشات لكنها تصدر ألحاناً موسيقية أثناء طيرانها. الطيور لم تكن فقط للزينة؛ بعضها كان مرسلاً ينقل الرسائل بين العوالم، وأخرى ترشد المسافرين عبر خيوط العنكبوت.

شوارع المملكة نفسها كانت ساحرة فيها أسواق ضخمة تعج بشعوب العوالم المختلفة، تعرض بضائع سحرية مثل مشروبات تعيد الشباب، وأحجار تعزز القوة، وأقمصة تتغير ألوانها حسب المشاعر.

هاتور أشارت إلى كل هذا وقالت بفخر:

— هذا هو عالم مملكة العوالم. كل شيء هنا يحمل أثراً من العصور الأولى، حيث اجتمعت الكائنات العاقلة لبناء حضارة تجمع بين السحر

والعلم، البشر كانوا شركاء رئيسيين، لكنهم الآن جزء من الماضي، ولم يعد أحد يزورنا إلا نادراً.

مصطفى وهو يحدق في العنكبوت الذي يتحرك بخفة عبر خيوطه العظيمة قال:

هذا العنكبوت الجبار ما دوره؟

اجابت هاتور :

هذا العنكبوت يدعى أركانيس اسمه مشتق من كلمة أركانا التي تعني السحر الغامض والمخفي وهو قلب هذه الشبكة. خيوطه ليست مجرد جسور، بل هي النبض الذي يصل بين العوالم. البشر كانوا يتنقلون هنا بحرية قديماً بفضل خيوطه، لكن بعد أن حفظ سر جبل المعرفة، أصبحت الخيوط تنتظر من يستحقها أركانيس أيضاً حارس، إذا عُبت بالخيوط، يطلق قواه لحماية النظام.

وأضافت بنبرة مليئة بالهيبة:

البوابات المفتوحة الآن قليلة، والبقية مغلقة بسحر عظيم. من يحل لغز الجبلين يستطيع التحكم بكل بوابة ويفتح طرق جديدة بين العوالم. إنه سر يفوق كل الخيال...

فجأة ظهر شخص من العدم أمامهم بملامح صارمة ونظره حادة، يلف جسده عباءة سوداء .

نظرت هاتور إليه بدهشة ممزوجة بالراحة، وقالت بنبرة تحمل احتراماً عميقاً:

كيف حالك يا هارن؟

نظر زيدان إلى الرجل بتوجس، ثم قال بعد لحظة تأمل:

اليس هارن هو الذي سمعتك تتحدثين معه في تلك الليلة؟

هاتور:

نعم، هارن هو أحد أفضل حراس مملكتي، وأكثرهم ولاءً لي.

انحنى هارن باحترام :

أشكرك يا مولاتي، لكن هذا ليس وقت المدح جئت بر رسالة عاجلة.

اتسعت عينا هاتور وهي تسأله بقلق:

ماذا حدث؟

قال هارن بسرعة، وكأنه يخشى أن يضيع الوقت:

مولاتي شرميزه أدخلت الشياطين إلى المملكة فسيطر了وا على القصر الملكي واحتجزوا الملك في السجن المظلم. لقد أظهرت وجهها الحقيقي... ولم يكن كما توقعنا.

أكمل هارن بصوت خافت لكنه يحمل ثقل المصيبة:

الأمور في المملكة ما زالت تبدو طبيعية للعيان... الشعب لا يعلم شيئاً عما يحدث في القصر لأن شرميزه تظاهرة بالولاء وتحافظ على النظام ظاهرياً... كما أنها تخطط لقتل الملك قريباً، وحينها ستعلن نفسها الحاكمة الوحيدة.

توترت ملامح هاتور، وعيناه التمعتا بغضب مكبوت، لكنها تماسكت وقالت بحزم:

هذه ليست مجرد خيانة، إنها حرب على كل ما تمثله المملكة. إن لم نتحرك سريعاً، ستُصبح السيطرة مستحيلة.

تدخل زيدان وهو يتحقق في هارن:

لكن لماذا لم تكشف شرميزه عن نفسها حتى الآن؟

رد هارن:

لأنها تعلم أن الشعب لن يقبل بها بسهولة. فتحاول كسب الوقت لإحكام قبضتها، وللتخلص من أي تهديد محتمل، خصوصاً منك يا مولاتي، ومن أي دعم قد تجدينه.

قال مصطفى بصرامة، وهو يشد قبضته على سيفه:

إذا كانت خطط لإبادة كل من يعارضها، فعلينا أن نسبقها بخطوة.
ونصل إلى الملك.

نظرت هاتور إلى الأفق، وكأنها تفكر بعمق، ثم قالت:

إنها معركة خفية قبل أن تكون علنية. علينا أن نحشد الحلفاء دون إثارة الشكوك، ونحرر الملك قبل أن يكتشف أمرنا.

هارن بحزم:

أمرك يا مولاتي.

زيدان:

هل هذا يعني أننا سنتسلل كاللصوص؟ أم أن لديك خطة أكثر جرأة؟

هاتور :

في هذه المملكة.. حتى التسلل له طابع خاص.

اردع زيدان:

قد أكون تصرفت تصريفاً خاطئاً معك في الفترة الأخيرة. كان ذلك بسبب حزني على فقدان حمزة، والضياع الذي شعرت به لكن... أريدك أن تعرفي شيئاً واحداً أنا معك بقلبٍ وعقلٍ كاملين.

ابتسمت هاتور ابتسامة خفيفة، ملامحها تنطق بالتفهم، لكنها كانت تراه بعمق أكبر من كلماتها. تقدمت نحوه ببطء، وأمسكت يده برقة، وأجابته بصوت مليء بالهدوء والحنان:

الآلم يجعلنا نفقد أنفسنا أحياناً ، لكن ما يهم هو أن ما بيننا لا يزال حياً، حتى في أصعب لحظاتنا. وبما أنك هنا بجانبي أؤمن أن كل شيء ممكن.

لن أخذلك أبداً، ولن أتركك في أي وقت حتى لو كان العالم كله ضدنا.

سألت هاتور، وهي تنظر إلى هارن بتفحص:

أين الحراس يا هارن؟ هل علم أحد غيرك بذلك؟

أجاب هارن بسرعة:

هناك 15 جندياً تحت قيادي، وهم على علم بكل شيء، منتظرين إشارتك للتحرك."

قالت هاتور بعزم:

سحرر والدي من سجنه أوّلاً ثم ستنال أمي عقابها.

مصطفى :

أنا أشد بغضًا لهذه المرأة، لأنها أنجبت الشر الذي قتل الكثير من أهلي. انتظر الانتقام.

قالت هاتور بحزم، وهي تطمئن مصطفى:

لا تقلق، سحرر والدي أوّلاً، وستنال أمي ما تستحقه.

أعطى هارن حقيبة لهاطور، ففتحتها بحزن. أخذت منها حجرين معدنيين صغيرين، ثم وضعت أحدهما على ظهر مصطفى، والآخر على ظهر زيدان. مع لمسة خفيفة، بدأ الحجران يتحولان إلى أجنحة واسعة ومتقدة. ربطت الأحزمة حول بطنهما، مشيرةً إلى أنهما بحاجة للتحكم في الأجنحة:

ستحتاجان هذه الأجنحة للطيران هنا... كان البشر يستخدمونها عندما كانوا يعملون في هذه المملكة... هي مرتبطة بأعصابكم. حاولوا التركيز للتحكموا بها.

بدأ زيدان يركز، وحينها بدأت الأجنحة ترفرف قليلاً، لكنها كانت غير مستقرة. شعر وكأنه سيسقط في أي لحظة، ثم ظهر خلفه صوت هاتور، وهي تطير بجواره:

ركز، تتحكم الأجنحة بالغضب والفرح وحتى الحزن اجعلها جزءاً منك.. أنت كذلك، مصطفى طير.

طار مصطفى خلفهم، يحاول أن يتوازن ويقوى في تحكمه بالأجنحة، بينما كان هارن يطير وراءهم، يراقب تحركاتهم .. الرياح كانت تعصف بهم والأجنحة ترفرف بسرعة قال مصطفى متسائلاً بنبرة فضولية:

ما حكاية هذه العوالم وكل هذه الأبواب؟ لقد حكيت لنا القصة ، ولكن أشعر أن هناك أمراً لم تذكريه.

اجابت هاتور :

عالم الجن كان في البداية مفتوحاً دون عوالم ولكن حدثت حرب مدمرة دمرت كل شيء قسمت القبائل وأدت إلى فوضى شديدة. حتى جاء جدي العظيم ساليس الذي قال :

نقسم عالم الجن ونصنع حدوداً بين كل قبيلة وآخر ومن هنا صنعوا العالم

توقفت لحظة، ثم استكملت وهي تشير إلى الأفق الواسع:

قام جدي بتوحيد جميع الجن باستخدام سحرهم وصنعوا العنكبوت أركانيس الذي نسج شبكة من الخيوط، التي وصلت إلى جميع العوالم. ومن خلال هذه الشبكة، أنشأوا مملكة العوالم، وكل عالم كان مخصصاً

لجنٍ معين حسب قدرته و اختياره . وكل قبيلة سكنت عالمها الخاص بها . لكن الأقوى بينهم هو من حكم مملكة العوالم ، وكان جدي هو الذي حمل هذا اللقب ، مع عشيرته .

أضافت بحزن ممزوج بالغضب :

لها عندما شعر أبي بالضعف ، بدأت قبل الجن الأخرى تطمع في الحكم ، وكل قبيلة تحاول أن تسيطر على مملكة العوالم . وفي محاولة لحماية مملكته تزوج من عشيرة الشياطين ، ليقوى حكمه ويجمع قوته من خلال تحالفهم . لم يدرك أبي أن تحالفه مع الشياطين سيقوده إلى تدمير كل ما بناه جدي ولو عرف ، لما اختار هذا الطريق أبداً .

أشارت من الأعلى وقالت بصوت حازم :

ها هو السجن تأملت أسواره المظلمة ، ثم أضافت بسرعة :

هارن أمر الجن وأمأ برأسه وأعطى إشارة سريعة إلى الجنود ، فطاروا خلف هاتور في تنظيم محكم .

قالت هاتور بثقة :

استعدوا ... هبط الجميع في تزامن تام . وقف مصطفى في الهواء ، جناح يحلقان وكأنه جزء من الرياح نفسها ، بينما رفع خاتمه مستدعاً

سيف البرق الذي لمع في يديه. وعلى الأرض، كان زيدان يجهز سهامه، ينظر بتركيز إلى الأعداء الذين يقتربون منهم.

اهجموا .. قالت هاتور من الأعلى، ثم اندفع الجميع إلى قلب المعركة. ضرب مصطفى بسيف البرق ، فأنزل الشخصين اللذين كانوا يراقبان البوابة في لحظة واحدة. بينما كان زيدان يطلق سهامه بسرعة هائلة، يقضي على كل من يقترب منهم. كان القتال في الخارج يشتعل بدموية، والجند يصدون الهجمات بشراسة، يحاولون حماية ظهورهم.

هاتور وهي تدافع عن نفسها قالت لزيدان:

أمن ظهرنا مع باقي الجن... ثم استمرت في تحركها نحو عميق السجن، كل من يواجهها كان يسقط بين يديها. أظافرها القوية وسحرها يفتن كل شيء يعرض طريقها، تقطع أعداءها إلى نصفين في لحظات.

استمرت المعركة الملحمية بكل قوتها حتى وصلوا إلى باب مغلق، محاط بسلسل سحرية ضخمة وطلاسم مظلمة تمزج بين سحر الجن والشياطين. توقفت هاتور أمام الباب، تحاول جمع قوتها لفتح السلسل، لكن الطلاسم كانت أقوى مما توقعت. حتى سيف البرق الذي كان في يد مصطفى لم يكن قادرًا على فك السحر.

قالت وهي تلتفت إلى مصطفى:

لا داعي للقلق، أنا عندي الحل.

أخرجت هاتور خاتم اليأس بسحرها، وتبعه بقايا خاتم الموت، الذي كان يحمل قوة مظلمة شديدة نظرت إليهما وهي تهمس بتعويذة غامضة، ثم قالت لمصطفى بنبرة قاطعة:

ناولني خاتمك ولا تسأل لماذا قبل أن ينفذ الوقت!!

تردد مصطفى للحظة، لكنه لم يلبث أن خلع خاتم الدمار وسلمه لها. وضعته بين يديها .فحملت الثلاثة خواتم في راحة يدها اليمنى . بدأت تتمتم بتعويذة مليئة بالقوة والشهوة للدمار الخواتم بدأت تتفاعل، وتلتزم مع بعضها البعض في خاتم واحد .

ابتسمت وهي تمسك بالخاتم الجديد وقالت:

الآن يمكنني فتح الباب.

أشارت بالخاتم إلى الباب المغلق، فانفك الطلاسم بسرعة مذهلة، وبدأ الباب الثقيل يتحرك ببطء، حتى فتح فجأة. لكن ما حدث بعد ذلك كان أبعد مما توقعه الجميع.

خرجت امرأة من السجن، جمالها كان غريباً وساحراً، لكن الشر كان يتالق في عينيها. قال مصطفى بدهشة وهو يحدق في تلك المرأة المجهولة:

أليس والدك بداخل؟ من هذه؟

ضحك هاتور ضحكة مرعبة، أظهرت وجنتيها بنوع من السخرية
وقالت:

بل أمي شرميزة هي من كانت في الداخل.

اندهش مصطفى، وسأل في زهول: لكن كيف؟؟؟

قالت هاتور وهي تضحك ضحكة عالية:

ايها الأحمق لم تعلم بعد.

سؤال مصطفى وكأنه لا يريد التصديق:

أعلم ماذا؟؟؟

أردفت هاتور:

أنا النداهة أيها الغبي . أنا من قتلت بثينة، أنا من قتلت ثلاث قريتك، أنا
من نشرت الفساد والرعب في كل مكان.

وتابعت، دون أن تلتفت إلى مصطفى :

كنت أنا من جعلتكم تذهبون للبحث عن المساعدة وطلبها من الحاكم.
أنا... كنت الشيخ محمد الذي اقترح على مجلس الشيوخ هذا الاقتراح

وقتلت الشيخ عديل، كبير الشيوخ بعد مغادرتكم. وكل هذا كان جزءاً من خطتي حتى أخرج امي.

قال مصطفى بنبرة ملؤها الصدمة،

وعيناه تتقاذان بالغضب:

كيف استطعت أن تكوني وراء كل هذا؟ كيف خانتني عيوني
وصدقتك؟

هل نسيت أن النداهة تغير شكلها؟ تابعت بصوت مخيف.

أنا من فعلت كل هذا من أجل الحصول على الخواتم الثلاثة. ولو لولكم،
لما استطعتم فعل ذلك. تضحياتكم كلها كانت من أجلي، أنت لم تكونوا إلا
أدوات في يدي.

قالت وهي تمد يديها نحو الخاتم بكل فخر: وبفضل هذا الخاتم، سأقتل
العنكبوت، وأهدم المملكة بأسرها.

ثم نظرت إلى والدتها، شرميزة، بنظرة دافئة لكنها مليئة بالشر، شقت
الطريق إلى قلبها.

أخيراً، اجتمعنا يا أمي.

أجبتها شرميزة بصوت قاسي جاف:

هذا ليس وقت العواطف علينا قتل والدك أولاً.

لكن فجأة وفي لمحات خاطفة، تقدمت شرميزه إلى مصطفى الذي كان يقف متسمًا بالغضب والدموع. قبل أن يستطيع الحركة، أطبقت يدها الجبار على رقبته، وجذبته نحوها بسرعة خاطفة. عينيه تكاد تخرج من محجريها وهو يحاول التنفس، لكن يديها كانت تحكم الخناق على عنقه بقوّة لا يمكن مقاومتها بدأ جسمه يرتجف وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة. في تلك اللحظة كان الألم يعصر قلبه أكثر من جسده. كان يعرف أن نهايته قد حانت.

شكراً يا بنتي لولاك لما ذقت طعم القتل مرة أخرى... قالت شرميزه بصوت بارد بينما كانت ترفع مصطفى إلى الأعلى حتى بدا كمالو أن روحه قد غادرت جسده قطع هذا الانتصار المبكر سهم مفاجئ أصاب يد شرميزه، مما أجبرها على إسقاط مصطفى من قبضتها الحديدية. ارتطم جسده بالأرض يلهث في محاولة لالتقاط أنفاسه المقطوعة.

التفت هاتور وشرميزه بسرعة نحو مصدر السهم، ليجدتا زيدان واقفًا عند المدخل، وجهه ملطخ بالغضب والخيانة، وعيناه تمثلان بالدموع. رفع قوسه مجددًا، لكنه هذه المرة لم يستطع إطلاق سهم آخر، فقد شلته الصدمة.

صرخ بصوت مهتز ممتلي بالوجع:

كيف خنتيني كيف خنتي جبي؟! أردف وهو يصرخ قولي لي
كيف؟....

نظرت هاتور إليه ببرود متصنع، لكنها شعرت بضغط كلماته وهي تخترق قناعها. حاولت الحفاظ على تمسكها، ثم قالت بصوت مشوب بالسخرية:

هل ظنت أن حبك لي كان حقيقياً؟ أنت لم تعشقني يوماً، يازيدان لقد كان سحر الحب الذي اطلقته عليك حين ناديتكم بصوت جدتك ولم يكن لك خيار. فكل من يناديكم صوتي يعشقني.

انكسرت نبرة صوتها للحظة، لكن سرعان ما استعادت قسوتها، وأضافت:

لقد أعطيتني أكثر مما توقعت. قدمت لي الإخلاص دون مقابل، والآن أحتج لك لمشاهدة النهاية.

انكسر شيء داخل زيدان، وأدرك أن حبه لها لم يكن سوى خديعة. أدار عينيه نحو مصطفى، الذي بالكاد كان يقف على قدميه، يحاول السيطرة على الماء:

مصطفى لن أتركهما يفلتان بفعلتهما.. أقسم..

شرميزه قاطعت المشهد:

ـ آه، الدراما البشرية دائمًا ممتعة، لكن لا وقت لدينا لهذا. يا بنيتي أنهى هذه المهزلة فلدينا عمل أكبر نجزه!

أشارت هاتور بالخاتم نحو زيدان، فارتفع جسده فجأة كأنه مسحب بقوة لا ثرى، ليُقذف بعنف على الجدار، ثم سقط على الأرض فاقدًا للوعي. نظرت هاتور إليه بلا مبالاة، ثم التفت إلى مصطفى، الذي لا يزال يلهث وقالت بسخرية مريرة:

ـ حتى الآن لم تفهم. أنت لا تساوي شيئاً بدون هذا الخاتم.

ضحتا الاثنان بصوت مرتفع وهما تتوجان نحو المخرج. رحفل مصطفى على يديه وركبته، يتثبت بأخر خيوط قوته، تدانى من زيدان المسجى على الأرض وتمتم بصوت يملؤه الحقد والانتقام:

ـ سأقتلكما. أقسم أنكم لن تهربا بما فعلتماه.

في الخارج، كانت الأحداث تأخذ منعطفاً أكثر سوداوية. هارن أظهر حقيقته أخيراً. هو وجنوده تحولوا أمام أعين الجميع إلى شياطين مرعبة. في لحظة خاطفة، بدأت صرخات الجن تملأ المكان، وهم يُبادون على يد الشياطين بلا رحمة.

تقدمت شرميزة بخطى واثقة نحو هارن، الذي انحنى أمامها باحترام شيطاني، وقالت بصوت مليء بالخبث:

هل الجميع جاهز؟

رد هارن بصوت أخش وهو يرفع رأسه:

نعم يا سيدتي. كل شيء تحت السيطرة. جيش الشياطين ينتظر عند البوابة. بمجرد فتح باب هذا العالم، سيكونون أحرازاً لإغراقه في الظلام.

ابتسمت شرميزة بسعادة خبيثة، ثم التفتت إلى هاتور وقالت:
اللحظة التي تمنيتها اقتربت بعد كل هذه السنوات، العالم سيصبح لنا.

الفصل الواحد والثلاثون: ما قبل النهاية

داخل قاعة الحكم المهيبة، جلس الملك تهان، بهيبيته التي ملأت المكان. حواجبه عريضة ثقيلة تظلل عينيه الكحيلتين، ولون بشرته القمحية بين الأبيض والأسرم أضفى عليه وقاراً مهيباً. ذقنه السمراء التي خطها القليل من الشعيرات البيضاء أكملت ملامح رجل ناضج، قوي، وصلب. بنيته العضلية الضخمة وعروقه البارزة، صوته الأخش العميق، جعلاه يبدو كأنه تمثال حي لشخص عظيم. كان يرتدي ثوباً ملكيّاً بديع الصنع، يزيشه تاج مرصع بالجواهر اللامعة، رمزاً لعظمته وقوته.

ولكن السكينة الملكية لم تدم طويلاً...

دخل أحد الحراس فجأة، وجهه شاحب وأنفاسه متقطعة، يهرع كأنه يفر من كارثة. انحنى الحارس أمام الملك وقال بصوت متهدج:

ـ أجدنا يا سمو الملك! الملكة هربت... لقد قتلت كل حرس الجن الذين كانوا في السجن! كل من قابلته في طريقها لقي حتفه...

وقف الملك تهان متصلباً، كأن صاعقة ضربته. عيونه اشتعلت بالغضب، وصوته الأخش ارتفع متسائلاً:

ـ كيف.. كيف هربت؟

تردد الحارس قليلاً، ثم قال بصوت مملوء بالخوف:

ـ من حرها... ابنتك، هاتور. لقد عادت ومعها بعض الشياطين. إنهم الآن في طريقهم نحو العنکبوت!

صمت الملك للحظات... ثم قال بصوت حاد كالسيف:

ـ لقد كتبوا على أنفسهم الموت... سيُخلد التاريخ أن هناك ملكاً قتل ابنته من أجل شعبه!

ثم التفت إلى أحد القريبين وأمر بصوت صارم:

ـ أنذر قائد الجيش وليسعد الجميع. دقوا الأجراس، ولتسمع مملكة العالم بما حدث. الموت للشياطين والموت لكل خائن.

وعلى الفور، دوت أصوات الأجراس في أرجاء المملكة، ناقلةً الخبر.
لحظات فقط، وتحولت مملكة العوالم إلى خلية نحل، استعداداً لمعركة
ستكتب في صفحات التاريخ بالدم والنار.

سمع صوت الأجراس يدوي في الأفق إعلان عل الحرب. نظرت
شرميزو نحو هاتور بقلق وقالت:

ـ تهان قد علم بوجودنا... يجب أن نحلق اسرع، لن يتركنا نكمل ما
بدأناه.

هاتور بعينين تملؤهما الغطرسة :

ـ لن يدوم الأمر طويلاً، الأجراس لن توقف مصيرًا رسمناه بدمائهم.. ثم
انطلقوا في السماء، ممزقين السحب متوجهين نحو جبلي المعرفة، حيث
يوجد العنقوت.

كان الملك تهان يشق طريقه نحو السجن، حيث رائحة الدم والموت
تغرق المكان، عند مدخل السجن، رأى مشهدًا أشبه بالكابوس الجاث
متنتشرة، والدماء تغطي الأرض كأنه طوفان.

تقدما بخطواته إلى الداخل، حيث كان مصطفى يحاول إيقاظ زيدان من
غيبوبته قبض الملك على مصطفى من ملابسه ورفعه بعنف، ثم ألقى به
أرضاً، وصوته يزمر كالرعد:

بشريان في مملكتي؟! هذا قد يفسر كيف استطاعت هاتور الوصول هنا.

رفع مصطفى رأسه بصعوبة وقال، والغضب يشتعل في عينيه:

هاتور؟ تلك المرأة الخانقة! لقد قتلت ابنتي وجعلت من قريتي قبرًا ممتداً يأخذ أرواح من تقتلهم. لم تكتفِ بذلك، بل بحيلتها الخبيثة جاءت بنا إلى هنا. كنا نظن أننا نساند شعبنا، لكننا كنا ندعم الجحيم بعينيه!
هاتور... لا تستحق سوى الموت، هل تسمعني؟ الموت فقط...

اقترب الملك منه ببطء، ووضع يده على رأس مصطفى.

في لحظة واحدة، تدفقت الأحداث كالسيل إلى عقل تهان. رأى كل شيء: موت بشينة، سقوط القرويين واحداً تلو الآخر، النيران التي التهمت كل شيء، والخداع الذي نسجه هاتور بخبث.

انسحبت يد الملك ببطء، وكأنه يحمل ثقل العالم على كاهله. عيناه، التي لم تعرف الدموع يوماً، أطلقت دمعة واحدة تساقطت ك قطرة من بركان. مسحها بسرعة، كأنها إهانة لمهابته، ثم وقف بصلابة وأمر بصوت عميق:

قم على قدميك، أيها البشري.

توجه بعدها إلى زيدان ووضع يده على رأسه، فاستفاق وهو يلهمث كأنه عاد من الموت نفسه.

نهض متزحجاً، ثم توجه نحو مصطفى واحتضنه بقوة، وعيناه مغورقتان بالدموع. قال بصوت مختنق:

ـ أحببتهما أكثر من نفسي... حاولت الابتعاد عنها لأحميها. الجميع قال إنه لا يزوج الجنية بشري، وكنت أخاف أن تراني أشيخ وأموت بينما تظل هي صغيرة، لا يمسها الزمن. وهبتهما قلبي... لا لم أهبهما قلبي؛ لقد أصبحت هي قلبي ذاته! أشعر أن دمائي تنزف من الداخل لقد خدعتني.

وجه مصطفى صفعة إلى زيدان تبعتها أخرى، وصوته يعلو بغضب:

ـ أفق يا زيدان... أفق إنها لم تحبك يوماً. ألا ترى؟ لقد أحببتهما من النظرة الأولى، أليس كذلك؟ ألم تفكر أن الأمر لم يكن طبيعياً؟ لقد ألت عليه سحراً يا أخي.. أفق إنها لم تحب سوى نفسها.

انهار زيدان جالساً على الأرض، ويده تغطي وجهه. قال بصوت مكسور، كأن روحه تُسحب منه:

ـ ولكنني لم أحب سواها... هي وحدها كانت عالمي.

نظر الملك إلى زيدان بعينين جامتين، وكأنهما ميزان يقيس صدق الكلمات. تقدم نحوه، ووضع يده الثقيلة على قلبه. شعر زيدان بحرارة تنتشر في جسده، وكان حمماً تذيب القيود التي كانت تقبض على روحه.

أزاح الملك يده بعد لحظة، وقال :

لقد فككت السحر... الآن قل لي ماذا تشعر؟

مسح زيدان دموعه بسرعة، محاولاً أن يتمالك نفسه وقال بجمود:

أشعر أنني أريد قتلها.

لكن داخله كان يصرخ بألم مختلف... همس لنفسه:

يبدو أن قلبي أحبها حقاً... لم يكن السحر هو من جعلني أهيم بها لقد كان قلبي... قلبي وحده.

استقام في سكون لكن في عينيه كان الصراع مشتعلًا، بين الحب الذي غرس فيه جذوره، وبين الكره الذي تشكل في اعمقه.

مصطفى:

من انت؟؟؟

اجاب الملك :

أنا تهان والد هاتور. أعلم جيداً أنها أخبرتكم عني بعد أن رأيت ما في عقل مصطفى، علمت قصتكم تماماً. أنتم السبب في أن هاتور وصلت إلى هنا اليوم، وحصلت على خاتم النكبة هي تنوي السيطرة على العنكبوت أركانيس، وبسيطرتها عليه ستكتشف سر جبني المعرفة. إنها تسعى لفتح بوابة لشياطين..

توقف مصطفىلحظة، ثم قال بعنة:

لقد سمعتها تقول إنها ستقتل العنكبوت.

أجاب الملك :

لن تقتل العنكبوت إلا بعد أن تفتح البوابة، لكي لا يقفلها... ثم اشار لهم تعلوا خلفي ...

كانت المملكة تستعد لخوض معركة، وكل من كان قادرًا على حمل السلاح قد جهز نفسه. كان المشهد أسطوريًا، والجنود جاهزون لتلبية النداء.

نادى الملك إلى أحد الجنود، فأحضر له صندوقاً ضخماً، فتح الصندوق أمام الملك. كان مليئاً بالأسلحة المختلفة. بدأ الملك بالتفتيش في الصندوق، وأخرج منه سيفاً، ثم نظر إليه بعينين تملؤهما القوة وقال:

خذ هذا يا مصطفى، ستحتاجه في المعركة أعلم أنه ليس كسيف البرق، ولكنه سيفي الخاص. و يحمل القوة المطلوبة لوقت مثل هذا.

ثم أخذ الملك قوساً من الصندوق وأعطاه لزیدان. وقال:
هذا القوس فريد. يطلق سهاماً من العدم. كل ما عليك هو شد اوتاره،
وستنطلق سهام كالقابل المنفجرة تجاه العدو.

دققت الأجراس من جديد كل دقة تنبئ بموت أو حياة، وفي الهواء كان صوت الرياح يتماوج مع أصوات نقرات الأحذية الثقيلة على الأرض، والجنود يتقدمون في صفوف متراقبة، عيونهم مشتعلة بالعزيمة. كانت الخيول الطائرة تهتز تحتهم، عيونها ملتهبة بالعنفوان، وأجنحتها تنتفض استعداداً للطيران.

على الأرض، اصطف الجنود في تشكيلات لا يمكن اختراقها، يعتمرون خوذات حديدية، وأذرعهم تحمل أسلحة والأذرع الأخرى مشدودة على أحصنتهم التي كانت تطير في الهواء بكل فخر، أجنحتها ترفرف كما لو كانت جزءاً من الرياح نفسها.

الملك تهان ثبت مقدمة صفوفه يرتدي درعاً من الفضة السوداء عندما تحركت شفتيه ليعلن بداية المعركة، اهتزت الأرض من تحته وكان المملكة بأسرها تنتظر لحظة كهذه.

على يمينه، كان مصطفى، وجهه شاحب ولكن عينيه مشتعلة بالغضب، وقلبه يضخ قوة لا تضاهى. وعلى يساره، كان زيدان، يراقب الأفق بعينين حذرتين. كانت قبضته مشدودة على قوسه الذي يلمع في ضوء النار.

قال الملك، بصوتِ أخش، ينبض بقوّة :

ـ نحن الذين سنتكتب التاريخ. اليوم ثبت لمن سيأتي بعدها أننا لم نكن خائفين. اليوم، نبني جسراً بين الحياة والموت، لن نتراجع، ولن نسمح بأن يبعث أحد بملكتنا. اجعلوا النيران تلتهم الأرض تحت أقدام العدو!

وبينما كانت الكلمة الأخيرة تنطلق من فم الملك، كانت الصفوف تتأهب، والجنود يرفعون أسلحتهم في تناول متقن، يتفسون كأنهم قلب واحد. ثم ارتفعت الخيول في السماء، تجري بأسرع من الرياح، ناثرة أمامها الشر والنيران، والجنود يندفعون وراءهم كطوفان لا يقهرون.

اردد الملك، وهو يرفع صوته ليصل إلى جميع القلوب:

ـ اليوم أقول لكم لا تتركوا شيطاناً يتنفس داخل مملكتي.

وصلت هاتور إلى جبلي المعرفة، حيث كان العنكبوت أركانيس قد صنع عشه بين الجبلين العتيقين. الجبلان، اللذان يُعرفان بجبلي المعرفة، . بين هذين الجبلين، كانت خيوط العنكبوت تمتد من جبل إلى آخر،

تشابك وتنسج كشبكة ضخمة، تحيط بالهواء وتحرك كأوتار قويس عملاق..

طارت هاتور بسرعة نحو العنكبوت، وكان صوتها يملأ الهواء بسلطانها. قالت بصوتٍ عميقٍ وملئ بالقوة:

افتح لي بوابة الشياطين!

أجاب العنكبوت أركانيس بصوته الخشن والعميق، :

كيف تجرأت أن تطلبين مني هذا؟ من يجرؤ على أن يأمرني؟ أنا أقوى مخلوق في عالم الجن، وأنا الحامي لهذا العش.

ابتسمت هاتور ابتسامة باردة، ثم رفعت خاتم النكبة عالياً، حتى أضاء المكان بضوءٍ غريب.

لن تمانعني بعد الآن. سأقول لك ما يجب أن تسمعه.

نظر العنكبوت إلى الخاتم، وعيناه تصبحان عميقتين في الضوء، وكأنه يشعر بشيء غريب يسيطر على عقله.

سأسمع ما تقولين...

أنا سيدتك.

أجاب أركانيس بعقلٍ مغيب:

أنت سيدتي.

أنا الحاكمة الآن.. قالت هاتور بثقة، ثم أضافت، :

قل لي سر جبلي المعرفة، وفتح لي بوابة الشياطين.

تراجع العنكبوت، صوته يتغير تدريجياً وهو يرد:

سر جبلي المعرفة يكمن في بيضي... والبوابة هي عشى... امرته
بتراجع فلم يتردد فتقدمت هي نحو العش أخذت بيضة من بيض
العنكبوت ، وقدفتها في العش وقالت :

افتح بوابة عالم الشياطين !

في لحظة، بدأ العش ينبض بالحياة. العيون الكبيرة للعنكبوت أصبحت
بيضاء كالثلج، وأرسل طاقة رهيبة من جسده إلى البيضة. ثم انفجرت
البوابة أمام عيني هاتور، وأخذت تفتح شيئاً فشيئاً، حتى ظهر جيش
مهيب، يشبه جحافل من الشياطين. أجسادهم ضخمة جداً، مع جلود
قاسية تشبه الخشب المحترق، وأعينهم حمراء كالنار. كان شكلهم يشبه
أسراب النمل الضخم، الذي يتحرك بسرعة هائلة ويغطي الأرض بأسره.
رؤوسهم تغطيها قرون حادة، وجلودهم مشوهة، وعندما كانوا
يتحركون، كانت أصواتهم تعوي في الهواء كالرعد.

يمطون وحوشاً غريبة، بعضها يطير في السماء مثل قوى الظلام، بينما تسير الوحوش الأخرى على الأرض، وكل خطوة كانت تهز التربة تحتها وكان الأرض نفسها سوف تتشق عنهم. كان منظرهم مرعباً، يذكر بخيال كوابيس لا يمكن تخيلها، أعدادهم لا حصر لها، يتحركون وكأنهم سرب واحد متلاحم، يشقون السماء والأرض في وقت واحد.

نظر الملك إلى البوابة التي فتحت أمامه وصرخ:

اهجوم لا تدعوا المزيد يخرج..

أخذ خطوة واحدة نحو المعركة، وبكل حركة استحضر قوى عاتية من السحر. أغضض عينيه للحظة، ثم فجر جسده بطاقة هائلة. من بين يديه، خرجت أذرع إضافية، فأمساك بأربع سيوف ضخمة، سيفين في كل يد، كل سيف كأنه شعلة نار. كانت حركته سريعة كال العاصفة، ينحر الشياطين من الأمام والخلف، يسقطون أمامه كالأشجار المتتساقطة، في كل ضربة كانت رؤوسهم تتناثر إلى الأرض، ودماءهم تسبح في الهواء، ترسم خطوطاً دموية في السماء.

ثم، وفي لحظة غضب، أخذ نفساً عميقاً، وزفر زفراً مليئاً بالقوة، ليفجر طاقة سوداء كثيفة من فمه. كانت النار السوداء تتتساقط مثل زخات من المطر، ثم تنفجر في وجوه الشياطين، تحيلهم إلى رماد في لمح البصر. يتتساقطون بلا توقف، وكل ضربة كانت تقطعهم كالسكاكين عبر اللحوم

الطازجة. حتى الذين حاولوا الهروب لم يسلمو، إذ كانت النار السوداء تلاحقهم حيثما ذهبوا، تقضي عليهم بلا هوادة.

من جانب آخر، كان زيدان يقف كالصخر، قوسه السحري في يده. سهامه تطير في الهواء بسرعة البرق، ينفجر كل سهم لحظة خروجه، وتحول الوحوش أمامه إلى أشلاء، أشلاء تتناثر هنا وهناك. لم يكن يعبأ بتعب، ولا يهمه ما يحدث حوله، كل ما كان يهمه هو أن يواصل القتال، أن يرسل السهام بلا توقف، تتواتي الانفجارات التي تفك الشياطين كالعواصف.

أما مصطفى، فهو يقاتل بلا هوادة، سيفه يتراقص في يده، يمسك به بكل قوة، وكأنهأسد مفترس بين الضباع. يطير بجناحيه الممدودين، يقطع رقاب الشياطين بلا رحمة. يهبط بسرعة على الأرض، يفرغ سيفه في أجسادهم، ثم يعود للطيران مجدداً. كانت دماء الأعداء تتناثر في كل مكان، تغطي الأرض وتحيط به، لكنه كان لا يهتم سوى باتمام مهمته. كان ينقض على الشياطين من الأعلى، يقطع رؤوسهم ويلتهمون الأرض التي تحت قدميه.

وجنود الجن لم يكن حالهم أفضل، كانوا يتدافعون في الميدان، يلقون كل ما في جعبتهم من سحر وقوة، يلوحون بالسيوف، ويطلقون الطاقات القاتلة في وجه الشياطين، لكن رغم كل هذه المحاولات، كان عدد

الشياطين يزداد. كانت أعدادهم تتضاعف، وهم يتذفرون من البوابة دون توقف. كانت السيوف تقطع، والنيران تتفجر، والسحر ينفجر في كل مكان، لكن الجيش بدأ يضعف.

وفي تلك اللحظة، استدار الملك في السماء، عيناه تتسمران على الأرض التي تنづف، على الجن الذين بدأوا يتراجعون، وقال بصوتٍ عنيقٍ وغاضبٍ:

لا أحد يتراجع استمروا في القتال.

صرخ مصطفى بصوت مرتفع:

سيستمر الشياطين في الخروج من البوابة، علينا القضاء على هاتور...

فجأة، طار زيدان في السماء، أطلق سهامه المتفجرة نحو هاتور كما لو كانت رحات من مطر ناري، الغبار والشرر ملأ الأجواء، ولم تكترى هاتور أمامها. لكنه لم يتوقف، بل استمر في إطلاق السهام بأقصى سرعة.

ابتسمت ابتسامة ساخرة، وقالت بنبرة متسمة بالثقة:

هكذا تعامل حبيبتك يا زيدان ألم تتعلم بعد كيفية التعامل مع النساء؟

فجأة، أخذت هاتور تتغير بشكل مفاجئ، عيونها أصبحت سوداء كالليل، وأظافرها طالت بشكل غير طبيعي حتى أصبحت حادة كالسلاكين. تحول شكلها بالكامل، وتغيرت إلى الكائن المرعب الذي تحدث عنه حامد، النداهة التي تثير الرعب في القلوب. كانت تشع بقوة مظلمة، وعندما نظرت إليهم، كان الفزع يملأ أعينهم.

قال مصطفى بصوت منخفض:

هذا هو وجهها الحقيقي. ثم بدون أن يعطيها الفرصة للرد، طار نحوها بسرعة كالبرق، سيفه مشهراً في يده. عازماً على الوصول إليها قبل أن يقترب منها زيدان، فاندفع نحوها في محاولة لقتلها. ولكن عند التصادم، صدت هاتور سيفه، حيث اصطدم بشراسة مع أظافرها الحادة،

ابتسمت هاتور بتحدي، ثم قالت وهي تقف بكل سكون:

هذا كل ما لديك؟

ثم فتحت فمها بشكل غريب، كأنها شعرت بنعاس، وعندما لامست يدها الهواء، أرسلت تيار سحري غريب إلى جناحي مصطفى. في لحظة واحدة، تكسرا جناحاه كما لو أنهما قطعة خشب يابس، وسقط في الهواء بلا حول ولا قوة.

انطلق زيدان بجناحيه، يندفع عبر الهواء رغم التيران والسهام التي تعصف في كل اتجاه، وقبل أن يصل مصطفى إلى الأرض أمسك به بكل قوته. أنزله بحذر وسط غابة المعركة، وركع بجانبه يلتقط أنفاسه.

قال زيدان بلهجة ملؤها القلق والغضب: "لن أدعك تسقط هكذا، أنت أقوى من ذلك يا مصطفى. سنوقفها معاً".

مصطفى:

لا تقلق على... اذهب إنها هدفك الآن... سأكون بخير.

رفع رأسه نحو هاتور التي كانت تطلق ضحكاتها الساخرة من بعيد، ثم طار نحوها بسرعة البرق. وبدأ يطلق السهام المتفجرة لكنه لم يستطع اختراق درعها السحري.

. نظر إليها بحسرة وصرخ بصوت مليء بالمرارة:

خائنة، كاذبة، مضللة، قاتلة، أنت لست امرأة من عالم الجن، بل أنت من عالم الشياطين.

ردت بصوت بارد:

لا تكون أحمقاً، يا زيدان. ليس هناك ما يسمى بالحب في هذا العالم. حتى أنت أيها البشر لا تعرفون ما هو الحب.

أضافت بتحذق :

انظروا إليكم، كيف يقتل الابن أباء من أجل ميراث، وتترك الأم أبناءها من أجل عشيق، وابن يضرب أمه، والحروب لا تتوقف بينكم، ولا تجدون سوى القتل والتدمير. هذا هو حبكم؟ الشياطين والجن أولى بهذه الأرض. أنتم مجرد حثالة، ولا تستحقون الحياة.

كانت كلماتها قاسية، تتغفل في قلب زيدان كالسفاكين، لكن رغم الغضب الذي كان يملأه، رد عليها بقوه:

نحن حثالة ولا نستحق العيش، ولكن ماذا عنك؟ ماذا عن أمثالك؟ أنت تشبهين من تحقرنهما، بل تخطيئهما بكثير.

ضحك هاتور ضحكة قاسية، ثم قالت بابتسامة باردة:

حتى وإن كان فانا أعيش لآلاف السنين، اما أنتم تضييعون أعماركم في الخراب والنسفان. تموتون في الستين والسبعين والعشرين، ونادراً من يصل إلى المئة. ومع ذلك، أنتم تعصون من سمح لكم أن تسكنوا جنته وعفا عنكم لتسكنوا ارضه. أنتم الحثالة، ويجب أن تجتنوا من هذه الأرض. لهذا، سأسسيطر على جميع عوالم الجن والشياطين، وسأخذ الأرض. سأقتل كل بشري.

وسط فوضى المعركة وصراخ الجن والشياطين، كان الملك تهان يقف بشموخ وسط الدمار. أمامه شرميزه، بسيفها المتوج وسحرها المترافق، تقترب منه كصياد ينقض على فريسته. ابتسماه ماكرة وهو يرفع سيفه المشتعل قائلاً بصوت أخش:

مرحباً يا عزيزتي... اشتقت إليك.

ردت شرميزه بابتسامة مفعمة بالخبث وهي تهجم عليه بسيفها:

ليس أكثر مني، يا نبض قلبي. ألا ترى أن الوقت قد حان لتنهي هذه المغامرة وتترك لي العرش؟ سأجعلك تعيش، فأنا لا أريد لقصتنا أن تنتهي بهذه السرعة.

صد تهان ضربتها بخفة، ودفعها بعيداً بقوة وهو يقول ساخراً:

لكن لما لا تفكرين أنت في الاستسلام؟ ربما أترك رأسك على عنقك، وأمنحك فرصة للحياة.

ضحك شرميزه وهي توجه له ضربة خاطفة، قائلة:

أنت عنيد كما كنت دائماً، وهذا أحد الأسباب التي جعلتني أقع في حبك.

اشتعلت عينا تهان بنار التحدى وهو يصد الضربة ويلتف بسيفه ليهاجمها:

وأنت قاسية كالجحيم، والشر يسري في عروقك كالنار. لكن أعرف، ربما هذا هو السبب الذي جعلني أحبك أيضاً.

أطلقت موجة سحرية نحوه أطاحت به للحظات. اقتربت منه بابتسامة نصر وقالت:

سأفتقد هذه اللحظات، لكن لا تقلق، سأذكرك جيداً بعد موتك.

ابتسم وهو يمسح الدم عن وجهه وقال بهدوء: لا تُسرفي في الأحلام، يا فؤادي.

تصاعدت المعركة بينهما، شرميذه تستخدم سحرها لتحيطه بهالة من النار والرياح، وهو يصدها بضربات سيفه النارية. فجأة، استغلت شرميذه لحظة ضعف وهجمت عليه بقوة، سيفها يقترب من قلبه.

لكنه لم يكن ليتراجع بسهولة. بنفس عميق ونفثة من نار سوداء، أطلق هجوماً مباغتاً نحوها، ما جعلها تتراجع بخفة. قفزت مجدداً عليه كالنمرة، لكنه استدار ووجه لها ضربة ساحقة بسيفه المشتعل، فقطع رأسها بضربة واحدة.

سقط جسدها على الأرض، بينما رأسها تدرج بعيداً اقترب منها وقال بنبرة ساخرة وهو ينظر إلى رأسها المقطوع:

ارقدي بسلام يا حبيبي... لن أجد من يلاعني لعبة قتال الأرنب
بفسوتك.

رفعت هاتور يدها المزينة بخاتم النكبة إلى السماء، ونادت بصوت ممزوج:

يا خاتم النكبة، انعم على بقوتك العظمى دعنى أريهم من هي الحاكمة
الحقيقية لعوالم الجن والبشر.

انطلق الضوء من الخاتم إلى السماء، كأنه برق يخترق الظلام، ثم عاد كعاصفة هوجاء ليغمر جسدها. فجأة أصبحت أشد قوة وأعظم هيبة. عينها اشتعلتا كجميرتين، وجسدها بدأ يتغير بشكل مخيف. في البداية، تحولت إلى تنين ضخم، جناحاه يطلان السماء، وناره الحارقة تحرق الجن بلا هوادة، وكلما سقط أحد أمامها، كانت تضحك بصوت يمزق القلوب.

ثم، بصرخة مدوية، تحولت إلى نمر، فرشاقة جسده وقوته مخالبه كانت تفتك بكل من يقف في طريقها. لم يكن ذلك كافياً لها؛ فجسدها بدأ يتغير مرة أخرى، متحولاً إلى "الزيركوت"، أحد أشرس مخلوقات الجن، بقرون ملتوية وجلد صلب كالصخر. وأخيراً، أخذت شكل وحش هائل، لا يمكن وصفه إلا بالموت ذاته، ملامحه كابوسية، وأننيابه تلتهم الجن بلا رحمة.

في تلك اللحظات، كانت المعركة تميل لصالح الشياطين. الجن يتسلطون كأوراق الخريف، وأعداد الشياطين تتکاثر كسراب النمل، تغمر الساحة وتقترب من إحكام سيطرتها الكاملة.

لكن وسط هذه الفوضى، كان مصطفى يتقلّب بين جثث رفقاء، جناحاه المكسوران لا يزالان يثقلانه. خلع الحزام الذي يربط الأجنحة من ظهره، وألقى به على الأرض، ثم أمسك بسيفه وسار متراجلاً، يتحمّل على نفسه، وخطواته تجره كأنه يحمل العالم على كتفيه.

كلما اعترضه شيطان، كان يوجه له ضربة خاطفة واحدة تقتله على الفور، لكنه كان يفقد المزيد من قوته مع كل ضربة. كانت الدماء تغطي وجهه ويديه، لكنه استمر في التقدّم بعزيمة لا تلين.

وأخيراً، وصل إلى العنكبوت أركانيس، الذي كان يقف وسط خيوطه المتداة بين جبلي المعرفة. اقترب من أذنه العملاقة، وقال بهمس مؤثر في أذن العنكبوت أركانيس:

ـ أعلم أنك تسمعني، استيقظ لا تجعل هاتور تسيطر عليك، أنت أقوى من أن تستغل أيها الحراس العظيم إن العالم الذي تحميّه سيتحول إلى خراب، وقوتك لن تكون إلا لعنة إذا ساعدتها في هذا الجنون. إنها دمرت قريتي، ولن تتردد في تدمير عالمك أيضاً. واجبك هو الحماية، لا التخاذل. إن كنت تتخلّى الآن عن دورك، فلن تكون سوى حشرة ضعيفة

تافهة، أنت من لا شيء وستنتهي إلى لا شيء. استيقظ، أركانيس! تذكري من أنت.

بدأ العنكبوت يهز رأسه كأنه يحاول استعادة وعيه، لكن سيطرة هاتور كانت أقوى؛ فقد استعاد خضوعه لها.

تصاعدت حدة المعركة إذ كانت هاتور قد تحولت إلى وحش الـ"زيركوت"، جسدها الهائل يشتعل بالطاقة الداكنة، مخالبها تقطع الهواء، وهي تطارد والدها هتان بلا رحمة. قفزت عليه بضراوة، صرخت وهي تضحك بجنون:

أعطني عنّاقاً يا أبي هل هذا كثير على؟

انطلق هتان بجناحيه محاولاً الابتعاد عنها، مستعيناً بكل ما تبقى من قوته وسحره. لكن هاتور، بتلك القوة الجديدة، كانت أسرع وأكثر عنفاً، تحلق وراءه دون أن تمنحه فرصة لالتقاط أنفاسه.

قال هتان بصوت يفيض بالألم:

لماذا تفعلين هذا بأبيك؟ لطالما كنت أحبك...

ضحك هاتور بصوت متهدج وهي تقترب منه:

أحببت نفسك فقط، يا أبي الغزيز. إن كنت تحبني، لما نفيتني؟ لما جعلتني وحيدة؟

قال وهو يحاول الابتعاد عنها بصعوبة:

لأنك تجبرت يا قلب أبيك. رجاء، حاوي أن تستعيدي عقلك، أن تذكري من تكونين قبل أن تفوت الفرصة.

قالت بجمود:

لكني أريد قتالك، يا أبي سأغزو عوالم الجن، ومنها إلى أرض البشر.
سأسيطر على كل شيء وأجعلكم جميعاً عبيداً لإرادتي!

بضربة قوية من مخالبها، أطاحت به من السماء ليسقط كالشهاب،
مرتطماً بالأرض بقوه حتى صنع حفرة عميقه وسط. حلقت بسرعة
نحو الحفرة فوجدها يئن من أثر السقوط.

رفعت يدها، مشكلة سيفاً من الطاقة المظلمة في قبضتها، ثم وقفت على
صدره وضغطت بقدمها على بطنه. نظرت إليه بابتسمة شيطانية،
رفعت السيف عالياً وقالت ببرود:

حان الوقت لتنتهي قصتك، يا أبي.

ولكن قبل أن تنفذ طعنتها القاتلة، اندفع العنكبوت أركانيس من الخلف،
ونسج خيوطه السحرية حولها بسرعة مذهلة. لفت الخيوط جسدها
وسحبتها بعيداً عن الملك. بدأ العنكبوت يمتص طاقتها من خلال شبكته
السحرية، فيما بدأت هاتور تصرخ بجنون:

لا توقف لا يمكنك فعل هذا بي

مع كل ثانية تمر، تفاص حجمها شيئاً فشيئاً، وعادت إلى شكلها الطبيعي. صغرت يداها، وارتخت قبضتها، فسقط خاتم النكبة من يدها على الأرض. استدارت مذعورة لتنظر خلفها، فرأت العنكبوت أركانيس وقد استعاد كامل قوته ووعيه. أغلق بوابة عالم الشياطين بخيوطه القوية، ثم بدأ ينسج شبكته في كل اتجاه، يصطاد الشياطين كأنهم حشرات صغيرة، ويلتهمهم الواحد تلو الآخر، وكأنه ضفدع جائع يلتهم الذباب.

حينها حاولت الهرب، ركضت باتجاه الشبكة الممتدة بين جبلي المعرفة، تسابق الزمن للوصول إلى مخرج. لكن مصطفى، وقد أشار إلى زيدان، تصرفًا معاً بسرعة. حمل زيدان مصطفى في الهواء، يطيران بخفة خلفها ليمنعها من الفرار.

عندما وصلت هاتور إلى الشبكة، مدت يدها المرتعشة وأمسكت بإحدى بيضات العنكبوت. بأخر قوة متبقية لديها، ضربت البيضة على الشبكة، محاولة فتح مخرج جديد.

وفي اللحظة نفسها، وصل زيدان إليها من الخلف، وأطلق صرخة عالية:

أرض العاقير!

ُشطت البوابة ، و قبل أن تتمكن هاتور من العبور، دفعها زيدان بقوة داخلاها. دون تردد، قفز كل من مصطفى وزيدان خلفها.

نُقل مصطفى وزيدان مع هاتور عبر البوابة إلى أرض البشر، وتحديداً إلى قرية العاقير. كان الليل حالك السواد، والصمت يعم أرجاء القرية، حيث يغط الجميع في نوم عميق. في ذلك السكون، اخترق صوتهمَا الهدائِ، فصرخ مصطفى، موجهاً كلامه إلى هاتور:

لن تستطعي الهرب الدم بالدم، ومن زهرت أرواحهم هنا، ستزهق روحك أيضاً على هذه الأرض.

استدارت ببطء، وهي تضحك بسخرية، ثم صرخت بصوت يملأ الغرور:

لا أحد منكم أو من البشر يستطيع أن يوقفني هل تسمعون؟ لن يقدر علي أحد، حتى هنا.

حاولت أن تستدعي قوتها أن تحلق في السماء أو تطلق لعنتها المعتادة، ولكن بلا جدو. لقد جردها العنكبوت أركانيس من كل قوتها. نظرت بارتباك إلى يديها الفارغتين، ثم إلى زيدان، الذي وقف أمامها بثبات ورفع سيفه قائلاً بصرامة:

لا تحاولي استسلمي، يا حبيبي.

قال مصطفى، وهو يتراجع خطوتين:

لا تدعها تهرب، سأعود سريعاً.

حاولت التحرك فتقدم زيدان ببطء نحوها، رافعاً الخجر الذي اشتراه
من أرض غياهبيا في وجهها:

تحركي أي حركة وسأقتلك.

حاولت اللعب على عاطفته، فقالت بنبرة حزينة:

أنا أحببتك يا زيدان. هل نسيت أنا هاتور، تلك التي ملأت قلبك دفأً لا
تتذكر؟

تردد زيدان وتراحت يده قليلاً، وكأن قلبه استجاب لها. رفعت هاتور
رأسها بابتسامة خبيثة، محاولة استغلال لحظة ضعفه ولكن في اللحظة
التي شعرت فيها بأنها على وشك النجاح، استعاد حذره ورفع سيفه
مجدداً، صوته يملؤه الغضب الممزوج بالحزن:

لا لم أنس حبك، لكنني أيضاً لم أنس الدماء التي أريقت بسببك. لم أنس
لبيك، أو ليث، أو حمزة. لم أنس أهل هذه القرية، ولن أنسى أبداً ما
 فعلته بنا.

فجأة أضاءت السماء بوميض النيران، حين أقبل مصطفى ومعه أهل
القرية، يحملون مشاعل خشبية متلهبة، وأسلحة متفرقة خنافر،

سفاكين، مناجل وفؤوس. كانوا يتقدمون في طرقات القرية كأطیاف
خرجت من أعماق الظلام، والدخان يتصاعد من حولهم كستار أسود
يعلن ساعة الحساب.

صرخ مصطفى من بعيد:

لن ننتقم وحدنا. ...من أذيتهم هنا لكل منهم حق في دمك.

عندها، اندفع زيدان وغرس خجره في صدرها:

هذه للبيد.

طعنها مرة أخرى، وعيناه تمتلثان بالدموع:

وهذه للبيث.

ثم الثالثة، والندم يخنق أنفاسه:

وهذه لحمزة.

وفي الرابعة، صرخ قلبه قبل خجره:

وهذه لكل من قتلتهم.

حتى إذا لم يبق له سوى أنينه، هو بخجره للمرة الخامسة، يصرخ
مزقاً صمته الداخلي:

و هذه لقبِي... الذي حطمتْه.

تهاوت هاتور والدم ينづف من فمه. رفعت عينيهَا المثقلتين وقالت بصوت بلکاد يُسمع:

لم أخدعك... بل أحببتك. لو أردت قتالك... لفعلت كما فعلت بالآخرين...

لكن كلماتها لم تكتمل؛ فقد اندفع أهل القرية نحوها، كل واحد منهم يحمل جرحه في قبضته، انهالوا عليها بأسلحتهم، مزقت ضرباتهم صرخاتها حتى ارتجت الأرض من شدتها.

ثم تراجعوا جميعاً معاً، وكأنهم جسد واحد، وأنقوا المشاعل عليها. سرعان ما أحاط اللهب بجسدها المترنح، صعد الدخان ويعلى صوت احتراقها حتى تلاشى مع صدى صراخها الأخير.

وهكذا انتهت قصة هاتور... لم يكن موتها مجرد سقوط جسدٍ في النار، بل كان إسداً لستارٍ على فصلٍ طويل من الصراع بين البشر وقوى الظلام. ومع غروبها، أدرك الناس أن الحرب ليست مع الشياطين وحدهم، بل مع الخوف الذي يستوطن القلوب، ومع الوهم الذي يصنع قيوداً من الداخل قبل الخارج.

عاد الفجر يحمل نوراً متردداً، كأنه يختبر إن كان يستحق أن يشرق بعد الدماء. عادت الأرض إلى خصوبتها، وتفتحت الزهور من جديد، لكن الناس تعلموا أن الجمال لا يولد إلا من رحم الألم، وأن كل زهرة هي شاهد على دم سبقها.

زيدان عاش حياته مع الأرملة التي تزوجها، ورزق بثلاثة أبناء سماهم بأسماء أحبته الراحلين، لييد، ليث، حمزة. كانوا رمزاً للخلود، للدم الذي لا يضيع، للحب الذي يتجدد في وجوه الأبناء وإن ذبل في قلوب الآباء. لكنه ظل يحمل داخله فراغاً صامتاً، ندبة لا تندمل، لأنه علم أن بعض الجراح ليست لتشفي، بل لتذكرنا دوماً بما فقدناه.

أما مصطفى، فقد هدا قلبه حين أخذ بثأر ابنته، لكن الحكمة التي خرج بها كانت أعظم من الراحة. صار شيخ القرية، يحترمه الجميع، لأن أنه انتصر بالسيف، بل لأنه أدرك أن العدل لا يولد من الدم وحده، بل من الصبر، ومن قوة الروح حين تواجه الظلم.

أما القصة، فقد تجاوزت حدودها لتصبح درساً يروى جيلاً بعد جيل: أن الدماء قد تصنع النصر، لكن الذاكرة وحدها تصنع الخلود. وأن الإنسان، مهما تعاقبت عليه قوى الشر، يبقى قادرًا أن يزرع الحياة من جديد، شريطة أن يتعلم أن القوة الحقيقية ليست في الطعنات، بل في البقاء، في أن تنهض رغم الحزن، وتبني رغم فقد، وتحب رغم الانكسار.

الخاتمة

أنا وائل العدلى... وما رویته لیست قصتى وحدى، بل قصة قریتى التي
تناقلتها الألسن جيلاً بعد جيل؛ قصة الأسطورة التي أرعبت الجميع:
النداهة

كانت مجرد خرافه، لكنها كبرت حتى صارت أقوى من الحقيقة نفسها.
فالخوف إذا ترسّخ في القلوب، صار أثقل من أي واقع. هكذا عاشت
قریتنا؛ رجال يخشون الليل، نساء يتوجسن من العتمة، وأطفال ينامون
على وصايا أمهاتهم: إياك أن ترد على صوتٍ يناديك.

و كنت مثالهم... أصدق ما يُقال، وأرجف كلما صفرت الريح، كأنها
تناديني بالاسم. لكننياليوم لم أجعكم لأروي خرافه، بل لأكشف
الحقيقة.

قال كريم، صديقي الأقرب، وهو يرمضي باستغراب:

حضرتنا إلى هنا فقط لتقص علينا هذه القصة؟

أجبته بثبات:

لا يا كريم... بل جئت لأخبركم بما يجب أن نفعله كي نحرر عقول
القرويين من هذا الوهم.

فقال نادر، صديقي الثاني، بصوت ممترج بالفضول:

هل تقصد الورقة التي كان والدك يحتفظ بها دائمًا؟ تلك التي أخبرك أنها تحتوي على كل شيء؟

أومأت قائلًا:

نعم... لنبحث عنها.

دخلنا غرفة والدي، والذكريات تحيط بي من كل زاوية. قلبا الدولاب، وفتحنا في المرتبة، ورفعنا الصندلة الخشبية القديمة. حتى عثروا أخيراً على صندوق قديم في ركن معتم.

فتحه ببطء... فوجدت بداخله بدلة والدي التي اعتاد ارتداءها في أيامه الأخيرة. كنت أعلم أن الورقة هناك، مخبأة في جيوبها. أدخلت يدي وأخرجتها... فإذا بورقة مطوية، شاحبة من أثر السنين جلست على الأرض، قلبي يخفق كأنني أمسكت روح أبي بين يدي

رسالة عدلي ..

إلى ابني العزيز.....

إن كنت تقرأ هذه الورقة الآن، فقد سبقتك إلى الدار الباقيّة. أحببتك ما استطعت، وكل ما فعلته كان لأجلك لتعيش بسلامٍ لا تحكمك الخرافات ولا يقييك الخوف. كنت أقول لك دائمًا لا تصدق كل ما يقال. واليوم أترك لك ما هو أثقل من الوصيّة الحقيقة وإن كانت قاسية.

الحقيقة أن النداهة ليست مجرد قصة تُحكى، بل هي واقع مرير عايشته أجيالنا ستجد ورقة أخرى مكتوبة بخط يد جدك زيدان، الذي عاش حبه للنداهة ودفع ثمنه.. جد جدك كان الحبيب الأول لها، وهي لم تنس ذلك أبدًا.

انت تعلم اسمك الكامل، الذي هو وائل العدلي عبد العزيز حمزة زيدان، إنه ليس مجرد اسم. هو إرث. إرث لعائلة واجهت المجهول وتحملت لغفات أسطورية فإن جدك زيدان هو من تدور حوله قصة النداهة والآن أتركك مع الرسالة الأخرى، لتحمل ما لم تستطع مواجهته. احذر يا ولدي. احذر من القادم.

فنشت الجيب مره أخرى، فوجدت ورقة ثانية مهترئة

رسالة زيدان:

أنا زيدان، الرجل الذي تحدى القدر وعشق الجنية.

أكتب هذه الكلمات وأنا أعرف أن كل حرف فيها سيصل إلى نصلي في يوم ما. هذه الورقة ليست مجرد تحذير، بل شهادة على ما حدث.

في الليلة التي قُتلت فيها النداهة، لم تكن ليلة عادية. لقد وعدتني، وهي تختضر، بأنها ستعود. لم تكون مجرد كلمات عابرة، بل لغنة نطقها وهي تغرق في النار والدماء. قالت لي: 'سأعود من الجحيم، ليس لأخذك فقط، بل لأخذ كل من يحمل اسمك وكل من يدوس أرضاك'.

لا أعرف إن كانت ستعود بعد عام، بعد عشرة، أو بعد مائة عام أو أكثر. لكنها ستعود. لم أستطع الهرب من حبي لها، ولم أستطع أن أوقفها حينها. لكنها الآن أصبحت شبحًا يجول في الأرجاء، يبحث عن الانتقام.

أكتب هذه الرسالة لأحفادي، لكل من سيقرأها في المستقبل. لا تخافوا، بل استعدوا. المواجهة قادمة. حين تعود، لن تكون مجرد أسطورة ثروى، بل حقيقة ستحرق الأرض. احذروا وكونوا مستعدين المرأة التي من عالم الجن قادمة..

جدمكم العزيز...

«زيدان العبسى»

«النهاية»